كتاب تاريخ قدماء المصريين المسمى
قناصة اهل العصر من خلاصة
تاريخ مصر

م

تاليف

اوغسطوس ماريت بك ناظر مصلحة الانتيقه خانه المصرية

ترجمه

بالعناية الخديوية من اللغة الفرنساوية الى العربية عبد الله أبو السعود
افندى المترجم بقلم الترجمة بديوان المدارس المصرية

طبعة اولى

بالمطبعة الخديوية الكائنة ببولاق مصر المحمية

سنة ١٢٨١

(فهرست الكتاب)

صحيفة

صحيفة

صحيفة

(التنبيه على ما وجد بالطبع فى هذه الطبعة الاولى من الخطا المهم وما عداه ضرب عنه صفحا لكونه مما لا يقف دونه الفهم)

صحيفة	سطر	خطا	صواب
١١	٢١	تستيقظ	نستيقظ
٤٠	١٦	وقعة	وقفة
٥٠	١٩	وقعة كبرى	وقفة كبرى
٥٢	٠٤	باقطع وصف	بافظع وصف
٥٢	٠٥	ملوكها الاهلين وفى	ملوكها الاهلين أوفى
٥٩	٠٣	بعائلة	بغائلة
٦٢	١٦	ويقشعرا	ويقشعر
٨١	٠٩	مما من ان	من ان
١٧١	٠٩	مراة	مرآة

بسم الله الرحمن الرحيم

ان ما يجب أن يكون مقدمة كل مقال عال أودع فى أسطر نقول المؤرخين وفاتحة كل أمر ذى بال ابتدع من جوهر عقول المؤلفين هو ذكر الله سبحانه الذى دلت آثار صنعته على ما ثر قدرته وبرهنت دلائل حكمته على قضية وحدانيته فى العالمين وذكر نبيه محمد اول داع لاحياء موات الدنيا والدين وأفضل ساع فى ابقاء سمات التأنيس والتمدين بل أكمل انموذج لاصلاح أمرى المعاش والمعاد وأجل فيروزج تحلى به جيد السداد فى الاولين والآخرين يليه ذكر آله وأصحابه منبع احسان الحضارة الذين شادوا منها أعلى قصر مشيد ومشرع اتقان العمارة الذين سادوا فيها وأجادوا فوق كل مجيد وكانوا لآثار الخير فى عصرهم أبدع مبدين وأصنع معيدين احسنوا السيرة واعتنوا باخلاص السريرة حتى تخلد بالمدح الجزيل ذكرهم وتأبد بالثناء الجميل عصرهم فى دفاتر تواريخ الدول والسلاطين و يخلد بجميل الذكر ممتد العمر حضرة خديو مصر القائم باعباء الامر فى هذا العصر من بعد هؤلاء السلف الصالحين ألا وهو حضرة أفندينا الامير الجليل الذى هو من ذرية المرحوم محمد على باشا أمجد سليل اسماعيل بن ابراهيم ذى المقام النبيل والمجد الاثيل جميعهم كانوا من خير أولياء امور المسلمين

هم

هم المحسنون الكر فى حومة الوغى * وأحسن منهم كرهم فى المكارم

ولاسيما أفندينا صاحب الوقت اذ هو فريد عقدهم وخير ولى لعهدهم بما هو مجتهد فيه من منذ تقلد الامر من احياء رسوم مصر بين الدول باعتناء حسن ترتيب الدواوين الميرية والمجالس السياسية المنصوبة لنشر العدالة فى الرعية وانشاء المصالح النافعة العمومية واعلاء درجة العلوم فيها كأعظم الممالك باعادة المدارس المصرية الخصوصية والتجهيزية والمكاتب الابتدائية بمصر وسائر البنادر على دائرة أوسع مما كانت عليه فى عهد اسلافه الشهيرين وبما تعلقت به عنايته وحققته بالفعل ارادته خصوصا من تحسين احوال المصريين والاغداق على العلماء الاسلاميين وترقيته سائر الطوائف بالديار المصرية على العموم من جنات التمدن الى أعلى عليين أخلد الله بالعز والتوفيق للاعمال الخيرية ايامه وأبد بتحقيق هذه الآمال العالية اعلامه آمين

﴿ وبعد ﴾ فيقول الفقير عبد الله أبو السعود ابن الشيخ عبد الله أبو السعود المصرى هذه خدمة وطنية صغيرة سمح بها الدهر لمصر من بعض بنيها وفرصة أدبية يسيرة ربما اصبح بها خامل الذكر نبيها وكان عند الله وجيها بترجمة خلاصة تاريخ مصر من منذ الاعصار الخالية الى أن افتتحها المسلمون الذى ألفه بأمر سعادة خديو مصر ليقرأ فى المدارس المصرية الخصوصية العالم الفاضل وصاحب العرفان الشامل ماريت بك الفرنساوى الاصل الوافد على الديار المصرية فى أواخر سنة ١٢٦٦ من الهجرة المحمدية وكان اولا حضر باسم

موسيو ماريت (أى السيد ماريت) مبعوثا من طرف الدولة الفرنساوية لاستكشاف الهيكل المسمى بالسرابيسية (أى معبد الصنم المسمى سيرابيس بمدينة منف أومنفيس وهى مدينة مصر العتيقة وكان يعبده اليونان وأهل مصر فى عهد الملوك البطالسة) المنصوص عليه بكتب تواريخ اليونان وذلك حسبما تعلقت به رغبة طائفة العلماء الفرنساوية وبعدان أقام نحو أربع سنوات يدير أعمال الحفر بنواحى ميت رهينه وسقاره وما جاورهما بنفقة حكومته استدل بسعة خبرته على محل المعبد المطلوب بالجبل الغربى على القرب من ناحية سقاره حسب المرغوب وظفر فى أثناء هذه العملية التى أجراها لذمة الدولة الفرنساوية ببعض أشياء نفيسة من الآثار الفرعونية التى يستدل بها على حقيقة الاحوال القديمة المصرية عاد بها الى بلاده ظافرا بمراده وحفظت فى جملة المحفوظات بخزانة التحف والمستغربات السلطانية الفرنساوية الكائنة بقصر لوره بمدينة باريس كرسى دولة الفرنسيس وفى سنة ١٢٧٤ تحركت من الحكومة المصرية همتها واهتزت أريحيتها لاجراء عملية حفر بالجهات العتيقة المصرية على ذمتها وانشاء خزانة آثار قديمة بمدينة القاهرة بنفقة خزينتها على منوال ما يوجد من هذا القبيل بأعظم مدن الاوربا حيث لم يكن لذلك بمصر من مثيل فطلبت موسيو ماريت من لدن سلطان الفرنسيس بالخصوص والاسم المنصوص لتكون ادارة هذه الاعمال بمعرفته ونظارة خزانة الآثار المصرية منوطة لعهدته وبحضوره ترتب معه من الرجال والانفار العمال ما لزم لهذه المأمورية

للمأمورية العلية والمصلحة الاهلية ولما استحصل على المواد الكافية
وبعض الاشياء المستخرجة من أعمال الحفر الجارية التي هي لتأسيس
المصلحة المذكورة وافية أنشئت في سنة ١٢٧٦ بجهة بولاق على
ضفة النيل اليمنى بالجهة المعروفة برصيف المرور خزانة الآثار
المصرية المعروفة بالانتيقة خانه الخديوية يحفظ بها نفائس الآثار
العتيقة ويوقف منها في تواريخ الديار المصرية على الحقيقة حسب
الجارى بأعظم الدول والممالك اذ الديار المصرية هي معدن ذلك وأولى
بسلوك هذه المسالك ومن ذلك الوقت أجريت على موسيو ماريت
من طرف الحكومة المصرية النعم الوافرة والاحسانات المتكاثرة
وصار بأمر حكومته لحكومة مصر من بعض المستخدمين وعلى
جريدة خزينتها من المجمكين ثم أنعم عليه بالرتبة الثانية الملكية
وتلقب من وقتئذ بماريت بك بين أرباب الوظائف الرسمية ولما
صار الى يد حضرة أفندينا اسماعيل باشا في سنة ١٢٧٩ زمام
الحكومة المصرية كانت هذه المصلحة الخيرية من جملة ما فاز ببعض
عناياته وحاز بعض لحظات من حسن التفاتاته حتى صارت بما هي
عليه من حسن النظام وما تحصل بها من الآثار المصرية العظام تزرى
بأقرانها الموجودة بأعظم المدائن حيث فاقت عليها بكثير من المحاسن
يهرع اليها للتفرج عليها السياحون ويسرع للاستفادة منها العلماء
الاجنبيون ولم تزل بالامداد من اعمال الحفر التي لم تزل جارية في كثير
من النواحي والبلاد في ازدياد ومن آمال حضرة خديو مصر العالية
ومقاصده الجميلة التي ستصير ان شاء الله في المستقبل لما تحقق من

ذلك تالية أنه اعد للانتيقةخانه الخديوية موضعا أليق لها فى رسم العمارة الجديدة المصمم على انشائها باسم الاسماعيلية بين بولاق والقاهرة على دائر ميدان الازبكية حقق الله آماله ووفق لطريق الخيرات أعماله وقد أمر جناب ماريت بك من لدن سعادته اظهارا لنتيجة اشغاله أيضا على أهل البلاد المصريين واستحضارا لفائدة اعماله على عامة المسلمين بتأليف خلاصة تاريخ مصر فى الاعصر الخالية لينتفع بتعلمه تلامذة المدارس الخصوصيه ويمتع بتفهمه الخاصة والعامة من سائر الطوائف البلدية حيث كان من ألزم اللزوم لكل أحد أن لايجهل تاريخ موطنه وأن يميز عند ذكر القوم السابقين عليه فى بلدته قبيحه من حسنه ولم يوجد لغاية الآن من المؤرخين المسلمين بل وغير المسلمين من وقف فى تحرير تواريخ مصر القديمة على الحقيقة أواهتدى فيها بالادلة الصحيحة والبراهين القطعية الرجيحة لجادة الطريقة وانما فى ضمن كتب التواريخ التى قرأناها والتصانيف التى تيسر لنا أن رأيناها يعثر على النزر من بعض الكلام على الاهرام وبعض اسماء للفراعنة القدام والتكلم فيهم ببعض الاوهام التى لايليق بها التصديق من غير تحقيق ولا تدقيق مع التخليط فى الازمنة والامكنة والتخبيط فى الاقوال الغير المتمكنة فهذا ابن خلدون مثلا مع جلالة قدره ونباهة ذكره واشتهاره بأعلى مرتبة فى الفضل ودقة التحرى وصحة النقل وحسن ارتباط تسلسل الحوادث التاريخية التى أوردها فى تاريخه المشهور دون سائر المؤرخين الاسلاميين حتى عند العلماء الاوروباويين انما ألم من تواريخ مصر

القديمة

القديمة ببعض حوادث غامضة وحكايات متناقضة من المعروف لغاية عصره ونقله عن هروشيوش ٢ مؤرخ الروم المترجم فى منتصف القرن الرابع بقرطبة للحكم المستنصر أحد خلفاء بنى أمية الاندلسيين وسرد بعض أسماء فراعنة من ملوك مصر الاقدمين والعرب العمالقة الذين ملكوا الديار المصرية فى ذلك العهد وتعبر عنهم فى هذا المختصر بطائفة الهيكسوسيين مع الاقرار بعدم الرسيان على الحقيقة فى شئ من ذلك وعدم ضبط أسمائهم الاعجمية لتقادم العهد فيما هنالك والعذر له حيث لم يكن قد تيسر فى عصره الحصول على الاستكشافات الجديدة ونصوص الآثار العديدة التى نجحت عن امكان قراءة القلم المصرى القديم المسمى بالهيروجليفية من عين الآثار القديمة المصرية وترتب عليه الآن العدول عن الخطا فى كثير من الروايات المستغربة والخرافات المخترعة المحشوة عن مصر العتيقة فى كتب الاقدمين من

---

(٢) قوله هروشيوش هو بحسب الظن القوى أوروس المعرب هروشيوش المعروف عند علماء الاوروباويين باسم بولص أوروس من مؤرخى علماء النصارى الاقدمين قال فى كتاب معجم البلدان ومشاهير أبناء الزمان للمؤلف بوليبت من علماء الفرنساوية المتأخرين بولص أوروس المؤرخ ولد فى أواخر القرن الرابع بعد الميلاد بمدينة تاراجونه أو تاراكو باقليم قتلونيا من بلاد اسبانيا (الاندلس) على سواحل البحر الابيض المتوسط اشتهر بكتابة التاريخ العام الذى ذكر فيه تواريخ الامم الاقدمين من عهد آدم الى سنة ٣١٦ من ميلاد المسيح وهو محشو بكثير من حكايات العوام التى ينبغى التيقظ للنظر فيها ومعرفة قيمتها مع ذلك انتهى مترجما باختصار

اليونانيين والرومانيين ولولا خوف التثقيل وتحميل هذا المختصر المعد
للتعليم بالمدارس مالا يحتمله من التطويل لاثبتّ هنا بعض ما يظهر
بمجرد مقابلته بما تحقق فى هذه الخلاصة من خلل كتابة ابن خلدون
ومن كتب على مصر فى الاعصر الخالية من المؤرخين وحيث كان
ما اقتصصناه من سيرة انشاء الانتيقةخانة المصرية واعتناء حضرة خديو
مصر باستخراج هذا المختصر منها معتمدا على شهادة محفوظاتها الاثرية
ومستندا الى منقولات سنداتها القوية هو من جملة الوقائع التاريخية
التى تستحق أن تكون فى بطون دفاتر السير مأثورة وبعض الحوادث
الادبية الجديرة بأن تكون فى سجلات التواريخ مسطورة رأينا أن
نستهل بها الخطاب ونجعلها موضوع خطبة الكتاب لعل يلتفت
لهذه المادة من أهل بلادنا نظر بعض أولى الالباب وتنجذب قلوبهم
اليها ولو بعض انجذاب الاغراب ويعلمون أنها من الامور ذوات البال
ويفهمون أنها من المهمات التى تتعلق بها هم الرجال قال الحكيم
المحقق والعالم الاسلامى المدقق الشيخ عبد اللطيف بن يوسف بن
محمد البغدادى نزيل مصر فى أواخر القرن السادس من الهجرة فى اول
مختصر اخبار مصر المطبوع مع ترجمته باللغة اللاطينية بمدينة
اوكسفورد التى هى مدينة العلم ببلاد انكلتره فى سنة ١٨٠٠
مسيحية وترجمه أيضا الى اللغة الفرنساوية فى سنة ١٨١٠
البارون سلوستردساسى الفرنساوى حيث افتتحه بما نصه ان مصر
من البلاد العجيبة الآثار الغريبة الاخبار ثم قال فى اول الفصل
الرابع من المقالة الاولى

أما

أمّا ما يوجد بمصر من الآثار القديمة فلم أر ولم أسمع بمثله فى غيرها فأقتصر على أعجب ما شاهدته الخ

ثم بعد وصف شئ منها وصف الحاذق والتأمل فيه بالنظر الصادق والحط على بعض الولاة الجهلة والعوام السفلة الذين تعدت أيديهم لهذه الآثار بالاتلاف والعوار قال قريبا من آخر الفصل المذكور مانصه ومازالت الملوك تراعى بقايا هذه الآثار وتمنع من العبث فيها واللعب بها وان كانوا اعداء لاربابها وكانوا يفعلون ذلك لمصالح منها لتبقى تاريخا يتنبه به على الاحقاب ومنها أن تكون شاهدة للكتب المنزلة فانّ القرآن العظيم ذكرها وذكر أهلها ففى رؤيتها خبر الخبر وتصديق الاثر ومنها انها مذكرة بالمصير ومنبهة على المآل ومنها انها تدل على شئ من أحوال من سلف وسيرتهم وتوفر علومهم وصفاء فكرهم وغير ذلك وهذا كله مما تشتاق النفس الى معرفته وتؤثر الاطلاع عليه وأمّا فى زمننا هذا الخ

ثم استطرد بالتبكيت بقلم الافاضل على ذوى الاطماع الجاهلين الذين يتصدون لنبش هذه القبور على ظنّ ماتحتويه من الكنوز والتنكيت بلسان الرجل الكامل على بعض الدجالين الذين يدعون معرفة مايتوصل به لفتحها من الطلاسم والرموز الى أن قال فى ذلك

ومن كان من هؤلاء له مال أضاعه فى ذلك ومن كان فقيرا قصد بعض المياسير وقوّى طمعه وقرّب أمله بايمان يحلفها له وعلوم يزعم انه استأثر بها دونه وعلامات يدعى انه شاهدها حتى يخسر ذلك عقله وماله وما أقبح بعد ذلك ما له ومما يقوّى اطماعهم ويديم اصرارهم أنهم يجدون

نواويس تحت الارض فسيحة الارجاء محكمة البناء وفيها من موتى القدماء الجم الغفير والعدد الكبير قد لفوا بأكفان من ثياب القنب لعله يكون على الميت منها زهاء ألف ذراع وقد كفن كل عضو على انفراده كاليد والرجل والاصبع في قمط دقاق ثم بعد ذلك تلف جثة الميت بجملة حتى ترجع كالحمل العظيم ومن كان يتبع هذه النواويس من الاعراب وأهل الريف وغيرهم يأخذ هذه الاكفان فما وجد فيها متماسكا اتخذه ثيابا أو باعه للوراقين يعملون منه ورق العطارين الى آخر ما أطال الشيخ عبد اللطيف البغدادى به مما لم تسأم النفس منه وكنت أود لو سقت هنا الفصل الرابع المذكور بتمامه لولا ما أخشى من تطويل خطبة هذا المختصر فوق مقامه حتى يعلم من أبناء وطنى من لم يكن يعلم ويفهم كل من اتخذ الديار المصرية موطنا ولم يكن يفهم أن مايعتنيه الآن حضرة خديو مصر أطال الله مدة عمره وزاد بهجة عصره من ترتيب مصلحة مخصوصة للمحافظة على الآثار المصرية القديمة والاستخراج منها للفوائد العظيمة هو غرض صحيح شريف كما نبه عليه الحاذق عبد اللطيف مما تتعلق به عنايات الملوك ويتحقق به حسن الثناء عليهم بأحسن السلوك لما فيه كما أوضحه أعلاه من الفوائد الجليلة الجمة والمصلحة العامة المهمة وكأنى بمتغافل جاهل أو حسود متغافل يعترض فيما أطنبت به بعض الاطناب على ويتطرشزرا بعين الجهل أو الحسد الى يقول مالنا ولكان وكان وقال القسيس ونقل المطران وما بالنا بحديث فرعون وهامان تلك أمة قد خلت وجاهلية انقضت عنا وانقرضت ومادرى ان بعض

قصصهم فصلت فى القرآن واعتنى بحديثهم أولو الالباب بجميع البلدان فى سائر الازمان لما يوجد من جليل المصلحة فى رواية الاخبار ودراية الآثار وفى الماضى لمن حضر اعتبار واذا كانت معرفة أحوال ديارنا فى القديم والحديث مما تتعلق به أعالى الهمم من أهالى أجانب الامم فضلا عن أرباب دولهم وأعيان ملهم يتنافس فى اقتنائه منهم المتنافسون ويعمل فى اعتنائه العاملون ويرحلون لمشاهدته المراحل الطوال ويبذلون على حيازته نفائس النفوس والاموال ويعلمونه لاطفالهم فضلا عن كونه من ضروريات شيوخهم ورجالهم مع أنه منا غير بعيد وأقرب الينا من حبل الوريد فلعمرى نحن بذلك كما قال مؤلف الاصل أحق وأحرى وصاحب الدار يقتضى أن يكون باحوالها أدرى ولذلك تفطن خديو مصر حفظه الله للدقيقة وتيقن فى هذه المادة الحقيقة وأعطى القوس باريها وأجرى الامور فى مجاريها حيث أمر هذا العالم الذى هو أهله وانحصر فى هذا المعنى من منذ نحو خمس عشرة سنة شغله بتأليف هذا المختصر الذى هو على ما تحقق بالادلة القطعية والسندات الاثرية مقتصر وصدر الامر من حضرة محمد شريف باشا مدير المدارس المصرية وناظر الامور الخارجية بترجمته بمعرفة العبد الفقير من اللغة الفرنساوية للعربية تحصيلا لتمام الثمرة وتسهيلا لما كان يصعب على أهل مصر فى هذه المادة من النتيجة المتعذرة والا فبدون ذلك كانت لاتتم فائدته لاهل الوطن ولا يتحقق قصد خديو مصر الحسن فانه أبقاه الله انما أراد بذلك أن تستيقظ من سنة الغفلة ونلحظ المعنى

الظاهر من هذه الجملة اذا وقفنا من أحوال أسلافنا فى هذه الديار على حقيقة الاخبار فنجتنب عار رذائلهم ونكتسب فخار فضائلهم ونتعاون فى سبيل حب أوطاننا على البر والتقوى، ونتهاون من سلوك طريق الشهوات وحب الاستبداد بالامور دون اخواننا بما عمت به البلوى واذا أمرنا بخدمة مما نستفيد منه بلادنا يقتضى أن نعرف قيمتها ونؤديها على أمانتها أورزقنا بنعمة بين أقراننا يجب علينا أن نرعاها حق رعايتها ونجتهد فى أن نحدلفيفنا ونحنو قوينا على ضعيفنا حنو المرضعات على الفطيم ونجتمع بقلوبنا حول ولى أمورنا كبنى العلات على الأب الرحيم ولا ينظر بعضنا لبعض الابعين الوطنية الحقيقية وصفة المصرية حتى ترجع هذه الديار لما كانت عليه فى تلك الاعصار من أصل مرتبتها وتعود كما هو أمل حضرة خديو مصر الآن بين البلدان لحقيقة منزلتها ونعلم أن حب الاوطان الذى هو من الايمان وشأن النفوس الكريمة والطباع المستقيمة ليس هو التعلق بالحيطان بل هو السعى فى النفع والاحسان بقدر الامكان للسكان واعتبارهم كالاخوان

وما حب الديار شغفن قلبى * ولكن حب من سكن الديارا

بل هو بذل جميع ساكنى البلدة المال والنفس فى تحسين أحوال بلديهم والذب عنهم بقطع النظر عن اختلاف الاصل والجنس بحيث يجعلون تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة نصب أعينهم وكما نطق به أدب القرآن الكريم يؤثرون على أنفسهم واذا لم يكن من أهل مصر الاصليين من توفرت فيه لهذا التأليف الشروط ولا تيسرت له الاسباب

الاسباب لان يكون بهذا الامر منوط فلا أقل من أن يكون فيهم من يحسن ترجمته ونقله وتبقى أصله وفصله ولا ينكر فضله ويؤديه لابناء بلدته كما علمه بأمانته على حقيقته وأى بأس فى أخذ العلم عن أربابه والاعتماد فى روايته على أصحابه اذ كانوا يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وفاقوا فيه علينا للدرجة العليا وماذا ينقص قدر العاقل والرجل الكامل اذا اعترف بما فى غيره من الفضائل كما قال القائل شعر

وهل أثبت الانسان فى الناس فضله * بمثل اعتبار الفضل فى كل فاضل

(وقال آخر)

خذ العلوم ولا تنظر لقائلها * من أين كان فان العلم ممدوح

قال الاستاذ ابن خلدون واما الخبر عن الواقعات المستندة الى الحس فخبر الواحد كاف فيه اذا غلب على الظن صحته انتهى من الجزء الثانى فى ضمن مقدمة الكلام على آخر دولة بنى اسرائيل المترجم له بالخبر عن عمارة بيت المقدس بعد الخراب الاول واذا كان لابد لكل شئ من قادح ومادح على حسب اختلاف الشهوات والقرائح وقد فاز هذا المختصر لدى خديو مصر بالقبول ووجد وفق المأمول عند ذوى العقول فلا عبرة بمن قعد للطعن بالمرصاد ولم يفهم المعنى المراد

وكم من عائب قولا صحيحا * وآفته من الفهم السقيم

ولكن تأخذ الاذهان منه * على قدر القرائح والفهوم

ومن الحكم الشعرية والكلم الصادقة التى هى بالايراد فى هذا المقام حرية

ما أصعب الفن على بنيه * وأقرب الطعن لمن يعنيه

وبالجملة فقد تمت ترجمة هذا المختصر فى ظل أفندينا أمد الله ظلاله وأدام

اجلاله وجاءت فى أقل من ثلاثين يوما كأنها البدر التمام ودخل هذا المختصر أيضا بهمته فى دائرة الاسلام وهاهو الكتاب منصوبا هدفا لاعين النظارة فى حومة الميدان من حيث جاء به المؤلف والمترجم كلانا كفرسى رهان ولعل الترجمة تفوز كأصلها بالقبول ويحوز الانتفاع بها الخاص والعام من أهل بلادنا كما هو المأمول

وحيثما كلنا نرمى الى غرض * فحبذا ناضل منا ومنضول

وقد رأينا ان نضم اليه على سبيل الختم ضميمتين احداهما فهرست المسائل التاريخيـة الواردة به على صورة السؤال ليوضع ما يتعلق بذلك بكل باب عند الطبع فى آخر بابه تمرينا للمتعلم وتبيينا للمعلم حيث كان هذا المختصر معدا فى المدارس للتعلم الثانية فهرست اسماء الاعلام الغربية الواردة فيـه مضبوطة بالحروف ضبطا خفيفا على ترتيب حروف المعجم ليسهل على من ليس له خبرة بأصلها من أهل بلادنا النطق بها على حقيقتها والوقوف على صحة صيغتها حتى لا يحصل لها التحريف ولا يعتريها التصحيف ويتم بهذه الترجمة لاهل بلادنا النفع ويشنف منها ان شاء الله لدى الجميع السمع

ولما كان هذا الكتاب فى أصله الفرنساوي بالنسـبة لاهل بلادنا كالغنيمة الشاردة والثمرة المتباعدة وهاهو قد صار بالترجمة للمتناول من يده الى فيه أقرب وربمـا كان باستخراجه فى طلاوة عبارتنا الخفيفة وبامتزاجه بحلاوة لغتنا الشريفة أعذب وأطرب وقد لقبه مؤلفه بما معناه خلاصة تاريخ مصر سميت هذه الترجمة أيضا قناصة أهل العصر فى خلاصة تاريخ مصر وهذا أوان الشروع فيها مختومة بأحسن خاتمة مصدرة بصورة افادة حضرة مدير المدارس التى هى عن الحذق والصدق فى القوة النظرية من

رجال

رجال الحكومة المصرية معلمة بما هو فى ضمنها مفصل ومجمل وعلى حكمة المرسل يستدل بحنكة المرسل

تلك آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

صورة

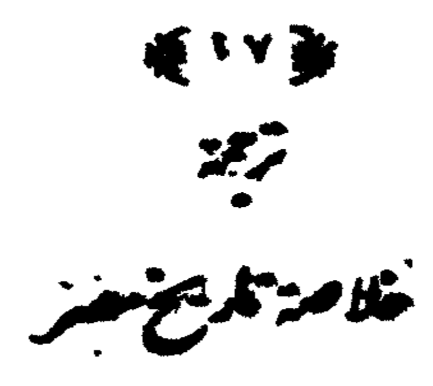
ترجمة افادة حضرة محمد شريف باشا مدير المدارس المصرية وناظر الامور الخارجية خطابا الى حضرة وكيل ديوان المدارس منسوخة من أصلها باللغة التركيسة الى العربية المؤرخ فى ٢٤ ربيع الآخر سنة ١٢٨١ وورودها فى ٢٦ منه

حيث ان التاريخ الذى ألفه جناب ماريت بك فرنساوى العبارة مطلوب حضرة الخديو ترجمته الى اللغة العربية واللغة التركية وان أبو السعود أفندى من أرباب قلم الترجمة معلوم استعداده ودقته فى اللغة العربية فكما انه استنسب احالة افراغ الآثار الناشئة المماثلة لهذا الى اللسان العربى الفصيح البيان بصورة سهلة المأخذ على عهدته فبالمثل بحسب رسوخ مصطفى صفوت أفندى من خوجات المدارس ومهارته فى اللغة التركية أيضا استنسب احالة الترجمة الى اللغة التركية على الموصى اليه فبناء عليه يصير احضارهما الى طرف حضرتكم ويعطى لكل منهما نسخة من نسختى التاريخ المبعوثتين لحضرتكم طى هذا وتفهيمهما مؤدى افادتنا هذه مع توصيتهما أيضا بحصول الهمة منهما على قدر الامكان لعدم تأخير اشغالهما العادية فى مدة الاشتغال بالترجمة المذكورة وبهذا لزم الاشعار

اطلعت على هذه الترجمة وفهمت مضمونها واستلمت احدى النسختين المذكورتين بها للترجمة الى اللغة العربية منها حسبما توضح اعلاه فى ٢٦ ربيع الآخر سنة ١٢٨١

كاتبه

أبو السعود



من منذ الاعصار الخالية الى ان افتتحها المسلمون

تاليف

العالم الفرنساوى اوغسطوس ماريت بك ناظر مصلحة حفظ الآثار المصرية القديمة المعروفة بالانتيقه خانه المصرية

معنونة

من طرف المؤلف باسم حضرة أفندينا اسمعيل باشا ابن المرحوم ابراهيم باشا صاحب الديار المصرية لتقرأ بالمدارس الخصوصية المصرية

ترجمة رسالة عنونة الكتاب باسم سعادة صاحب مصر

الى حضرة الداور الاعظم والخديو الاكرم افندينا اسمعيل باشا صاحب الديار المصرية أيد الله ايامه وايد بالعلوم اعلامه

ينهى العبد للاعتاب الكريمة انه اذا كان تاريخ مصر يجب أن يكون معلوما عند كل انسان فى بلدة من البلدان فان نفس الديار المصرية هى الاحق بذلك الشان ولقد علم لدى حضرتكم العلية وتقرر فى مدركتكم الذكية ماذكر فتفضلتم على عبدكم باصدار الامر اليه والاعتماد عليه فى تأليف نبذة فى هذا المعنى باسهل عبارة واخصرها ولاغرو اذ سعادتكم أول من أشار بانشاء خزانة الآثار المصرية القديمة (المعروفة بالانتيقه خانه المصريه) التى هى من أجل شئ يؤثر ومن أفضل مايذخر حيث يجد فيها أهل المعرفة بالآثار القديمة المصرية من المواد النفيسة ما يبل غليلهم ويشفى عليلهم وسعادتكم أيضا هو الذى رتب على القواعد المتينة وأسس على الاساسات المتكينة مصلحة الكشف والتفحص عن الآثار القديمة بالجهات المصرية التى هى مطمح آمال العلماء ببلاد الاوربا فاذا شرع القلم فى كتابة أول صحيفة من هذا الكتاب لايسعه الآن يفتتح باسم حضرتكم تعميما للتشكر واشهارا للثناء الجميل الواجب لحضرة الاميرالجليل الذى

اثبت بالدليل انه هو أولى أهل عصره بأن يكون أول منهم للحصول على ما يتعلق بعلم أحوال مصره

من العبد الضعيف

اوغسطوس

ماريت بك

مقدمة الكتاب

ذكر المؤرخون أنّ مصر محدودة من جهة الشمال بالبحر الابيض المتوسط ومن جهة الجنوب بشلال اسوان ولم يلتفتوا فى التحديد على هذا الوجه لما يظهر من الدلالات المتخذة من علم الجغرافيا ولا من النظر فى مقابلة أحوال أنواع العالم بعضهم مع بعض فانه من علم الجغرافيا يعلم انه يوجد على الشمال الشرقى من قارة افريقة فيما بين البحر الملح الى دائرة خط الاستواء منطقة متسعة من الارض متكوّنة كمصر من نهر النيل تكتسب خصوبتها منه لا من سبب آخر مثلها وبالنظر فى مقابلة أحوال أنواع العالم بعضهم مع بعض يرى أنّ على شواطئ هذا النهر من تلك الجهات أقواما متنوعين متوحشين لا قدرة لهم على سيادة أنفسهم بأنفسهم مع ان بهذه الجهة من دائرة الانقلاب أمّة متمدنة تعجب الناظر وتسرّ الخاطر بما حوته من الفخر واكتسبته من أنواع الصنائع وسائر أسباب التمدّن والتأنس الذى اشتملت عليه وحينئذ فكان يقتضى للمؤرخين فى تحديد مصر أن يقولوا انها عبارة عما يرويه النيل من الارض فهى تستحق الاستيلاء على سائر الاراضى التى يسقيها هذا النهر من جهة الجنوب ولو بلغت ما بلغت من تلك الجهة

ومن المعلوم انّ مصر بلدة ممتازة على سائر البلدان يسكنها قوم أهل طاعة وانقياد لولىّ أمرهم أسرع للسير وأسهل للتعليم وأقرب للتقدّم قد أبعد الله عنهم بالكلية تقريبا كلا من غائلتى البرد والجوع بما منح أرضهم من الخصوبة الطبيعية التى يضرب بها المثل ولطافة هواء اقليمها بخلاف

ما

ماعداها من الاقطار التى لم تكرم بمثل ماأنعم الله به على مصر فانّ هاتين الغائلتين عند غيرهم ينشأ عنهما الفتن السياسية والمحن الاهلية التى هى أمراض حقيقية فى جثمان التأنس والعمارية وأمّا نهر النيل (٣) فماذا يقال فيه غير أنه ملك سائر الانهار فانه فى موسمه المعتاد تقريبا من كل عام يتحرك من مأواه ويخرج عن مجراه ويروى ماتمهدله من الاراضى بما يحصل فيه من الزيادة الناشئة عن السيول والامطار النازلة ببعض الاقطار من بلاد السودان ولا يرجع الى محله الا اذا أودع الارض طينة هى عين خيراته وأثر انعاماته بخلاف ماعدا مصر من الاقطار فانّ فيضان الانهار فيها هو مصيبة عامّة وداهية طامّة أمّا النيل فبدلا عن أن يكون لمصر عدوّا تخشى صياله وتديم قتاله هو لها نعم المحبوب يمنحها بما تقرّ به العيون وتطمئنّ له القلوب حيث كان بما يسدى اليها من الخصوبة والقوّة يورثها الغنى والثروة

واذا نظرنا الى أهل مصر من حيث انها أمّة من الامم فانّا نجد أنها لازالت بالنظر جديرة وبالالتفات اليها حرية غير حقيرة ونرى لها على ممرّ الازمان فى وقائع العالم الوظيفة العظمى والمدخل الاقوى وذلك أنها لتقاربها بمسافة واحدة تقريبا من كل من قسم أوروبا واسيا وافريقة لايكاد يحصل حادثة مهمة من حوادث الحدثان فى بلدة من البلدان الا ولمصر

---

(٣) أحسن ماقيل فى نيل مصر قول أبى الحسين المعروف بابن الوزير شعر

أرى ابدا كثيرا من قليل * وبدرا فى الحقيقة من هلال
فلا تعجب فكل خليج ماء * بمصر مسبب لخليج مال
زيادة اصبع فى كل يوم * زيادة أذرع فى حسن حال

فيها يد بضرورة الاحوال بل وبهذه الخاصية يتميز تاريخها على تواريخ
سائر جهات العالم فان من تأمل فى أحوال هذه الديار على ممر الاعصار
اتضح له أنها امتازت بكونها لم يضئ مصباحها ولا بدا صباحها بعض
لحظات من الزمان ثم حجب بدرها وكذب فجرها فهوت فى هاوية
الظلمات مدة ما قليلة أو كثيرة ككثير من البلدان بل لم تزل على حالها
العجيب وبختها الغريب تحفظ علمها وتستمر شغلها مدة سبعين قرنا
من الزمن وفى جميع هذه المدة المستطيلة لم يزل لها مآثر وتأثير ظاهر
فى كل عصر من الاعصار على بعض الاقطار من جهات العالم ألا ترى
الى مصر فى الاعصار الخالية الفرعونية فانها تظهر لك فى مبادى الدنيا
كأنها جدة سائر الامم (٤) ويبدو لك أحد ملوكها الفراعنة الاولين
المسمى كيوبس يبنى المبانى المتقنة ويشيد العمارات المستحسنة
التى لم يتيسر لاهل الصناعة من المتأخرين الآن مع ما بلغوه من درجة
الاتقان أن يعملوا أحسن منها وكان ذلك فى وقت لم يكن يوجد فيه
فى سائر جهات الدنيا من له تاريخ يذكر ولا خبر يؤثر (٥) وتجد الملك
توتميس والملك امونوفيس ورمسيس الاكبر المعروف أيضا بالملك

---

(٤) قوله جدة سائر الامم هو قريب مما اشتهر على ألسنة العوام من انهم يقولون ان مصر هى أم الدنيا انتهى

---

(٥) قوله وتجد الملك توتميس والملك امونوفيس الخ كلا منهم جاريا فى عربته الملوكية جميع الامم الخ اشارة لما سيذكر بعد فى اثناء هذا الكتاب وتحقق بالادلة من زيادة سطوة الفراعنة الاقدمين على سائر الامصار فى تلك الاعصار وسعة فتوحاتهم الى أقصى بلاد آسيا كما سيأتى تفصيله انتهى

سيزوستريس

سيزوستريس كلامنهم جارا فى عربته الملوكية جميع الامم المعروفة فى ذلك الوقت مسلسلين بسلاسل الحديد وكذلك لما صارت مصر الى دولة اليونانيين والرومانيين لم يزل لها السلطان على ماسواها من البلدان بقوة العلوم كما كان لها البطش عليهم بقوة الاسلحة والاعلام أوليس ان المذاهب الفلسفية الناشئة بمدينة الاسكندرية فى ذلك العصر الذى بلغت فيه درجة الضنك للغاية هى التى أمدت الحركة الفكرية العظيمة وأرشدت الهمة العقلية الجسيمة التى تولدت عنها نتيجة ماوصل اليه الآن الامم المتأخرون من درجة الكمال وحسن الاحوال وفى اثناء الاعصر المتوسطة أيضا كان لمصر الفضل بما نشأ بها فى مدة دولة العرب المسلمين من تجويد الفنون والصنائع التى نتج عنها بمدينة القاهرة العجائب التى لانظير لها وفى مدة حروب الصليب تجد الملك (٨) سنلويس ملك الفرنسيس مأسورا

---

(٨) وواقعة الملك سنلويس بعصر هذه هى المجاهدة الصليبية السابعة من مغازى نصارى بلاد الاوربا البلاد الاسلام المعروفة فى كتب التواريخ بحروب الصليب (راجع كتاب نظم اللآلى فى السلوك فيمن حكم فرانسا من الملوك صحيفة ٨٥ من طبعة سنة ١٢٥٧ ترجمة العبد الفقير المطبوعة فى مدة المرحوم محمد على باشا رحمه الله انتهى)

بمدينة المنصورة (٩) وفى أول هذا القرن تجدد بها السلطان نابليون بونابارته مع ما حضر به من عساكر الاغارة الفرنساوية التى كانت ذات بهجة وان كان قد تخاطر بها وفى أيامنا هذه ترى فيها عائلة المرحوم الحاج محمد على باشا ألست ترى بهم شعائر التقدن تنتشر على شواطئ النيل وترى مصر فى عهدهم ساعية مسرعة فى طريق التقدم بحيث تلتفت اليها سائر الانظار من جميع الاقطار واذا علمت ذلك فقد ثبت أن مصر جديرة بالنظر اليها من حيث

---

(٩) وفى أول هذا القرن تجدد بها السلطان نابليون بونابارته الخ يشير بذلك الى واقعة دخول الفرنساوية الاخيرة على الديار المصرية فى أول سنة ١٢١٣ وخروجهم منها فى أول سنة ١٢١٦ وهذه غير واقعة الملك سنوليس المشار اليها قبل ذلك انتهى

تاريخها

تاريخها أكثر من استحقاقها الذلك الداعى خصوبتها حكى الحكيم افلاطون أن سولون الفيلسوف لما وفد على الديار المصرية فى عصره قالت له قسوس مدينة سيس (وهى قرية صا الحجر من قرى اقليم الغربية) ما معناه ياسولون ياسولون انما أنتم معاشر اليونان بالنسبة الينا اطفال ليس فيكم شيخ يعد فى الرجال الى اخر ماذكر وفى الواقع بما أن المصريين هم الذين قصوا لسائر الامم طريق التمدن التى كانوا فيها هم السابقين وغيرهم لهم لاحقين فقد حازت مصر بذلك فخر السبق الذى لازالت تحظى به من منذ ألفين وخمسمائة عام لغاية الآن ولا ينفك عنها فيما بعد على ممر الازمان

ثم ان تاريخ مصر العام من منذ الاعصار الخالية الى وقتنا هذا يصح أن ينقسم من حيث أنواع التمدنات التى اتخذوها على التعاقب الى ثلاث مدد أصلية

الاولى مدة الجاهلية

الثانية مدة النصرانية

الثالثة مدة الاسلام

فاما مدة الجاهلية فهي عبارة عن مسافة الزمن التي مكثت مصر فيها تدين بدينها الاول وتستعمل الكتابة القديمة واللغة الاصلية بدون انقطاع لما أن هذه الامور الثلاثة هي عبارة عما به قوام طريقة التمدن المصرية القديمة التي بقيت منها الآثار العديدة على شواطئ النيل لغاية الآن وتبتدئ هذه المدة بنشأة الملك في مصر وتمكث مسافة خمسة آلاف وثلاثمائة وخمس وثمانين سنة ثم تنتهي حيث أمر طيودوسيس ملك الروم قبل الهجرة المحمدية بمائتين واحدى وأربعين سنة برفض الآلهة المصرية القديمة وجعل دين النصرانية هو الدين المعول عليه رسميا بتلك البلاد

وأما مدة النصرانية فابتداؤها من تاريخ اشهار أمر الملك طيودوسيس المذكور وتنتهي حينما دخل أصحاب محمد (عليه الصلاة والسلام) الديار المصرية وكلفوا أهلها بديانة الاسلام سنة ١٨ من الهجرة وفي مسافة هذه المدة التي لم تمكث الا مائتين وتسعا وخمسين سنة كانت مصر تابعة لدولة ملوك الروم المستقرة بمدينة القسطنطينية

وأما مدة الاسلام فبدؤها دخول الاسلام بمصر ولم تزل مستمرة الى يومنا هذا

(تنبيه)

الاسانيد التي اعتمدنا عليها في نقل اعداد السنين المذكورة في هذا الكتاب لاتعد سنوها الا بالسنة الشمسية التي هي ثلثمائة وخمسة وستون يوما

ولم

ولم يتيسر لنا احتساب التواريخ بطريقة أخرى فاذا قلنا اتباعا للنقول المذكورة ان مسافة المملكة المصرية الاولى كانت ٥٣٨٥ سنة فنعنى بذلك كالاصول التى نقلنا منها السنين الشمسية التى تبلغ على حسب طريقة العرب فى تعداد سنيهم ٥٥٤٧ سنة قريبة مما قدر كل سنة منها ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوما وكذلك ما نذكره من التواريخ قبل الهجرة هو على حسب السنين الشمسية فاذا قلنا مثلا قبل الهجرة بأربعمائة سنة فمرادنا بها الشمسية نعنى بذلك أربعمائة سنة شمسية قبل تاريخ الستمائة واثنتين وعشرين سنة من الميلاد المسيحى الذى هو مبدأ تاريخ الاسلام وانما غرضنا فى مختصر تاريخ مصر هذا ان نورد تاريخ المدتين الاوليين فقط أى نزاول تاريخ مصر من أول أمرها الى ان ظهر الاسلام بظهور ملة العرب على شواطئ النيل وهذا أوان الشروع فى المقصود

خلاصة تاريخ مصر فيما يتعلق بمدة الجاهلية

اعلم ان العدة العديدة من الملوك الذين تناوبوا الجلوس على كرسى مملكة مصر فى قديم الزمان بمدة الجاهلية ينقسمون الى عدة طوائف تسمى بالعائلات الملوكية فان كانت العائلة الملوكية منهم بلدية تسمت باسم المدينة التى كانت تخت الملك حينئذ فيقال العائلة الملوكية المنفية نسبة الى مدينة منف أومنفيس التى هى قرية ميت رهينة الآن (باقليم الجيزه) والعائلة الملوكية الطيبية نسبة الى مدينة طيبة التى هى الآن الناحية المسماة بمدينة آبو (باقليم قنا) والعائلة الايلفنتينية نسبة الى جزيرة

ايلفنتين وهى جزيرة أسوان (باقليم اسنا) والعائلة الثانية نسبة الى مدينة تان أو تانيس وهى ناحية سان (باقليم الشرقية) وان كانت العائلة اجنبية اعنى وردت على الديار المصرية من الخارج وتحكمت عليها بطريق الفتح والغلبة انتسبت الى الملة المتغلبة فيقال العائلة الملوكية الايتوبية (يعنى الزنجية) أو العائلة الملوكية الفارسية أو اليونانية أو الرومية وجملة العائلات الملوكية التى حكمت المملكة المصرية من منذ منشئها الى غاية هذه الاعصر القريبة العهد منا أربع وثلاثون طائفة واذا تقرر ذلك فيقتضى أن يكون مبنى ترتيب كل من وصف الآثار المصرية القديمة ومبنى كلام كل من أراد أن يتكلم على مدة الجاهلية المصرية من المؤرخين هو تفريق الملوك المصريين الى أربع وثلاثين فرقة كبيرة ترجع كل منها الى عائلة ملوكية وتميز عما سواها بالانتساب الى المدينة المتخذة تختا للمملكة المصرية فى مدة حكمها

وقبل الشروع فى ذكر تاريخ العائلات الملوكية المذكورة فلا بأس بالايماء لبيان المواد التى استخرجنا منها احياء تاريخ مدة الجاهلية المصرية وهى عبارة عن ثلاث المادة الاولى والاحق بالتقديم على ماعداها نظرا لما هو قائم بها من علو طبقة الاعتمادية وتواتر العدد هى نفس الآثار المصرية القديمة من الهياكل والقصور والقبور والتماثيل والاصنام والتقييدات المسطورة عليها بالقلم القديم المسمى بطريقة الكتابة الهيرجليفية وغير ذلك (راجع ما أوضحناه من التفاصيل مما يتعلق بالآثار المصرية الاصلية فى تذييل هذا الكتاب) ولا سند أقوى من هذا لان الآثار المحكى عنها لها فضل كونها للحوادث التى ترويها شهودا عدولا لاتقبل التجريح فيهم من قبل مدة

ليست

ليست بعيدة العهد منا كانت الآثار المصرية المذكورة عارية عن درجة الوثوق التي هي متحلية بها الآن فان سر الكتابات المسطورة عليها بالقلم القديم كان قد ضاع في زوايا النسيان وصار كأنه معجز الانسان وكانت هذه الآثار لا تظهر لعين الرائي الا بصورة جسم بلا روح وجماد على الارض مطروح فلا تفيده معنى ولا تروقه حسنا حتى ظهر من منذ نحو أربعين سنة رجل ذو قريحة ثاقبة وفراسة صائبة فازال بقوة تفرسه عن ظلمات الكتابة المصرية القديمة الحجاب بما لم يكن في الحساب ألا وهو العالم الفاضل والرجل الكامل شامبوليون الفرنساوي فانه ازال عن وجه مصر القناع وأنطق صم آثارها القديمة حتى ملأت الاسماع وبدت لنا مصر العتيقة بهمته على ما كانت عليه في سالف الازمان من الحكمة البالغة وعظم الشان وصارت الآثار المصرية القديمة الآن لا تظهر لعين الرائي مجرد اطلال يتعلق بها مجرد التشوق لرؤيتها والتشوف لظاهر هيئتها بل تحقق أنها انما هي صحف القوم السالفين منقوشة في صلب الاحجار واساطير الاولين محفوظة في عين الآثار نقرأ فيها الآن قراءة نعرفها ونطالع فيها من غير وقفة نقفها وقائع تاريخية كانت هذه الجمادات الناطقة من معاصريها بحيث لا ريب ولا شبهة فيها

ويلي شهادة الآثار المصرية القديمة في الرتبة تاريخ مصر الذي ألفه باللغة اليونانية قبل الهجرة بنحو ٨٧٢ سنه (٢٥٠ قبل الميلاد) القسيس المصري المسمى مانيتون (راجع في التذييل جدول بيان العائلات الملوكية المصرية حسبما أورده مانيتون) وفي الحقيقة لو كان قد وصل الينا هذا الكتاب على حاله فلا كان يوجد لمن يتعنى معرفة أحوال الديار المصرية

من شىء أوثق منه فان هذا الرجل كان مصرى المولد قسيسا لم يقتصر فضله على معرفة اسرار دينه فقط بل كان له خبرة بآداب الامم الاجانب حيث كان حائزا لمعرفة اللغة اليونانية فلقد كان مانيتون هذا حقيقة أهلا لان يكتب تاريخ وطنه على أتم وجه وكان هذا الكتاب لو بقى لنا كنزا حقيقيا لا يفنى ومعدنا نفيسا به عن كل ماسواه يستغنى ولكن صالت عليه يد الدهر الصائل واغتالته الغوائل فخفى فى زمرة ماخفى من كتب الاولين وآداب الامم السالفين ولم يصل الينا منه الا بعض قطع رواها بعض المؤرخين الذين جاؤا بعده وهو على ماصار اليه من سوء الحال وتطرقه من غائلة الاختلال لم يزل لغاية الآن عمدة يعتمد عليه وثقة كثيرا مايرجع اليه ولقد صدق المؤرخون حيث ابا المؤرخ الاهلى فى نقلهم عنه يعبرون ويعقب تاريخ مصر للقسيس مانيتون والآثار المصرية القديمة مايوجد من الفوائد التبعية والاستدلالات التاريخية التى صار العثور عليها متفرقة بخصوص مصر فى كتب التواريخ اليونانية واللاطنية فمن ذلك أولا المؤرخ هيرودوت أوهيرودوتس وهو رجل من المؤرخين اليونانيين وفد على الديار المصرية قبل الهجرة بنحو ١٠٧٢ سنه (٤٥٠ قبل الميلاد) وترك لنا فى تاريخ ألفه وصفا لهذه الديار لا بأس به

ثانيا المؤرخ ديودور الصقلى وهو رجل سياح من اليونان أيضا وفد على مصر وساح على شواطئ النيل فى سنة ٦٣٠ قبل الهجرة (٨ سنين قبل الميلاد) وافرد بابا مخصوصا للكلام على مصر فى كتاب ألفه كما فعل المؤرخ هيرودوت

ثالثا استرابون وهو من علماء الجغرافيا اليونانيين كان لديودور الصقلى

المذكور

المذكور قبله تقريبا من المعاصرين ولقد أفادنا فيما يتعلق بجغرافية وادي مصر بأنفع الفوائد وأعاد علينا من معلوماته في هذا الصدد أضبط العوائد

رابعا المؤلف بلوتارك الذي ألف في سنة ٥٢٢ قبل الهجرة (٩٠ سنة بعد الميلاد) رسالته باللغة اليونانية المتعلقة بايضاح مادة ما كان قدماء المصريين يعبدونه من الالهين الكبيرين المعروفين باسم ايزيس واوزيريس ولقد أودع هذه الرسالة مما يتعلق بديانة المصريين القديمة ما حقق المحققون من علماء المتأخرين انه هو بعينه ما كان يتناقله سلف المصريين جيلا بعد جيل من الاحاديث

اذا علمت هذه الفوائد التي أوردناها لك ليتحقق عندك قوة الاسانيد التي اليها استندنا ودرجة الاعتمادية التي عليها اعتمدنا فيما نسطره من خلاصة تاريخ مصر ونحرره من نتيجة أحوالها السابقة ساغ لنا أن نقسم جملة العائلات الملوكية المصرية التي هي أربع وثلاثون طائفة الى خمسة اعصار كبيرة

الاول الدولة القديمة أو عصر الجاهلية الاولى ويستغرق من العائلة الملوكية الاولى الى الحادية عشرة

الثاني الدولة المتوسطة أو عصر الجاهلية الوسطى ويستغرق من العائلة الملوكية الحادية عشرة الى الثامنة عشرة

الثالث الدولة الحادثة أو عصر الجاهلية الاخيرة ويستغرق من العائلة الملوكية الثامنة عشرة الى الحادية والثلاثين

الرابع عصر اليونانيين بمصر وهو عبارة عن مدة العائلتين الملوكيتين الثانية والثلاثين والثالثة والثلاثين

الخامس عصر الرومانيين بمصر وهو عبارة عن مدة العائلة الملوكية الرابعة والثلاثين ولنفتتح خلاصة تاريخ مصر مدة الجاهلية بتاريخ الدولة القديمة أى عصر الجاهلية الاولى فنقول

(الباب الاول)

فيما يتعلق بدولة مصر القديمة اى عصر الجاهلية المصرية الاولى وهو عبارة عن تاريخ مصر من اول العائلة الملوكية الاولى الى الحادية عشرة

مبدأ الدولة المصرية القديمة هو من وقت انشاء الحكومة الملكية بمصر وذلك فى سنة ٥٦٢٦ قبل الهجرة (٥٠٠٤ قبل الميلاد) وتنتهى بانتهاء مدة العائلة الملوكية الحادية عشرة وقد مكثت ١٩٤٠ سنة ولما كان أول عهد انشاء الحكومة الملوكية بمصر بعيدا عنا جدا كان تاريخ ذلك العصر مستغرقا فى بحر الظلمات هاويا فى هاوية الجهالات وانما بواسطة تقدم العلوم والمعارف واستنادا الى بعض وقائع نظرية لا ريب فى صحتها وملاحظ أدبية لاشك فى قوتها حقق أهل التحقيق من العلماء ان أصل منشا التمدن المصرى فى المدة القديمة قبل أن يعلم لها تاريخ ورد اليها من بلاد آسيا الا من جهة الجنوب ولكن فى أى وقت استوطن بها أهلها المقيمون بها الغاية الآن وكيف اتسعت مادة هذا التمدن الذى بلغ

لهذه

لهذه الدرجة العجيبة والمرتبة الغريبة هذه مسائل مشكلة بحسب التضمين لا يمكن انحلالها وعقده عضلة لا ينفك عضالها أبدا وعلى كل حال فقد اتفقت سائر النقول وأجمعت جميع الاصول على ان الملك مينيس هو اول ملوك العائلة الملوكية المصرية الاولى ولكن هل سبقه ملوك آخرون كانوا ملوك طوائف بمصر من قبله وكان هو الذى جمع الديار المصرية فى قبضة ملك واحد كما زعم بعض المؤرخين أم لا هذه أيضا مسئلة لا يمكن القول فيها بالاثبات لما انها دعوى لا دليل عليها وانما المحقق هو ان فرعون مصر الاول المسمى مينيس هذا الذى كان اول مؤسس للمملكة المصرية فى قديم الازمان لم يكن وجوده من قبيل الخرافات وان كان بعيد العهد ما جدا ولا يتراءى لنا الامن وراء حجاب الاعصار الخالية بحيث يظهر أن وجوده انما كان فى دور طفولية الجنس البشرى وعلى حسب ما ذكره القسيس مانيتون تكون الثلاثة عائلات الملوكية الاول قد حكمت مدة ٧٦٩ سنة والآثار الباقية لنا من عهدهم ليست بكثيرة وبالتأمل فيها يرى عليها من علامات الغلظ والتوحش وعدم الثبات فى الطريق المستقيم من الفن ما يدل على ان مصر فى الوقت الذى صار فيه انشاء هذه الآثار كانت على حالة البداوة الاولى لم تهتد الى الطريق ولم ترشد لسبيل التحقيق فعهد العائلات الثلاثة المذكورة كان بالنسبة لمصر هو عهد التفريخ الاول الذى لابد وأن يمر به جميع الملل فى مبادى أمرهم

وأما بظهور العائلة الملوكية المصرية الرابعة فى سنة ٤٨٥٧ قبل الهجرة (٤٢٣٥ قبل الميلاد) فان تاريخ مصر قد اخذ فى الاستهلال وبرز من كساء الظلام الذى كان به فى الاشتمال لغاية ذلك العهد وصار

العثور لهذا العصر على آثار أكثر من آثار العصر السابق تأذن للمؤرخ بضبط وقائع تاريخية وقعت فيه ورواية حوادث جليلة مما تحتويه وكان الملك الظاهر على هذا العصر هو الذى يسميه المؤرخ هيرودوت بالملك كيوبس ويسمى فى نصوص القيودات المسطرة على الآثار بذلك العصر باسم الملك خوفو والظاهر أن الملك كيوبس المذكور كان ملكا مجاهدا فانه مصور فى النقوش الموجودة بوادى المغارة (فى بحيث جزيرة الطور) على شكل مقاتل يقمع طائفة بنى اون وهم قبيلة من عرب البوادى الذين كانوا موجودين بتلك النواحى فى ذلك العصر وكان يحصل منهم التعدى على الحدود الشرقية من الجهة البحرية من وادى مصر وكان الملك كيوبس أيضا مشغوفا خصوصا بحب مادة ابتناء المبانى وتشييد العمارات فان أعظم الاهرام الموجودة بالديار المصرية وأشهرها كانت قبر هذا الملك وعلى ما قيل ان مائة ألف عامل كانوا يتناوبون العمل فى كل ثلاثة أشهر يستبدلون بغيرهم باشروا بناء هذه العمارة الجسيمة التى امر بانشائها الملك المذكور فى مسافة ثلاثين سنة وفى الحقيقة ليس فوق طاقة ارباب الصناعة المتأخرين ان يعملوا نظيرها وانما الذى يصعب ولو فى أيامنا هذه هو أن يبنى فى داخلها حجرات بطرقات تصل بعضها ببعض ومع ما هو محمول عليها من الاثقال الجسيمة تمكث مدة ستين قرنا من الزمن على أتم حال بدون أن يعتريها أدنى اختلال

وأما مرتبة العائلة الملوكية الرابعة بالنسبة لباقى العائلات المتداولة على كرسى مملكة مصر فى مدة الدولة القديمة فلاشك انها تحل منها الذروة العليا والدرجة القصوى فانا نرى أنه من أول عهدها جرت فى مادة

التمدن

التمدن بمصر على حين غفلة حركة عجيبة وسرت فيها نسمة غريبة وزالت عن مصر الموانع وبدا بها أسعد الطوالع من عجائب التمدن التى لم يكن لها نظير فى ذلك الوقت فى جميع بلاد العالم وانتظمت بها الجمعية التأنسية انتظاما تاما والتأم أمر العمارية فيها التئاما عاما فترى الفنون والصنائع قد بلغت فيها فى ذلك العصر من الاتساع وارتقت بها من الارتفاع الى درجة لم يفقها أبهج الاعصار التى تيسرت للديار المصرية فيما بعد الا بشئ يسير جدا واختطت المدن وتأسست القرى وازدحمت الارياف بالمنازل الزراعية العديدة والدور الفلاحية الجديدة واعتنت الاهالى بتربية الدواب التى لا تحصى فيها واقتنت الغزلان وطير الكركى والاوز الوحشى فى الحالة الاهلية لديها وامتلأت الارض بالمزارع الجيدة الغزيرة وجاءت بالمحصولات المخدومة الكثيرة وتحسنت المساكن الاهلية وتزينت المواطن البلدية باتقان فن الهندسة والعمارات واحسان البنايات فترى رب الدار مقيما بها محببا الى أهله وذويه محترما لدى اتباعه وبنيه تارة يزرع بها الازهار وطورا يتمتع بالتفرج على أنواع لعب ورقص تفعل امامه بحضرة الزوار وتارة يشتغل باقتناص الطيور والوحوش من الصحارى والبوادى واخرى يصطاد الاسماك من الترع والخلجان المنتشرة فى ساحة الوادى وترى كثيرا من السفن الكبيرة ذات الشراعات المربعة تخطر على وجه ماء النيل من أجله موسوقة بمواد تجارة تظهر لعين الرائى من غير تشكك ولا ترديد شديدة الحركة كثيرة البركة بما الاعليه من مزيد وبالجملة فهيئة مصر تظهر للرائى فى ذلك العصر من سائر الوجوه بصورة شاب يتحلى عنفوانا وقوة ويتلألأ نخوة وفتوة

كيف لا وان تمثال الملك كفرين العجيب الموجود بخزانة الآثار المصرية التى احسن بانشائها على أهل العلم حضرة أفندينا اسماعيل باشا صاحب مصر وهو أتقن صنعة وأحسن قطعة أبرزتها يد صناعة التصوير فى الحجر بعصر ولم يزل على حاله وهيئة كماله بعد مضى ستين قرنا من الزمن عليه هو من اعمال هذه العائلة الملوكية الرابعة أو ما علمت ان الاهرام التى استحقت عند السلف أن تحسب فى ضمن عجائب الدنيا السبع هى من آثار ذلك العصر أيضا

وكان تخت المملكة المصرية فى عهد العائلتين الملوكيتين الاولى والثانية تارة مدينة تينيس (المعروفة الآن بخرابات المدفونة باقليم جرجا) وتارة مدينة منف أو منفيس التى هى قرية ميت رهينه (باقليم الجيزة) وأما فى مدة العائلة الملوكية الخامسة فكان تخت المملكة بجزيرة ايلفنتين (وهى جزيرة اسوان) ولم يحصل فى عهد هذه العائلة الملوكية حادثة تاريخية مهمة تقتضى الالتفات اليها واغفالها بعض آثار فى جملة الآثار المصرية القديمة منها مسطبة فرعون الموجودة بجهة سقارة (من اقليم الجيزة) ومنها عدة مقابر فى ضمن مقابر تلك الجهة فى غاية من الاتقان والحفظ صار استكشافها فى المدة الاخيرة بواسطة الكشف والتفحص الجارى عن الآثار المصرية القديمة لصيانتها فى خزينة الآثار المصرية الكائنة ببولاق

ولما مات آخر ملوك العائلة الملوكية الخامسة استولت على كرسى المملكة المصرية عائلة أخرى قال القسيس مانيتون ان أصلها من مدينة منف وأشهر ملوكها اثنان الملكة نيتوكريس والملك ابابوس فاما الملكة

نيتوكريس

نيتوكريس المورّدة الحذين كما وصفها بذلك مانيتون فى تاريخه فقد كانت على ما قيل أشهر أهل عصرها منصبا وجمالا وأظهرهم فضلا وكمالا ويحكى عنها أنه كان لها أخ قتله بعض الناس وأرادت أن تنتقم ممن قتله فجذبت المذنبين الى سرداب تحت الارض واعدت لهم وليمة فيه فلما التهوا فى لذات المآكل والمشارب أجرت عليهم ماء النيل فأغرقهم جميعا

وأمّا الملك ابابوس فانه كان ملكا مغازيا كالملك كيوبس ولم تكن شلالات النيل حينئذ مانعة من سير المراكب كالآن (خصوصا شلال وادى حلفة) وكانت حدود مصر من جهة الجنوب غير ذات منعة مفتوحة للاغارة عليها من الطائفة المسماة فى ذلك الوقت باسم هوهو وهى طائفة من الزنوج المؤذين بتلك الجهات فسعى الملك المذكور لقتال هذه الطائفة وأدخلها تحت الطاعة وكذلك أطاع للدولة المصرية قبيلة غير معلومة من عرب البوادى تسمى بنى هيروشة وكان جماعة من المصريين يعملون فى استخراج معادن النحاس فى بحيث جزيرة الطور فكدر عليهم أقوام من القبائل الموجودين بتلك النواحى فعاقبهم الملك ابابوس بما فعلوا أيضا ويكثر اسم الملك ابابوس هذا فى الكتابات المسطرة على الآثار المصرية القديمة فيوجد واردا بالآثار الموجودة بجهة اسوان وجهة الكاب (باقليم اسنا) وناحية قصر الصياد (باقليم قنا) وناحية لشيخ سعيد وزاوية الميتين (باقليم المنيا) وفى جهة سقارة (باقليم الجيزة) وفى ناحية سان (باقليم الشرقية) ويوجد مصورا فى الصخور الكائنة بوادى المغارة وفى محطة القوافل المسماة بالحمامات من طريق قنا الى القصير

ولما كان مدلول لفظ ابابوس باللغة المصرية القديمة طويل القامة كان

ذلك بحسب الظن أصل ما يتناقل من حديث ان الملك ابابوس المحكى عنه كان طوله سبعة أذرع ويقال انه حكم مصر مائة سنة

ثم انه من آخر عهد العائلة الملوكية السادسة الى أول عهد الحادية عشرة انقضت مدة فترة من الآثار المصرية تبلغ ٤٣٦ سنة لم يعثر فيها على عمارات تستنطق عن الوقائع التاريخية التى وقعت فيها فياليت شعرى هل كان قد حصل فى أثناء تلك المدة على بلاد مصر اغارة من بعض أقوام أجانب لم يبلغ خبرهم أهل التواريخ بعد والقسيس مانيتون سكت عن ذكرهم فى تاريخه ولم ينظر الا للعائلات الملوكية الحقيقية الذين كانوا لم يزل لهم الدولة على الديار المصرية فى ذلك الوقت وان كانوا محصورين فى داخل مدنهم أم كيف كان الحال نعم لاشك فى ذلك فانه متى ذكرت مصر فالمتبادر للذهن والاقرب للصواب هو قبول القول بشن الغارة عليها من بعض الاغراب وذلك ان هذه البلدة الطيبة والبقعة المباركة لالداعى ما منحها الله سبحانه من أنواع الخيرات وكثرة الثمرات فقط بل أيضا لاسباب حسن موقعها الجغرافى وجمال موضعها الوافى بين سائر الاقطار لازالت تشخص لها الالحاظ وترمقها الابصار على الدوام والاستمرار ومن أسباب فخرها المستمر على ممر الازمان وسعدها المستقر منها فى كل مكان بل ومن موجبات شقاوتها ومقتضيات سوء أحوالها من مبدئها الى نهايتها أنها لازالت تتحرك اليها الشهوات وتزدحم عليها الرغبات وتقتحم دونها الاخطار وتتعلق بها الاطماع فى كل عصر من الاعصار ولكن حيث كان ليس لنا برهان قاطع فمن باب الجراءة أن نجزم بأن ما اعترى الديار المصرية على حين غفلة من الفترة فى مادة العمارات

الاهلية

الاهلية ووقوف حركة المنشآت الاثرية من بعد العائلة السادسة الملوكية انما هو ناشئ عن أحد أمرين اما عن بعض أحوال الفتور واعراض الغشيان التى قد تعرض لارواح الملل فى بعض الازمان كما قد يحصل فى القوى الحيوية لبعض الافراد من الناس فى بعض الاحيان وأما عن جهلنا بالجهات التى توجد بها آثار العائلات الملوكية الاربع التى نحن الآن بصددها نحاول كشف الغطاء عن أحوال مددها حتى كأننهتدى اليها ونستدل بها عليها ولعل هذا الامر الاخير هو الطرف الارجح والوجه الانجح وهذه كما لا تخفى هى احدى المسائل التى تتكفل بوظيفة حلها وتقوم ان شاء الله للعالم العلمى بازالة جهلها مصلحة الكشف والتفحص عن الآثار القديمة المصرية الجارى فيها الآن بعصر العمالية وههنا تنتهى مدة التسعة عشر قرنا من الزمن التى عبرنا عنها بمدة الدولة المصرية القديمة أو عصر الجاهلية الاولى وفيها بلغت مصر من التمدن الى مقام كبير هو بالاعتبار والالتفات اليه جدير فانه بوقت أن كانت سائر جهات الارض مغمورة فى ظلمات الجهل وأشهر الامم الذين صار لهم فيما بعد اليد الطولى والتصرف الاعلى فى أحوال العالمين لم يزالوا على حالة التوحش عاكفين كان بشواطئ النيل قوم أولو حكمة وكمال وفضل من التمدن وافضال يلى أمرهم ويسوس حلهم وعقدهم حكومة ملكية محترمة يخدمها طوائف مهابة منتظمة من أرباب الوظائف العمومية والمستخدمين الميرية

وبالجملة فان التمدن المصرى القديم من أول وهلته وابتداء طلعته يظهر لعين الرائى من خلال تلك الاعصار الخالية والمدد الطويلة الماضية

بلوغه لدرجة الكمال وأتم أحوال بحيث يكاد أن لا تفيده شيأ جديدا الاعصار التالية فى أمر من الامور ولو بلغت ما بلغت على ممر الدهور بل ربما صح أن يقال ان مصر من بعض الوجوه قد تنازلت عن درجتها وسقطت عن رتبتها حيث لم يتيسر لها فيما بعد ذلك بناء مثل هذه الاهرام الجليلة وانشاء نظير هذه الآثار الجميلة

الباب الثانى

فيما يتعلق بالدولة المصرية المتوسطة او عصر الجاهلية الوسطى

وهو عبارة عن تاريخ مصر من مبدا العائلة الملوكية الحادية عشرة الى الثامنة عشرة

تبتدأ الدولة المصرية المتوسطة أى عصر الجاهلية الوسطى من العائلة الملوكية الحادية عشرة فى سنة ٣٦٨٦ قبل الهجرة (سنة ٣٠٦٤ قبل الميلاد) وتنتهى بالثامنة عشرة وتمكث ١٣٦١ سنة

اذا تقرر فى ذهنك ما اسلفناه آنفا من صفة الحال التى كانت عليها الديار المصرية حين ما انقرضت العائلة الملوكية السادسة بانقراض كل من الملك اپاپوس والملكة نيتوكريس فاعلم انه بذلك الوقت اعترى سير الجمعية المدنية المصرية على حين غفلة وقعة لم تكن على البال وعرض على قواها التأنسية فترة كأنما غشى عليها فى الحال فتعطلت حركتها وبطلت قوتها وبقيت مصر مسافة ٤٣٦ سنة اعنى من بعد العائلة الملوكية السادسة الى الحادية عشرة فاترة الهمم كأن لم تعد فى عداد الامم

فلما جاءها كل من طائفتى الملوك الاتيفيين والملوك المنتوهوتيبيين اللتين هما من ملوك العائلة الملوكية الحادية عشرة هبت من نومتها الطويلة واستيقظت من غفلتها الوبيلة كأنما نشطت من عقال أو انطلقت من سلاسل وأغلال وآلت بها الحال الى أحسن المآل وانتسيت الاحاديث القديمة وانتسخت بالكلية تلك الحال الوخيمة حتى تغير فى هذا العهد الجديد ما كان معتادا بين الاهالى من أسماء العائلات والعشائر والالقاب الرسمية والعناوين التى كانت معهودة فى المدة السابقة لارباب الوظائف العمومية وسائر المستخدمين وحتى تبدلت كيفية الكتابة وشعائر الدين وكأنما انقلبت الديار المصرية من جميع الوجوه فى قالب مستجد او خلقت خلقا آخر للصلاح مستعد وفى هذه المدة الثانية لم يكن تخت المملكة المصرية مدينة تينيس ولا جزيرة ايلفنتين ومدينة منف أو منفيس بل انتقلت مرتبة تخت الملك الى مدينة طيبة (وهى الناحية المسماة بمدينة آبو باقليم قنا) وهو أول مرة عهد لهذه المدينة هذا المنصب وخرجت فى هذا العهد عن يد الدولة المصرية حصة جسيمة من أرض مصر التى كانت فى حوزتها ولم يبق فى طاعة ملوكها الحقيقيين غير ولاية صغيرة من اقاليم الصعيد والذى دل على هذه الفوائد العامة وحققها وأثبت صحتها وصدقها هو ما نتج من النظر فى الآثار المصرية القديمة التى استكشفناها أخيرا بمصلحة الكشف والتفحص عن الآثار المصرية وآثار هذا العصر يرى عليها علامات الغلظ والبداوة وربما كانت من الشعث والخشونة بمكان وبمجرد النظر اليها يرى أن مصر فى مدة العائلة الملوكية الحادية عشرة كأنما عادت لسن الطفولية الاول الذى

كان قدمر عليها فى عهد العائلة الملوكية الثالثة

ولما انقرضت هذه العائلة الملوكية الحادية عشرة بمن جاءت به من الملوك الخاملين أعقبتها العائلة الثانية عشرة بأمثال الملوك الاوزورتازانين والملوك الامونتهين فتقلدوا تاج المملكة المصرية من بعدهم وبظهور العائلة الملوكية الثانية عشرة هذه تظهر الدولة المصرية ثانيا على حين غفلة بمظهر عصر من أبهج الاعصار التاريخية المصرية فترى مصر من مبدا عهد الملك أوزورتازان الاول قد استردت ما كان قد خرج عن قبضتها فى العهد السابق من أراضيها واسترجعت حدودها الاصلية الطبيعية من جهة الشمال أعنى لغاية البحر الابيض المتوسط والى حد بحيث بجزيرة الطور وكذلك من جهة الجنوب أخذت تقاتل من ذلك الوقت عن الطريق التدبيرى العظيم الشان والمسلك السياسى العالى المكان الذى لم يزل مطمح نظرها فيما بعد ذلك مدة ثلاثين قرنا من الزمن على الدوام ونصب تحديق بصرها على ممر اللحظات والايام من تطلب وضع اليد على سائر الاراضى التى يسقيها النيل بوجه الحق والاستحقاق ولو حصل لها ما حصل فى جنب ذلك من المشاق وذلك انه كان يوجد فى ذلك العصر فيما بين أول جنادل النيل الى قريب من أقصى بلاد الحبشة دولة من الدول القديمة كانت بالنسبة الى دولة مصر فى سالف الزمان كمدارية السودان بالنسبة للحكومة المصرية الآن وهى بلاد الايتوبية أى بلاد الزنج المعبر عنها باللسان المصرى فى ذلك الوقت ببلاد الكوش وهذه الولاية وان لم يكن لها حدود متعينة مربوطة ولا ثغور مخصوصة مضبوطة بل ولا اتحاد أمر ترجع فى سياسة ملكها اليه ولا بيان قدر

من

من الاراضى تحت يدها يعتقد عليه كانت معمورة بطوائف عديدة من الناس مختلفى الاصول والانواع وأكثرهم عددا طائفة الكوش وهم قوم من بنى سام ولد نوح وردوا من بلاد آسيا ببوغاز باب المندب واستوطنوا شواطئ أعلى النيل فى وقت مجهول لدى المؤرّخين غاية هذا الحين

والظاهر أن طائفة الكوش المذكورين كانوا فى ذلك الوقت بالنسبة للمصريين هم العدوّ الازرق والخصم الذى بتوجيه هممهم اليه أحق فان جميع القوى الاهلية والعساكر الجهادية المصرية كانت متجهة الى تلك الجهة فى ذلك الوقت ولاجل مقاومة هؤلاء الاقوام المتغلبين صار انشاء قلعتى كنه وسمنه على طرفى النيل فيما وراء الشلال الاول ومن ذلك يؤخذ أن المملكة الفرعونية كانت حين ذاك الى ذلك الحد منتهية من الجهة الجنوبية وعلى أى حال فرضت سائر أقسام الارض فى ذلك العصر من أحوال التدبير وسياسة الامور فان دولة مصر فى مدة العائلة الثانية عشرة لم تكن تعدت شواطئ نيلها المبارك ومع ما حصل فى الخارج من الوقائع الحربية مما اكتسى به اسم كل من الملوك الاوزورتازانين والملوك الاموتنهين ملابس الفخار التى لم تبل على ممر الاعصار كانت مصر لم تزل مجتهدة فى داخلها غاية الاجتهاد فى الحصول على ما يقوّى شوكتها ويعضد قوّتها بمساعدة سائر فروع التمدّن والعمارة ونشر أسباب التهذيب والحضارة ثم قد دهى الديار المصرية فى أثناء تلك المدة غارة عامة ترتب عليها ازالة جميع العمارات الاثرية الكبيرة التى كانت قد انشئت بمصر فى ذلك العصر من أصلها وسنتكلم عليها قريبا ولم نعثر مما يدلنا على حقيقة

حال آثار مدة العائلة الملوكية المصرية الثانية عشرة على غير بعض اهرام متفرقة ومسلة المطرية بالقرب من القاهرة ولكننا وان لم نجد من آثار تلك المدة قصورا ملوكية ولا هيا كل دينية فقد اهتدينا فى جملة النواويس (أى القبور الكفرية) الموجودة بالجهة المعروفة بناحية بنى حسن (باقليم المنيا) بما يثبت لنا هذه الدعوى التى ادعيناها والحقيقة التى أبديناها لما لاحاجة لنا معه الى ماعداها فقد رأينا فى جملة الاشياء المتنوعة المرسومة مع غاية الاتقان ونهاية الابتداع والاحسان على عدة من حيطان المقابر بتلك الجهة مايدل دليلا صحيحا وبرهانا راجحا الامر جوحا على أن عصر العائلة الملوكية الثانية عشرة كان على الديار المصرية أتم صلاحا ونجاحا وأعم رفاهية وفلاحا من عصر العائلة الملوكية الرابعة فمن ذلك ماهو مسطور على قبر رجل من أعيان ذلك الزمان يسمى آمونى كان من قواد الجنود ومدير الاقليم الذى كانت ناحية بنى حسن من ضمنه فى عصره ولعمرى لهذه النقوش بما احتوت عليه من الفوائد التاريخية الجليلة وحسن السيرة هى بالذكر هنا جديرة حيثما بالظفر بها ومصادفة النظر اليها يتصور للفهم كأنما مصر مختلس أخذ بفعلته وقبض عليه بذنبه فى وقت مباشرته ولنلم بشىء مما تضمنته هذه الرسوم فنقول انك اذا نظرت الى هذه الرسوم العجيبة والنقوش الغريبة من جهة ترى تارة صورة دواب تخدم بقصد تسمينها وتارة هيئة أرض تحرث بمحاريث على منوال المحاريث الجارى بها العمل لغاية الآن بنواحى مصر ومرة أخرى تشاهد منظر مزرعة من الارض يحصد بها القمح أو شكل مجرنة يدرس بها أنواع من الغلال والحبوب تدوسها الدواب بحوافرها وترى من جهة

أخرى

أخرى كيفية السفر على النيل فى ذلك الوقت فترى سفائن كبيرة تنشأ وأخرى تشحن وترى أصنافاً عديدة من الامتعة المنزلية المتقنة الصنعة وأثاث البيت المستحسن البدعة متخذا من أنواع الاخشاب النفيسة وأنواعا من الملابس تجهز وتخاط وغير ذلك ثم ترى فى زاوية من القبر ذات الامير آمونى يقص قصة حياته بلسانه ويحكى سيرة مناقبه بنفسه يقول ما معناه انه بوظيفة قائد عسكر قاد الجنود لقتال طوائف الزنوج فى واقعة بلاد السودان وكان أمير قافلة جابت الذهب المستخرج من معادن جبل آتوكى الى مدينة قفط (باقليم قنا) يحوطها تحت قيادته أربعمائة رجل من الجنود المصرية وبوظيفة مدير اقليم من الاقاليم المصرية أحسن السيرة فى الاهالى المنوطين لامانته حتى استحق حسن الثناء عليه والالتفات اليه من مولاه وولى نعمته بحسن ادارته ومعنى نص عبارته فى هذا المقام يقول كانت جميع الاراضى فى مدة ادارتى بسائر أطراف الاقليم المنوط لامانتى محروثة مخدومة مزروعة منظومة بسائر أنواع الحبوب من الشمال للجنوب ولم يسرق شئ مما تحت يدى من المعامل ولم أقهر صبيا ولا ضربت فى مدة ولايتى أرملة من الارامل وسويت فى العطاء بين المتزوجة والارملة وعدلت فى أحكامى بين الصغير والكبير والحقير والخطير انتهى

ولنا دليل آخر أشهر من أن يذكر وأكبر من أن يشهر يدل لنا الدلالة الواضحة على ما كانت عليه الديار المصرية من القوة الاهلية الداخلية والشوكة الملكية فى أيام الملوك الاوزورتازانين والملوك الاموتنهين من ملوك العائلة الملوكية الثانية عشرة المذكورة وهو بحيرة موريس فانه

لايخفى على أحد أمر النيل بالنسبة لوادى مصر من حيث انه اذا نقصت زيادته عن عادتها بقيت بعض الاراضى الزراعية من غير رى وصارت بالضرورة غير منزرعة وان كان فيضانه بعنفوان قطع الجسور وأغرق القرى وأساء حال الاراضى بدلا عن أن يخصبها وبهذه المثابة ترى مصر على الدوام تتردد منه بين آفتين مهولتين على حد سواء احداهما خشية نقصه عن العادة والاخرى خوف المبالغة فى الزيادة ولما عرف منه هذه المضار فرعون مصر المسمى أمونتها الثالث أحد ملوك العائلة الملوكية الثانية عشرة أراد أن يتداركها فعول فى ذلك على عملية جسيمة أجرى عملها وذلك انه يوجد بالصحراء فى جهة الغرب من مصر بادية عظيمة من الاراضى القابلة للزراعة (وهى الفيوم) ضائعة فى وسط الصحارى تتصل بوادى النيل الاصلى بقطعة من الارض كالبرزخ وفى وسطه سهل مستو مرتفع متسع يضاهى عموم سطحه فى الاستواء سطح الاراضى المصرية مع أن فى غربيه أرضا منخفضة جدا ايتكون عنها واد تغمر مياه بحيرة طبيعية هنالك طولها أكثر من عشرة فراسخ (وهى المعروفة ببركة قارون) فأمر الملك أمونتها الثالث بحفر بركة صناعية أخرى فى وسط السهل المذكور تبلغ مساحة سطحها عشرة ملايين من الامتار المربعة فان كانت زيادة النيل ضعيفة فتحت البركة المذكورة فيخرج من المياه المخزونة بها ما يكفى لسقى مزارع بادية الفيوم بل وسائر أراضى الجانب الايسر من النيل الى البحر الابيض وان كان فيضان النيل بحيث يخشى منه افساد الجسور انصرف القدر الزائد عن المنافع الضرورية الى تلك البركة الصناعية فان طفحت فيها المياه أيضا انصرف ما زاد عنها الى بحيرة قارون بواسطة قنطرة تسد وتفتح

بحسب

بحسب الحاجة

وبالجملة فان كلا من لفظى موريس والفيوم المعبر بهما فى مصر من منذ ذلك العهد عن هذه البدعة الحسنة التى اقترحها الملك أمونتها الثالث قد بقيت على ممر الازمان لغاية الآن ينطق بها كل لسان أما لفظة موريس فان أصلها ميرى (بامالة الميم بعدها راء مكسورة يليها ياء تحتية) ومعناها بحيرة فحولها اليونانيون الى كلمة موريس وقالوا بحيرة موريس زاعمين أن موريس اسم لاحد الفراعنة المصريين وليس بشئ وأما لفظة الفيوم فأصلها بيوم (بياء موحدة مكسورة أوله يليها ياء تحتية خفيفة فواو فيم)

ومعناها أيضا البحر فى لغة المصريين القديمة ثم عربها العرب فقالوا الفيوم على نفس الاقليم تسمية للارض باسم الماء الذى أخصبها باقتراح الملك أمونتها المذكور وبما توضح يعلم ما يوجد من جليل الفائدة فى ذكر العائلة الملوكية التى ينسب اليها بنو أوزورتازان ويمكن أن يقال من غير نكير أن العائلة الملوكية المصرية الثانية عشرة هى من أشهر العائلات الملوكية التى تناوبت دولة الفراعنة ومن أفضلها وانها بالنسبة للدولة المتوسطة فى مرتبة أمثال الملك كيوبس والملك كفرين المذكورين آنفا بالنسبة للدولة القديمة

ثم جاءت العائلة الملوكية الثالثة عشرة وأشهر ملوكها أيضا الملوك النوفريهوتيبون والملوك السيبكهوتيبون ولا علم لنا بحال هذه العائلة الا بما دلت عليه الآثار المصرية القديمة والذى ذكره القسيس مانيتون بخصوصها هو فقط أن عدة ملوكها كانوا ستين ملكا وأن مجموع مدتهم

كانت ٤٦٣ سنة ولم يتعرض لذكر أسمائهم ولم يصل اليناشئ من آثارهم وانما استنبطنا من تماثيل وألواح حجرية استكشفناها بناحية سان ومدينة أبيدوس (وهى خرابات المدفونة وخرابات المدفونة يعرف بها أيضا محل مدينة تينيس كما تقدم) أن الديار المصرية فى مدة حكم ملوك العائلة الثالثة عشرة لم تزل باقية على حالها من التمدن القديم والعمار المستقيم وأما بخصوص الوقائع الحربية التى يقال انها حصلت فى ذلك العصر فلا سبيل للغوص فيها الا بطريق الحدس والتخمين ومع ذلك فالذى يؤخذ من استكشافاتنا بناحية سان ومن تمثال هائل صار العثور عليه فى جزيرة بالقرب من دنقله يقال لها جزيرة أرجو من آثار العائلة الملوكية الثالثة عشرة المذكورة هو أن المملكة المصرية امتدت حدودها فى عهد العائلة الملوكية الثالثة عشرة عما كانت عليه فى مدة الثانية عشرة

وههنا حادثة غريبة مما يتعلق بهذه المدة تستحق الذكر وتستوجب أعمال الفكر وهى أنه يوجد فيما فوق وادى حلفه على القرب من القرية المسماة سمنه صخور وعرة المرق رأسية الوضع على حرف النيل يوجد عليها كتابات بالقلم المصرى القديم منقوشة على ارتفاع سبعة أمتار فوق أعلى ما تبلغه المياه اذا وصلت لاعلى درجة من الزيادة الآن ومن ترجمتها يعلم أن النيل كان فى عصر العائلة الملوكية الثانية عشرة والثالثة عشرة اذا بلغ أقصى زيادته يصل الى موضع النقش من تلك الصخور واذا صح ذلك فان النيل كان قبل هذا العصر بأربعين قرنا من الزمن يبلغ عند الشلال الثانى الى أكثر مما يبلغه فى عصرنا هذا من الارتفاع بسبعة أمتار وهذه مسئلة غريبة الخبر تقتضى امعان النظر ولم يصل لحلها العلم لغاية الآن .

الآن ولعل السبب فى اختلاف ارتفاع مياه النيل هو ما اعتنى بعمله فراعنة الدولة المتوسطة من الاعمال الجسيمة فى ماء النيل بقصد الامتناع من غائلته والانتفاع بزيادته أو للتحصن من غارات أعدائهم الذين كانوا يتهجمون عليهم من السودان بجعل هذا الشلال حصنا طبيعيا ومانعا قويا من نزول سفنهم اليهم وشن الغارة عليهم ولكن هذا قول ينبغى أن نقف لديه ولا نجارى عليه

وأما العائلة الملوكية المصرية الرابعة عشرة فلا علم لنا بحالها مطلقا وزعم بعض المتأخرين انها كانت معاصرة للعائلة الثالثة عشرة وانها كانت مستولية على الاقاليم البحرية من مصر حين كانت العائلة الثالثة عشرة المذكورة تلى اقاليم الصعيد ويناقض هذا القول ما يظهر من تماثيل ملوك العائلة الثالثة عشرة التى وجدت بناحية سان وحفظت بخزانة الآثار المصرية الكائنة ببولاق

ودليل ذلك كما لا يخفى على كل ذى نظر انه لو كان ملوك العائلة الثالثة عشرة منحصرين فى اقاليم الصعيد لما صح انهم يضعون تماثيلهم فى معابد الوجه البحرى ويزينون بصور أنفسهم هيا كل جهة أخرى خارجة عن أيديهم الى قبضة دولة هى أشد أعدائهم وألد أخصامهم

وقد حكى الاسقف اوزيب أحد المختصرين لتاريخ مصر تأليف القسيس مانيتون ان العائلتين الملوكيتين التاليتين وهما الخامسة عشرة والسادسة عشرة أصلهما من مدينة طيبة بجهة الصعيد وبوقت ان كانت ملوك هاتين العائلتين جاعلين مقر ملكهم بهذه المدينة حصل بجهة الشمال من مصر حادثة من أبشع الحوادث التاريخية بل محنة من أشنع المحن التى ابتليت بها

الديار المصرية ويبقى ذكرها باقيا على ممر الاحقاب وهى انه بينما كانت صنعة التمدن تترقى وتتكامل بمصر فى عهد العائلة الرابعة عشرة وكانت تتعلق سائر الآمال بحسب جميع قرائن الاحوال بان الجمعية التأنسية المصرية لاتزال آخذة فى أسباب التقدم والاتقان مع غاية الامان والاطمئنان واذا باقوام لامجد لهم ولا تهذيب عندهم نزلوا من جهة آسيا على ثغور الديار المصرية من الجهة البحرية (المسماة عند اليونان بالدلتا وهى البحيرة) واغاروا على حين فجأة على تلك النواحى يقتلون الاهالى ويسلبون أمتعة الهياكل ويستولون بالقهر والغلبة على جميع الاقاليم البحرية من المملكة المصرية ومكثت مصر مسافة أربعة قرون من الزمن تقاسى شدائد عشمهم وتعانى أثقال ظلمهم وملوكها الحقيقيون منحصرون باقاليم الصعيد يجاورهم هؤلاء الطغاة الذين يسميهم القسيس مانيتون فى كتابه باسم الهيكسوس أى الملوك الرعاة وربما كان لهم عليهم اليد والدولة وكانوا فوقهم فى الحقيقة هم المالكين لامجرد مجاورين ولاسبيل لنا لمعرفة ماحصل فى مصر فى ذلك العصر من سوء الانقلابات ولا للوقوف على ما اعتراها بظهور هؤلاء الاجانب من شر الحركات وانما المحقق من ذلك هو أنه لم يصل الينا من آثار هذه المدة مطلقا شئ يدلنا كيف كانت حقيقة حال مصر فى عهد الفراعنة الهيكسوسين المذكورين ولا الى أى مآل آلت بهجة مصر القديمة فى اثناء تلك المدة الذميمة واذا كان الحال كما ذكر فهذه المدة هى مدة فترة أخرى اعترت قوة جسم التمدن المصرى القديم ووقعة كبرى عرضت ثانى مرة على حركة تأنس هذه البلدة بعد ان كانت سائرة فى الطريق المستقيم فاختلت قوى المملكة على حين غفلة بها وان كان قد أسسها الملوك الاوزورتازانون ومن يليهم على

اساسات

اساسات متينة فى الحقيقة وانحلت عرى الجمعية المصرية فى هذه المدة على الفجأة وان كانت وثيقة وانقطع تسلسل الآثار الاهلية واعترى مصر سكتة تفصح بمفردها عما كانت مغمورة فيه من المصائب وتوضح وحدها عما نابها انذاك من النوائب

وأما المدة التى تلى هذه المدة فالطريق الموصل لمعرفة حالها التى كانت عليه كما ينبغى هو النظر فى الآثار الموجودة بخزانة الآثار المصرية ببولاق والذى يتضح منها هو أن الديار المصرية فى عهد العائلة الملوكية السابعة عشرة كانت متوزعة بين عدة ملوك طوائف متعددين وفيما بينهم متعادين كما كانت كذلك فى عهد العائلتين الملوكيتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة السابقتين الا أن غياهب الجهل التى كانت مغيبة على أحوال هذه البلاد مدة مديدة وظلمات الظلم التى كانت متحكمة فيها على العباد عدة سنوات عديدة أعقبها فى هذه المدة الجديدة ايام سعيدة ودلائل تاريخية مفيدة وذلك انا بجهة الصعيد مع زيادة البحث والتحرى واستقصاء الفحص فى كثير من المحلات التى هى بوجود آثار العائلتين المذكورتين من المظنات لم نظفر لهما على أثر ولم نقف من حالهما على خبر بخلاف العائلة السابعة عشرة فاننا وجدنا من آثارها فى جملة الاعيان المدفونين بمقابر جهة القرنة جماعة مرتبة ودرجات بعضها فوق بعض من أرباب الوظائف العمومية والمستخدمين الميرية تدل على انه كان موجودا فى ذلك العهد بتلك الجهة من الديار المصرية مملكة تامة ودولة منتظمة وكذلك كان يوجد بمدينة تانيس (وهى مدينة . ان) من الاقاليم البحرية عائلة ملوكية أخرى من ضمن دولة الملوك الرعاة وهم فرقة حضرت الى مصر من الاقوام الذين يقال

لهم خيتاس (٤) المتوطنين بالسهول القريبة من جبل كورين المعروف عند القدماء بجبل طوروس أى جبل الثور فى مملكة ارمنيه ببلاد آسيا الصغرى وكانوا يعبدون الصنم المسمى سوتيخ ولم تكن هذه العائلة الملوكية كباقى ملوك الهيكسوس الذين وصفهم لنا المؤرخ مانيتون بأقطع وصف يخربون البلاد ويدوخون العباد بل عثرنا من آثارهم على ماهو محفوظ بخزانة الآثار المصرية ببولاق مما يشهد بأن ملوك هذه الفرقة وان كانوا نزلوا على الديار المصرية واستولوا عليها بطريق القهر والغلبة الا انهم باستقرارهم بها غلبت عليهم حضارة القوم المغلوبين لهم وتمدنوا بتمدنهم وأثرت الديار المصرية بما فيها من الفنون والصنائع والدين ومالها من المجد والمفاخر على عقل هؤلاء الطغاة والملوك الرعاة فاجبرتهم على ان اتخذوا لانفسهم تماثيل هائلة كالمصطنعة للفراعنة المصريين السالفين ووضعوها على سبيل الزينة بهيا كل مدينة سان التى هى مقر ملكهم وأحوجتهم الى ان اتبعوا طريق الكتابة بالقلم القديم المخصوص بها ولازالت تزحزحهم شيأ فشيأ حتى صاروا من المصريين والفراعنة الحقيقيين وتلقبوا امثالهم بأبناء الشمس وفى الحقيقة كانت العائلة الملوكية السابعة عشرة من طوائف الملوك الرعاة وان كانوا قد جعلوا مدينة سان التى هى مقر ملكهم مدينة صنمهم المسمى سوتيخ الحقيقية ووضعوا معبودهم هذا على رأس المعبودات

---

(٤) وهذا الاسم قريب من جديس أحد اسماء قبائل عرب الجاهلية الاولى وهم عاد وثمود وجرهم الاولى وطسم وجديس الذين قال المؤرخون من المسلمين انهم انقرضوا ولم يصل الينا شئ من أخبارهم ولا بقى لدينا شئ من آثارهم غير ماذكر بالقرآن الشريف اهـ

المصرية المجعولة فى هيا كلهم الا انهم حيث لم يخفضوا مرتبة المعبودات المصرية الاصلية ولا ألقوهم الى الارض ولا ابطلوا شعائر الديانة الاهلية وكانوا يشاركون المصريين فى عبادة أصنامهم فلا وجه لان يرى فى مادة اعلاء صنمهم فوق سائر الاصنام الا ما جرت به العادة من أن مثل هؤلاء الاقوام الاجانب لما تمصروا وبحضارة الملة الاصلية تحضروا أرادوا بذلك ان يعطوا المرتبة العليا لصنم اجدادهم ومعبود بلادهم ترقية لمقامه وزيادة فى احترامه

واذا تقرر ذلك فقد علم ان ما تحدثت به الاعصار وتواترت به الاخبار من السيرة الخبيثة والمسالك القبيحة التى تروى عن ملوك العائلتين الملوكيتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة قد انقطع سلسالها بما تحقق من محاسن الآثار وأحسن الاخبار المنسوبة للعائلة السابعة عشرة هذه فان الديار المصرية فى ايامهم رأت من ايام السعد ما رواه القسيس مانيتون من جهة واثبتته الآثار الواصلة الينا عن عهدهم من جهة أخرى مما استوجب حسن الثناء عليهم وبقاء الخبر الطيب عنهم فيما بعد وقد وصل الينا من كل من الطرفين المذكورين أسماء هؤلاء الملوك محاطين بحسن الذكر منوطين بما أثر عنهم من مآثر الفخر وأقوى دليلا من ذلك على حسن سيرتهم وعلو منقبتهم هو أن فرعون مصر الاكبر رمسيس الثانى الذى هو فى التواريخ باسم سيزوستريس الاكبر أشهر كما سيذكر فيما بعد وهو من أعظم الملوك الفاتحين والفراعنة المصريين السالفين بعد ان عقد مشارطة هدنة مع طائفة الخيتاس المذكورين هنا الذين منهم أصل العائلة الملوكية السابعة عشرة هذه بعد مضى أربعمائة سنة من تاريخ دخولهم الديار المصرية

اجرى بمدينة سان مراسم عيد عام بمناسبة عود رابع موسم قرنى من يوم تملك العائلة الملوكية السابعة عشرة المذكورة ومن قبيل التلطف واجراء الشعائر الرسمية بين الدول اعطى الى الملك سايتيس الذى هو أول ملوك هذه العائلة بمصر لقب جد طائفته وسماه فى مسطور عقد الصلح المذكور سيد قومه وبالجملة فان الديار المصرية فى هذه المدة سواء كانت تحت ولاية ملوكها الاهليين وفى قبضة هؤلاء الاقوام المتغلبين الذين كانوا من جهة بلاد آسيا عليها وافدين قد انتشت من مطبق غفلتها واستيقظت من طول نومتها وامتلأت شواطئ النيل من الجانبين فى اثناء تلك المدة من أنواع العمارات وأصناف الآثار والبنايات مايدل على ما كانت عليه البلاد حينئذ من الرفاهية والتمدين وان كان لا زال يظهر عليه علامات غلبة المتغلبين وشعائر فتح الفاتحين

قد علمت ماقررناه لك قريبا من ان الملك رمسيس الثانى بعد أربعمائة سنة من تاريخ ولاية ملوك طائفة الخيتاس على مملكة مصر اعاد عمارة مدينة سان التى هى مدينة الصنم المسمى سوتيخ من جديد وماأبداه هذا الملك من التلطف والمراعاة لاول ملوك هذه الطائفة ولاول من أحدث عبادة الصنم المذكور بقطر مصر وأما ملوك مصر المنحصرون بجهة الصعيد المعاصرون للعائلة الملوكية السابعة عشرة فلا يخفى انه لا يوافق طبيعتهم مداراتهم ولا يليق بحالتهم مراعاتهم بحسب مالابد منه من معاداتهم والحقد عليهم الناشئ من مزاحمتهم لهم على مملكتهم وشن الغارة على بلدتهم ولذلك لم يبطئ أن وقعت بين الفريقين وقائع حربية غير طويلة المدة وان كانت من أشد الوقائع كانت فيها الهزيمة على طائفة الرعاة وكان بها زوال ملكهم

وتفريق

وتفريق انتظام سلكهم وذلك انه قد انتدب لقتالهم وحاصرهم فى داخل تخت مملكتهم ملك مصر المسمى بالفرعون أهميس او اموزيس وكان أشهر فراعنة دولة الصعيد فى ذلك الوقت فغلبت القوم الآسيون وكانوا من قبل هم المتغلبين وانتقل أكثرهم الى ماوراء البرزخ الكائن بين البحرين بحر القلزم والبحر الابيض المتوسط وارتحلوا الى بلاد آسيا الاوطانهم الاصلية وبقى بعضهم ببعض الجهات المصرية فاقطعهم الملك اموزيس بعض الاراضى التى كانت بايدى اسلافهم ليزرعوها ويتعيشوا من ثمراتها وبزوال ملكهم انتهت مدة الضنك التى لم يزل ذكرها على الديار المصرية يعود بالحزن والألم ولازالت تكتب فى صحف تواريخها باسطر الدم وبنصرة الملك اموزيس عاد كرسى المملكة الذى كان قد أسسه فى سالف الزمان الملك مينيس الى حوزة ذويه ورجع الى يد مستحقيه ولما خرجت طائفة الملوك الرعاة من مصر لم يرجعوا اليها ولا تلاقوا مع المصريين ثانى مرة الا فى الوقائع التى شهدوها مع طائفة الخيتاس فيما بعد فى اثناء محارباتهم معهم وأمّا بقايا هذه الطائفة الذين تخلفوا بتدبير الملك اموزيس فى بعض الجهات المصرية فقد تكونت منهم قبيلة نزلت بشرقى الاقاليم البحرية من مصر وأقاموا بتلك الجهة نظير بنى اسرائيل الا انه لم يكن لهم نظير مافى التوراة من سفر الهجرة الاسرائيلية ولاشك انهم هم طائفة الاغراب الساكنون لغاية عصرنا هذا على جوانب بحيرة المنزلة ويعرفون بما امتازوا به عن غيرهم من قوة الاعضاء وهيبة الوجوه واستطالتها ولا ينبغى لنا أن نغفل هنا عن ذكر أن يوسف بن يعقوب أحد أنبياء بنى اسرائيل انما جىء به الى الديار المصرية بحسب الظن القوى والتخمين الجلى فى عصر الملوك الرعاة المذكورين وأن قصة رحلته

المطرية وسيرة اقامته بمصر المعجبة المقصوصة فى ضمن سفر الخليقة من التوراة انما كان مكان وأقعتها مقر مملكة أحد هؤلاء الملوك وميدان حصولها احدى هاتيك الدول الاجنبية التى كانت متغلبة فى ذلك العصر على بعض الاقطار المصرية فلم يكن يوسف بن يعقوب وزيرا لاحد الفراعنة الاصليين ولا فاز بالقبول لدى أحد الملوك الاهليين بل انما تلقاه والى أعلى المراتب رقاه ملك من الملوك الرعاة الذى هو من ابناء سام ولد نوح مثله وكلاهما من جنس واحد أصله وفصله

وهذا آخر عهد الدولة المتوسطة أو عصر الجاهلية الوسطى وفى ظرف هذه المدة البالغة ١٣٦١ سنة التى مكثها هذا العصر وذكرنا تاريخها بوجه الاختصار قد توالت على الديار المصرية وقائع عديدة وتعاقبت على أحوالها انقلابات شديدة ومحصل ما حصل لها فى اثناء تلك المدة ان الدولة المتوسطة المذكورة التى بدا طالعها واستهلت مطالعها بظهور العائلة الملوكية الحادية عشرة تريناً مصر فى مرآة الحوادث فى ابتداء هذه المدة حائرة مترددة ومختلة النظام متقلقلة كأنما خرجت من اغارة أجنبية اعترتها وكذلك فى اخرها كانت مصابة باغارة أجنبية أخرى محققة ولكن ما أثر عن هذه المدة المذكورة من الآثار المأثورة كبحيرة موريس ونواويس جهتى بنى حسن وأسيوط والتماثيل الهائلة الموجودة بمدينتى سان وابيدوس ومسلات ناحيتى المطرية وبجيج (باقليم الفيوم) كل ذلك يدل على انه فيما بين طرفى هذه المدة اللذين كانت مصر فيهما فى حالة الاختلال مرت عليها كذلك ايام أخر من العظم الحقيقى وحسن الحال أسعد طالعا وأبهج مطالعا

الباب

(الباب الثالث)

فيما يتعلق بالدولة المصرية الحادثة او عصر الجاهلية الاخيرة

وهو عبارة عن تاريخ مصر من أول عهد العائلة الملوكية الثامنة عشرة الى الحادية والثلاثين بمجرد أن تم طرد طائفة الملوك الرعاة من الديار المصرية واذابها ظهرت من أول عهد العائلة الملوكيـة الثامنة عشرة بأقوى مظهر واقتضرت أعلى مفتخر بما لم يتفق لها فيما بعد على ممر الاعصار (وذلك فى سنة ٢٣٢٥ قبل الهجرة اعنى سنة ١٧٠٣ قبل الميلاد) وهذه هى المزية التى امتازبها هذا العصر عما سواه وفضيلة السبق التى فاق بها على ما عداه فان مصر فى ظرف بعض سنوات قلائل جبرت خلل تغلب طائفـة الهيكسوس عليها وتلافت ماجنته يد المصائب فى تلك المدة عليها فترى فى هذه المدة الجديدة جوانب النيل قد امتلأت ثانيا بالهياكل الدينية والعمارات الاثرية من ابتداء البحر الابيض المتوسط الى حد جبل البرقل وافتتحت طرقات حادثة للتجارة وبلغت الزراعة والفنون والصناعة الى درجة عالية ومرتبة سامية وحلت دولة مصر السياسية فى ذلك العصر بالنسبة لسائر الدول الموجودة فى الدنيا المنزلة القصوى وانفردت من الشوكة الملكية والسطوة الاهلية بالمنصة العليا فاستولت على الاقطار السودانية ومن طرفها أرسلت اليها الولاة واستعملت عليها العمال وكذلك من جهة الشمال امتلكت سائر الجهات وتجوّزت الجيوش المصرية فى بلاد الميزوبوتاميا (وهى ما يعرف الآن بالجزيرة) بين دجلة والفرات وبقيت منها فى القلاع

والمصون الجنود المصريون عليها يحافظون ولها يضبطون

وقد ذكرنا فيما سلف اسم أول ملوك هذه العائلة الملوكية الشهيرة والدولة الكبيرة وهو الملك اموزيس وبعض ما حصل بهمته من انقاذ الديار المصرية من يد الطغاة المتغلبين عليها واخراجهم منها من غير رجوع اليها وفي الواقع ونفس الامر ما بلغته مصر في هذه المدة من درجة الشوكة التي لا مزيد عليها ومرتبة الفخر التي لم يتفق لدولة من الدول ان ترقى اليها قد بدت بشائره وظهرت مطالعه من أول حكم هذا الملك فانه لم يقتصر على تطهير أوطانه من دناسة هؤلاء الاقوام الاجانب فقط بل جد في المسير وراءهم واخترق بعسكره داخل اقليم فلسطين وكذلك من جهة الجنوب تعمق بجنوده الى داخل بلاد النوبة ومع ذلك اعتنى بتعمير الهياكل الدينية التي كانت قد تخربت وأنشأها من جديد بل زاد عليها بما أحدثه بالانشاء والتجديد احياء لشعائر الدين واعتناء بآلهة اجداده السالفين

وتتضح قضية ما أجرته الدولة المصرية حينئذ في علاج جروح البلاد من تعجيل الالتحام وسرعة الالتئام بما ظفرنا به في عملية الكشف والتفحص عن الآثار المصرية القديمة من الحلى والمصاغات البديعة التي أمر بصياغتها الملك اموزيس المذكور لتحلية جثة والدته الملكة عاهوتيب بعد موتها ووجدت داخل تابوت مع جثتها المصبرة في جملة الجثث المصرية القديمة المصبرة المعروفة بالموميات وحفظت بخزانة الآثار المصرية القديمة ببولاق فلم يكن في ضمن الاشياء النفيسة الموجودة بها من الآثار ماهو أبدع صنعة ولا أربح برهانا على تقدم الفنون والصنائع بمصر في وقتها منها فمن جملتها سلسلة طويلة من الذهب وقلادة صدرية مثقبة وتاج عليه تمثالان من

الذهب وسيف مسقط محلى بحلية من الذهب ومن اطلع على هذه الامتعة النفيسة صعب عليه أن يصدق انه بوقت ان خرجت من معامل الصياغة بمدينة طيبه كانت الديار المصرية قريبة عهد بغائلة أجنبية أودت بها ونازلة فظيعة نزلت عليها

والذى خلف الملك اموزيس المذكور على سرير المملكة المصرية هو الملك آمونوفيس الاول وفى مدته كانت مصر لم تزل أيضا تميل لتوسيع دائرة حدودها من جهتى الشمال والجنوب فان الآثار دلت على ان الملك آمونوفيس المذكور رحل بجنوده الى الشام وبلاد السودان

ثم خلف الملك آمونوفيس الملك توتميس الاول وفى عصره لم تزل اطماع مصر متجهة لحيازة بلاد الايتوبية (بلاد الزنج) فان الملك توتميس الاول المذكور سار اليها مغازيا بجنوده ورجع منها منصورا وكذلك اشتهر هذا الملك بغزوة أخرى هى أخطر وأفخر من الاولى وذلك انه كان يوجد فى ذلك العصر فيما وراء اقليم فلسطين وأرض كنعان فى وسط السهول الكائنة بين دجلة والفرات طوائف من الملل متحالفون يسمى مجموعهم فى الكتابات التى بقيت فى ضمن الآثار المصرية القديمة باسم الروتونو وما أفدناه فيما تقدم بخصوص طائفة الكوش السالفة الذكر يقال هنا فى حق طائفة الروتونو من انه لم يكن لهم أراض محدودة ولا اتحاد كلمة لدولة تسوس أمورهم معلومة وانما كان بأيديهم بعض مدائن منيعة كمدينة نينوى ومدينة بابل وكان كثير من قبائلهم مع ذلك هائمين فى جهات حدود بلادهم الغير المعلومة حتى انه لم يكن لتلك البلاد اسم ظاهر تتميز به عن غيرها فانها وان كانت عبارة عن مجموع بلاد الميزوبوتاميا (أى الجزيرة بين دجلة والفرات) وعن اقليم بابل وبلاد

الانور (وهى بلاد كردستان الآن) كان يعبر عنها بطريق التعميم باسم هذا الاقليم الاخير فان قلت ما الذى حمل الملك توتميس الاول على ان اخترق بجنوده الصحارى الفارقة بين وادى مصر و بلاد العراق قلت لا أدرى وانما المحقق لنا ولا بد هو أن كلا من وادى العراق وأقطار السودان قد تأثر بآثار أثقال الجنود المصرية بدليل ما وجد بنواحى الفرات وجهات أعلى النيل من الالواح الحجرية التى تركها هنالك الملك توتميس الاول منقوشة بالقلم المصرى القديم دلالة على ما حازه من النصر وتذكارا لما فاز به من الفخر بوقت وجوده فى تلك الجهات واذا كان الامر كما وضح فقد ظهر أن عصر الملك توتميس الاول هذا كان عصر تقدم وحث للبلاد على السبق فى طريق المجد التى كانت قد أخذت تسير فيها من قبله فان مصر من أول عهد هذا الملك أخذت فى الترقى بأعلى همتها والطيران فى جو التقدم بأقوى أجنحتها وبعد أن كانت يطمع فيها الاجانب فيغزونها ويتغلبون عليها صارت فى هذا العصر ذات سطوة تفتح هى بها الاقطار وتشن الغارة على غيرها من الامصار

وحكم الملك توتميس الاول احدى وعشرين سنة ومات فترك سرير الملك لولده توتميس الثانى وفى مدة حكمه تم للمملكة المصرية دخول الاقطار السودانية تحت طاعتها كما يستدل على ذلك بما يقرأ على الصخور بجهة اسوان من الكتابات بالقلم المصرى القديم من أسماء الامراء ولاة الاقطار الجنوبية من طرف الدولة المصرية وهكذا كان فى ذلك الوقت لقب العمال الذين كانوا يتولون حكومة ما وراء الشلالات بالنيابة عن الفراعنة السالفين والظاهر أن الملك توتميس الثانى لم يكن فيما عدا ذلك من الملوك المجاهدين والطلبات الملك توتميس الثانى تولى المملكة من بعده أخوه توتميس الثالث

وكان

وكان بحسب التلق بوقت توليته طفلا صغيرا فكفلته أخته المسماة هاتازو وكان لها تشبث بالتداخل فى مواد الحل والعقد بالمملكة فى عهد الملك السابق وكانت مدة مباشرتها الادارة المملكة بطريق الكفالة من باب التعدى الحقيقى فانها اقامت تستبد بالملك دون أخيها مدة تسع عشرة سنة وكانت مدة حكمها فى الجملة ذات بهجة ظاهرة ومن الكليات الاستقصائية التى لا مناقضة فيها والقواعد التاريخية التى لا استثناء لها انه متى وجد للديار المصرية ملك علا شانه فى العالم بالفتوحات وارتفعت مرتبة دولته بين الدول بما صار له عليها من التأثيرات فانه لابد وأن يكون له آثار جليلة من العمارات وما ترجيلة من المبانى والتشييدات تدل على ميله للفنون الظريفة والصنائع اللطيفة وقد كانت الملكة هاتازو من هذا القبيل فان من جملة آثارها الشهيرة كلا من المسلتين الموجودتين باطلال جهة الكرنك ولم تزل احداهما قائمة على حالها الغاية الآن وقد دلتنا الكتابات المسطرة عليهما بالقلم المصرى القديم على ان الملكة هاتازو انشأت هاتين المسلتين لبقاء ذكر والدها الملك توتمس الاول

ومن النقوش الانقضية المثبتة على أسفل المسلة القائمة بجملها من جوانبها الاربعة يوقف على بعض نوادر لا بأس بذكرها منها ان رأس كل من المسلتين المذكورتين كان متوجا باكليل لطيف هرمى الشكل من الذهب المختنم على الاعداء ومنها ان مدة انشاء كل أثر من هذين الاثرين من حين الشروع فى استخراج حجره من جبل اسوان الى أن تم عمله كانت سبعة أشهر وبالوقوف على هذه الدقائق يعلم ما حصل من المشقة فى نقل هذا الجسم العظيم من محله واقامته منتصبا فى موضعه وهو يبلغ ثلاثين مترا ارتفاعا

و ٣٧٤٠٠٠ كيلوجرام وزنا (والكيلوجرام ٣٢٠ درهما تقريبا)

ومن آثار الملكة هاتازو المذكورة أيضا الهيكل المعروف بالدير البحرى بمدينة طيبة الذى يوجد على حيطانه ذكر الغزوات والوقائع الحربية التى حصلت منها فى مدة ولايتها منقوشة بالقلم القديم المصرى فان عليها تصاوير عظيمة القدر بديعة الصنعة عجيبة الافراغ يظهر منها للمطلع عليها صورة سائر الهيآت والاحوال التى حصلت عليها غزوة توجهت بعزم هذه الملكة الى بلاد يقال لها بلاد البونت من جنوب جزيرة العرب ولكن عرض على هذه العمارة الاثرية فى بعض مواضع منها بعض اتلاف وتعوير هو بالتحسر عليه على الدوام جدير ولهذا المانع لم يتيسر لنا الوقوف على حقيقة تعيين الوقائع التى ظهرت فيها شجاعة الجنود المصرية من هذه الغزوة وانما المعلوم من التصاوير التى ظفرنا بها مصورة على حيطان حجرتين صار استكشافهما أخيرا هو ان النصرة فى هذه الغزوة كانت للعساكر المصريين فانه يوجد بها صورة قائد الجيوش المصرية يتمثل بحضرته قائد جيش العدو فى هيئة التضرع والخشوع وصفته أغبر اللون ذو ضفائر من الشعر طويلة تنزل على كتفيه وهو أعزل لاسلاح عليه ومن خلفه زوجته وابنته كلتاهما فى صورة شنيعة وحالة بشيعة وهيئة ذميمة جدا ينفر منها النظر ويقشعر منها الشعر قد اعتنى المصور المصرى الذى صورها بافراغها فى قالب من الفن فى معناه حسن وأبدى فى ابتداعها من الحذق والمهارة مالا يظن فانك تشاهد فى ذات الصورة من كل واحدة منهما عضلاتها مسترخية وانخاذها متورمة وقد اضاف اليها حذق المصور فى بعض مواضع من الجسم بعض زوائد قبيحة المنظر تفصح عن انطواء الجسم على مرض منفر ثم ترى

فى

فى ناحية أخرى تصاوير ثانية بها اشكال سفائن من السفن الحربية المصرية يشحنها رجال من القوم المغلوبين بأنواع الاسلاب التى سلبت بوقت الحرب عنهم وأصناف الغنائم التى أخذت من بعد القتال منهم فترى فى احدى الجهات يوسق بالسفن من الحيوانات الغريبة كالزرافات والقرود والنمور وفى جهة ثانية من أنواع الاسلحة وسبائك النحاس وحلقات الذهب وفى أخرى يحمل الى السفن أشجار تامة الخلقة والنماء محفوظة الجذور فى داخل صناديق ممتلئة طينا ولعلها من أنواع الاشجار النادرة الوجود وأغرب من ذلك وأعجب وأولى بالتأمل فيه وتحديق النظر اليه هو ذات السفن فانها تظهر للناظر كبيرة الحجم عظيمة الجرم متينة التركيب والعمارة تتحرك تارة بواسطة الشراعات وأخرى بالمجاذيف وعلى سطحها طوائف كثيرة من الانفار البحرية ولله در المصور المصرى الذى صاغ جسمها وافرغ فى قالب الصناعة رسمها حيث ابان عن هيئة وضع صواريها وشراعاتها وأوضح حتى عن كيفية عقد العراوى فى حبالها الجامعة لاجزائها بعضها ببعض مع زيادة عددها وكثرة عددها حتى أعلمنا علما تاما كيف كانت فى تلك الاعصار قبل أربعة آلاف سنة هيئة السفن البحرية وحالة الاساطيل الحربية المصرية وفى حجرة أخرى من حجرات الهيكل المذكور ترى من التصاوير ماهو ليس دون ذلك اهمية ولا اقل منه فائدة ولا جاذبية من أشكال فرق العساكر المصرية آيبة من السفر به تسير من أنواع السير الجهادية بقدم الهرولة العسكرية داخلة مدينة طيبة وعليها بشائر الانتصار وشعائر الاقتدار من بعد طول الغيبة وفى قبضة كل عسكرى منهم بيمينه اما رمح أو بلطة وبشماله فرع نخلة اخضر اشارة للانتصار وشعارا للاقتدار يقدمهم

طائفة أرباب الفن يدقون أمامهم النوبة الجهادية الحماسية من مجموع الصفافير والطبول والمزامير وبجانبهم الضباط العسكرية على مناكبهم الاعلام المصرية مكتوبا على اعلاها اسم الملكة كفيلة الملك فى ذلك العصر بعضر المنتهى اليها أمر النصر والفخر وبالجملة فان الملكة حاتازو المذكورة جديرة برتبة الاختية لاعيان عائلتها التوتمسية مستحقة أن تحسب فى جملة أكابر فراعنة الدولة المصرية فان منزلتها لم تكن دون منزلتهم ولا درجتها تحت درجتهم فيما أثر بالديار المصرية عن ملوك العائلة الثامنة عشرة من المآثر الجيدة ولم يزل ذكره منتشرا فى سائر جهاتها من المفاخر العديده التى تمكن بها ذكرها وتخلد بها أثرها وقد ذكرنا فيما تقدم انها استبدت بالشوكة الملكية واختصت بالتصرف فى الدولة المصرية مدة سبع عشرة سنة ولم تتأخر عن ذلك بتقليد أخيها توتميس الثالث بالولاية الفرعونية بل لم تزل تلى مواد الحل والعقد وتتوجه اليها توجيهات السعد فى ذلك العهد كما كانت كذلك من قبل فى عهد أخيها الاول توتميس الثانى الى ان ماتت وتركت سرير الملك خاليا لاخيها توتميس الثالث الذى كانت قد تعدت فيه عليه وسبقته وان كان فى الحقيقة حقه اليه

والاقرب للحق وأقبل للعقل هو أن الملك توتميس الثالث أيضا كان أولى بأن يلقب بلقب الاكبر من كل من ولى دولة مصر من الفراعنة السابقين وقاد الديار المصرية لطريق المجد والفخر والنصر من الملوك الاولين فان مصر فى ايامه قد بلغت من الشوكة أعلى درجة المطلوبة وانتهت لاقصى اوج السطوة فكان فى داخلها قوة عسكرية من أهلها منتظمة التراتيب متبصرة فى العواقب تحوط تقدمها وتضبط أمرها وتحفظ فيها الامان العام

وتلاحظ

وتلاحظ دوام الاطمئنان والانتظام ولذلك أنشئ بها فى ذلك العصر من الآثار العظيمة والعمارات الفخيمة شئ كثير بوادى المغارة ومدينة هليوبوليس (ناحية المطرية على القرب من القاهرة) وفى مدينتى منفيس وطيبة وبمدينة أومبو (ناحية كوم أومبو باقليم اسنا) وبجزيرة ايلفنتين وبلاد النوبة وفى الخارج صارت دولة مصر بين الدول الاجنبية بما حازته من الظفر بسائر الملل البعيدة والقريبة هى الحكم الذى يرضى كل أحد بحكومته والقاضى الاعلى الذى يذعن كل خصم لقضيته وازدادت فتوحاتها فى ذلك العصر ببلاد السودان وامتدت ولايتها هنالك الى أقصى مكان والذى يدل لهذه الدعوى الاخيرة هو ما فى يدنا من صحيفة تشتمل على بيان عدة عديدة من الولاة الذين كان لهم التصرف واليد العليا فى أمور هذه البلاد بالنيابة عن الملك توتميس فى مدة دولته وكذلك فى أثناء تلك المدة توجهت من مصر السفن الحربية والاساطيل المصرية الى جزيرة قبرص فاستولت عليها واستقرت الغزوات وتسلسلت التجريدات بعضها وراء بعض مدة ثمانى عشرة سنة الى بلاد آسيا حتى أدخل الملك توتميس تحت طاعته بعد تلك المدة سائر بلاد آسيا الغربية وفى مدة حكم هذا الملك الفاخر صدق على حال الديار المصرية ما عبر به بعض شعراء ذلك العصر من العبارة الشعرية حيث قال ما معناه (وساغ لمصر فى هذا العصر أن تضع حدودها حيث شاءت) انتهى وفى الحقيقة كانت قد امتدت سلطنتها واشتملت مملكتها فى ذلك العصر على البلاد المعروفة ببلاد الحبشة الآن وبلاد النوبة والسودان وديار مصر الاصلية والشام والجزيرة بين دجلة والفرات وبلاد العراق العربى وكردستان

وأرمنيه وبعد أن حكم توتميس الثالث متقسبع وأربعين سنة يستعدها من تاريخ موت أخيه توتميس الثانى أدركته الوفاة فترك دست المملكة المصرية لحفيده الملك امونوفيس الثانى على حالة من السطوة ونفوذ الكلمة بين الدول ودرجة من الشوكة والمهابة بين الملل لم تعهد لها فيما سبق قط وقد خلفه على ملك مصر الملك امونوفيس الثانى فأقام فيه عشر سنين ثم الملك توتميس الرابع فأقام فيه احدى وثلاثين سنة وكلاهما كانت همته متجهة لحفظ ما تركه له سلفه الفاخر من الفتوحات الجسيمة وطريق تدبيره وسياسته سالكة نحو ضبط تلك المملكة المتسعة العظيمة ولقد نجح كل منهما فى الحصول على هذا الغرض الجزيل واستحق أن يثنى عليه بذلك فى التاريخ الثناء الجميل وأما الملك امونوفيس الثالث الذى جاء من بعدهما فلم يتيسر له نظير سعدهما بل كان عصره عصر الفتن العديدة والمقاومات الشديدة كما يستدل على ذلك بما هو منقوش ولا زال يقرأ واضحا لغاية عصرنا هذا على تاج هيكل الناحية المعروفة بالاقصر واشتهرت أيضا بلقصر بجهة الصعيد من مدح هذا الملك نفسه بنفسه حيث يقول ما معناه انه هو الاله الكبير المسمى هوروس (الذى هو عبارة عندهم عن شمس الربيع بين الشموس) وانه هو الثور شديد البطش الذى دوخ بالسيف طوائف المتوحشين وملك بلادهم وفرق شملهم وأبادهم ألا وهو ملك القطرين وولى أمر المصريين البحيرة والصعيد والسيد المالك المطلق التصرف وابن الشمس وضارب رقاب ولاة الامور الكبار ورؤساء الاقوام فى الاقطار لا بلدة من البلدان قاومته ولا دولة من الدول صبرت أمامه بل سار فى سائر الاقطار جامعا

شمل

شمل الانتصار كالاله هوروس ولد الالهة ايزيس وكالشمس فى جو السماء بذل مصونهم وخرب قلاعهم وحصونهم وكلف جميع الملل بتأدية الجزية لمصر بشجاعته ألا وهو سلطان البرين وأمير العالمين (آسيا وافريقه) وابن الشمس انتهى وسيقول أهل التاريخ اذا اتضحت لهم سيرة هذا الملك غاية الوضوح ان هذا المدح لم يكن من باب المبالغات فان الملك امونوفيس الثالث هذا كان فى الواقع ونفس الامر ملكا ذا وقار ومهابة فى زمن الحرب صاحب بصيرة وحسن سياسة فى زمن الصلح لم تتنازل دولة مصر فى أيامه عن عالى منزلتها ولم ينقطع أدنى شعاع من أشعة شهرتها ولا انطفأ شئ من أنوار بهجة جنودها وقوتها وبرهان ذلك ما عثرنا عليه مما هو مسطور على دائرة بعض تماثيل جعلانات كبيرة الحجم من الآثار المصرية القديمة المحفوظة بخزانة بولاق صورة منها تصرح بأن دولة الفراعنة فى عهد الملك امونوفيس الثالث المذكور كانت ممتدة الحدود من الجزيرة (بين دجلة والفرات) الى نهاية بلاد الكارو من مملكة الحبشة وفى أثناء ما كان الملك امونوفيس الثالث يثبت اقدامه فيما أورثوه من الملك اسلافه الذين سبقوه ملأ جوانب النيل أيضا بالآثار الممتازة بين نظائرها بالنفاسة والشهامة واتقان صنعة التصاوير التى هى متصلية بها ومحتوية عليها فمنها ما وجد ببلاد السودان من هيكل جبل البرقل الذى هو من حسن صنعته وكذلك الهيكل الموجود بناحية سوليب بالقرب من الشلال الثالث حيث هو أيضا من غريب بدعته ويوجد كذلك من آثاره الدالة على حسن تذكار بجهة اسوان وجزيرة ايلفنتين وجبل السلسلة

(باقليم اسنا) وفى ناحية الكاب (بجهة طره على القرب من القاهرة) وفى الهيكل المعروف بالسيرابيسية (أى معبد الاله سيرابيس) بمدينة منفيس وبجهة سربوت القديم (بحيث جزيرة جبل طورسينا) وهو الذى زاد الزيادات العديدة من العمارات الجديدة الى هيكل الكرنك وأحدث الجزء المضاف الى هيكل الاقصر مما هو الآن مدفون تحت أسفل دور القرية التى لم تزل معروفة الى الآن بناحية الاقصر واشتهرت بلقصر وأبو الحجاج ويقال أيضا انه هو الذى أنشأ على شاطئ النيل الايسر تجاه ناحية الاقصر العمارة الدينية التى يذكر أنها كانت من أعظم الآثار القديمة المصرية وقد تخربت الآن بأسباب لا معرفة لنا بها ولم يبق من آثارها الا الصورتان المهولتان اللتان كانتا موضوعتين كما يقال احداهما على يمين الداخل من باب هذا المعبد والاخرى على يساره وتعرفان الآن عند أهل مصر المتأخرين بالصنمات ولغاية سنة ٥٩٥ قبل الهجرة (سنة ٢٧ بعد الميلاد) كان هذان التمثالان العظيمان اللذان هما فى الحقيقة عبارة عن صورة الملك امونوفيس الثالث المذكور لم يلتفت اليهما نظر الواردين والمترددين كسائر الآثار المصرية القديمة والعمارات الاثرية العظيمة المنتشرة بتلك الجهات الى ان اتفق ان حصلت زلزلة فى الارض بذلك الوقت فأسقطت أعلى احداهما وبقيت قاعدتها قائمة فى محلها ولوحظ ان قاعدتها هذه متى ابتلت بالندى الساقط عليها فى صبيحة النهار سمع منها صوت مستطيل عند شروق الشمس وكان يفد على وادى النيل فى ذلك العصر كثير من السياحين اليونانين والرومانيين فقصدوها للعجب لهذا السبب وتوهموا فى الحال ان صورة الملك امونوفيس هذه

هى

هى صورة عنون أحد موضوعات عباداتهم الاهلية وبعض أشخاص معبوداتهم الخرافية يهدى عند شروق الشمس السلام ويبدى التحية والاكرام على حسب زعمهم الفاسد وتوهمهم الكاسد الى والدته الالهة المسماة أور ورأى الفجر (من جملة آلهتهم الوهمية ومعبوداتهم الصنمية أيضا) ولهذه الآثار الخيالية والواقعة الاتفاقية يرجع سر ما يوجد على سيقان هذين التمثالين من الكتابات العديدة والاساطير القديمة الكثيرة الموجودة عليهما بالقلم اليونانى والخط اللاطينى الرومانى وقد علمت حقيقة الحال فلا موقع للتشبث بالمحال

وقد خلف امونوفيس الثالث ولده المسمى امونوفيس الرابع وسار أيضا على سيرة اسلافه الاولين واقتدى بقدوة آبائه السالفين ويتضح أمر هذه المادة كذلك بما يرى فى مقبرة تل العمارنه (باقليم المنيا) من النقوش المصورة والرسوم الظاهرة بتلك الناحية حيث يشاهد فيها صورة الملك امونوفيس الرابع هذا قائما على عربته يليه بناته السبع يقاتلن معه وكلهم يدوس تحت سنابك خيله أجسام رجال من أهل آسيا المغلوبين لهم فى بعض وقائعهم الحربية غير ان الملك امونوفيس الرابع المذكور لم يمنحه الله سبحانه من حسن السياسة والتدبير بما يضاهى رفيع مكانته من الشجاعة فانه كان قائما به من حمية الدين وعمى البصيرة واليقين جاجله فى كثير من الاحوال على ان جاء بما لا يليق فغير ديانة آبائه السالفين وكان بحسب الظن أول من تجارى على ذلك من الفراعنة السابقين فقد رفض ديانة الصنم المسمى آمون وكان أعلى المعبودين بمدينة طيبة عند قدماء المصريين لم يزل محترما فيها مدة مديدة ومعهود العبادة للعامة من منذ

سنوات عديدة واستبدله بالمعبود المسمى ادان (أى الكوكب
الساطع) قال بعضهم وأظنه أقرب للصواب انه هو أشبه بمعبود اليهود
وسائر أرباب الديانات من بنى سام بن نوح ببلاد أسيا المسمى آدوناى
(بتشديد الياء الاخيرة منه) أى المولى المعبر عنه عندهم بعبارة أخرى من
الاسماء المقدسة يياهو أيضا وتصلب هذا الملك فى تنفيذ أغراضه بهذا
الخصوص حتى انه غير اسم نفسه فبعد أن كان يثبت اسمه على الآثار بلفظ
امونوفيس الذى مدلوله الحقيقى فى أصل اللغة المصرية القديمة رحمة آمون
صار لايذكر الا بلفظ خوانادان (ومعناه حرفيا بهجة الكوكب) وكانت
عاقبة هذه الجراءة فى مادة الديانة المصرية وتبديل العقائد الاهلية
مشؤمة الطالع على الديار المصرية حيث ترتب على ذلك ان اعترت
عوارض التلف والافساد لبعض مواضع من الهياكل القديمة
والعمارات السالفة ولما أراد الملك امونوفيس المذكور أن يختط مدينة
جديدة (وهى الكائنة بموضع تل العمارنه) لتكون تختا مستجدا للدولة
المصرية بدل مدينة طيبة زال بعض بهجة مدينة طيبة المذكورة ونقصت
عما كانت فيه من العظمة القديمة والظاهر ان أم خوانادان التى هى والدة
فرعون امونوفيس المذكور وكانت لم تزل حية الذكر عزيزة الفكر
فى ذهنه مدة طويلة بعد وفاتها كما يدل على ذلك حال مقبرة ناحية تل العمارنه
كان لها مدخل فيما حصل على الغالب من تبديل العقائد المصرية القديمة
فى عهد ولدها وذلك ان هذه الملكة لم تكن مصرية الاصل فانها مصورة
بناحية طيبة بجبهة أبوجد وردية البدن كنساء بلاد الشمال ويوجد على
صورة الجعلان المحفوظة بخزانة الآثار المصرية ببولاق السابقة الذكر

منصوصا

منصوصا بأنها لم تكن من ذرية الملوك وان والديها من الاغراب حيث ان أسماءهما لم يوجد لها أصل اشتقاق فى اللغة المصرية القديمة ولعل الملك امونوفيس الرابع المذكور راغما اتخذ له الها غير المعهود لغاية ذلك الوقت فى بلاده بدسيسة العرق وسريان الاصل السارى اليه من جهة أمّه ففعل فى حق اله اسلافه من جهة الام وهو الاله ادان ما كان قد فعله طائفة الهيكسوس من قبله بالنسبة لمعبود آبائهم المسمى سوتيخ الذى تقدم ذكره وعما فعله فرعون امونوفيس المذكور من سوء التدبير بتبديل الديانة المصرية أخذ يظهر بمصر من ذلك العصر عصبة أجنبية تنافس الاهالى الاصلية ولعل بذلك تتأول قضية ما وجد من التصاوير بناحية تل العمارنه من رسم هذا الملك على غير هيئة التقاطيع المصرية وحوله صور جماعات من أرباب المناصب يظهر أن المصورين من المصريين فى عصرهم صوروها على هيآت غريبة الشكل كهيئة ذات الملك ثم انه بعد أن تناوب كرسى المملكة المصرية من غير بيت الملك عدة فراعنة معدودين فى جملة ملوك العائلة الثامنة عشر خاملى الذكر آثارهم ليست بعظيم شئ جاء الملك هوروس وبه عادت دست الملك ثانيا لمستحقيه من أهل بيت الدولة وتوالى عليه من بعده افراد آخرون من أهله الا انه بظهوره على كرسى المملكة الفرعونية قامت بمصر بسبب تبديل الديانة الذى كان قد حصل فى عهد الملك امونوفيس الرابع قيامات أهلية شديدة وانتقامات تعصبية غير معهودة فترى الملوك الذين كانوا قد خلعوا عن كرسى المملكة قبل الملك هوروس أسماؤهم من جميع الهياكل قد محيت وآثارهم قد هدمت وألقيت على الارض وأدهى من ذلك أن المدينة العظيمة التى

كانوا قد أحدثوها فى موضع ناحية تل العمارنة لتكون كرسى مملكتهم تخربت بالكلية والجزئية من أقصى جدرانها ولم يبق منها حجر ولا اجرة بمكانها ومع ماذكر فان الملك هوروس هذا كان ملكا حسن السياسة والتدبير ضبط أمور الديانة المصرية فبقيت فى أيامه على ما كانت عليه قبلا من درجة المجد والعز وحفظ لها ما كانت قد حازته من الحدود البعيدة والثغور العديدة من عهد الملك توتميس الثالث وكانت قد بلغت فى ذلك العصر كما هو عين نص النقوش المسطورة بسلسلة القسطنطينية الى أقصى حصون الجزيرة بين دجلة والفرات وبالجملة فالملك هوروس هو آخر فرعون من ملوك العائلة الثامنة عشرة أبلغ الديار المصرية لاعلى درجة الفخار وأرقاها الى أقصى مرتبة العمار وقد أقامت على كرسى المملكة مدة ٢٤١ سنة

ثم جاءت بعدها العائلة الملوكية التاسعة عشرة وفى أيامها لم تزل مصر فى الجملة ظاهرة بعض الظهور حافظة لما تيسر من عزها المأثور الا انه من خلال بعض أشعة النور التى لمعت فى أثناء هذا العصر بظهور ملوك أولى عزم واجتهاد وأصحاب غزو وجهاد أخذ البصر يلحظ بعض أعراض تدل على قرب تطرق الخلل والفساد الى أحوال هذه البلاد وبعد أن كانت الديار المصرية على الدوام مهابة السطوة تامة الخطوة تشن الغارة على الغير صارت من الآن فصاعدا فى أكثر الاحيان يشن الغير الغارة عليها ويعتدى بالجسارة اليها

وأول هذه السلسلة الجديدة من الملوك هو الملك رمسيس الاول ومع اننا لم نظفر لمدة حكمه على عظيم شئ من الآثار غير المعلوم انه غزا غزوة بجهة

شمال

شمال الشام فى الولاية المتسعة الموجودة هنالك فيما بين الجانب الايسر من
نهر الفرات وجبل كوردين والبحر الملح وهى البلاد المعمورة بطائفة
الخيتاس عبدة الصنم المسمى سوتيخ السالف ذكره وهم أمة ذات منعة
وتقدم على عدة طوائف متحالفين معهم من أهل اسيا كما أن طائفة
الروتونو كذلك واذا صح ماهو مكتوب بالقلم القديم المصرى على بعض
الآثار القديمة الموجودة بجهة الكرنك كان الملك رمسيس الاول المذكور
هو أول من أقدم على ملاقاة طائفة الخيتاس واخترق بلادهم الى شواطئ
نهر الارونط (وهو نهر العاصى) ولم يحصل فى مدة حكمه وقائع حربية
تشهر عصره وتظهر ذكره غير ماذكر والذى خلفه على سرير الملك هو
الملك سيتى الاول وهو المعروف بالملك سيتوس عند اليونان

وقد ذكرنا فيما سلف قريبا ما بلغت اليه المملكة الفرعونية بحزم الملك
توتميس الثالث من الحدود البعيدة والثغور العديدة ومن نظر بجهة
الكرنك فى مادة الحروب التى اضطر الملك سيتى الاول للمداومة عليها علم انه
غزا من الغزوات نظير ما فعل جده الماجد المذكور وأدخل تحت الطاعة
المصرية ثانى مرة الفرقة المسماة سازو وأهالى بلاد البونت المذكورة
قبلا وحارب جهة الشام وظهر بها أيضا وترك بقلاعها المحافظين من
الجنود المصريين وجاهد كلا من قبيلتى الخيتاس والروتونو وغزا كلا
من مدينة نينوى وبابل وقاد جنوده المنصورة الى أقصى بلاد أرمينة
ومن ثم يظهر ان بلاد آسيا الغربية التى كانت تحت طاعة الدولة المصرية
قد اخذت من أول عهد الملك الثانى من ملوك العائلة الملوكية المصرية
التاسعة عشرة فى القيام على دولة الفراعنة والخروج عن طاعتها ولا يسعب

ان يفهم من طريق التفرّس ان هؤلاء الامم المغلوبين والفرق التى كانت تعاملهم مصر بمنزلة الاتباع العاصين متى بلغوا أشدّهم واستدركوا ولو قليلا عزمهم وجهدهم كانوا لدولة مصرهم أشدّ الاعداء وألدّ الاخصام ولربما صاروا اذا أسعفتهم الاقدار عليها من المتغلبين وسعوا فى البطش بها ولو بعد حين ومع اشتغال الملك سيتى الاول المذكور بهذه الحروب المتعددة الحاصلة بالجهات المتباعدة وكان يقودها بنفسه فلم يمنعه ذلك من الاعتناء بما يناسب أوقات الصلح من الاعمال الاهلية والعمارات الاثرية فان الديار المصرية فى أيامه لم تزل حافظة لما كانت عليه قبلا فى امورها الداخلية من درجة الفلاح والنجاح بانشاء بعض عمارات جيدة الصناعة تسر الناظرين وتعجب من يمر عليها من السياحين فمن ذلك القاعة ذات الاعمدة الموجودة بجهة الكرنك التى هى من أبدع بدائع فن العمارة المصرية القديمة ومنها الهيكل الكبير بمدينة أبيدوس الذى كشفنا ما يحتويه من التصاوير العديمة النظير بواسطة اعمال الكشف والتفحص عن الآثار القديمة الجارية بهمة الحكومة المصرية فى هذا العصر الاخير ومنها قبر الملك سيتوس المذكور أظهرناه أيضا بالجهة المسماة باب الملوك (من ضمن مدينة طيبة) وهو أثر بديع موضوع تحت الارض كل من اطلع عليه تعجب منه غاية العجب لا من حيث اتقان البنا وحسن التشييد فقط بل من حيث انه لا تدرك العقول كيف تصوّر رسمه مهندسه فضلا عن ابرازه فى حيز الوجود ولا ينبغى لنا ان نغفل عن ذكر ان الملك سيتوس الاول هذا هو اوّل من حفر الخليج لتوصيل ماء النيل الى بحر القلزم وأوّل من فتح طريقا فى الجبل للقوافل توصل من القرية المسماة

ردا سيه

رداسيه (باقليم اسنا) الى معدن الذهب الموجود بجبل اتوكى باحداث عين صناعية هنالك يتفجر منها الماء وقد خلف الملك سيتوس المذكور على سرير المملكة الملك رمسيس الثانى وهو المعروف عند اليونان بالملك سيزوستريس كما سيأتى وأقام فيه سبعا وستين سنة وخلف مائة وسبعين ولدا منهم تسعة وخمسون ذكورا وهذا الملك هو سيد جميع الفراعنة المصريين من حيث تأثير الآثار وتعمير العمارات فانه يصح أن يقال من غير نكير انه لا يكاد يوجد بوادى النيل أثر من آثار الديار المصرية القديمة ولا بقايا من العمارات الفرعونية العتيقة الا وعليها اسمه أوفيها ذكره ورسمه ومن آثاره الهيكلان العظيمان الموجودان بمدينة ابسنبول والقصر المسمى بالرمسيسية بمدينة طيبة والمعبد الصغير الموجود بمدينة ابيدوس وله عمارات جسيمة كثيرة العدد بمدينة منفيس والفيوم وفى مدينة سان وسبب توفيقه لانشاء هذا المقدار الجسيم من العمارات هو انه كانت قد طالت مدته على كرسى المملكة وكان يستعمل حسبما جرت به عادة مصر فى ذلك العصر فى ابتناء العمارات العمومية جماعات الاسراء العديدين الواردين اليه من وقائعه الحربية وينضم لذلك أيضا كثرة توارد قبائل كثيرين من الاغراب كانوا كثيرا ما يغدون لحسن تدبير الفراعنة السابقين من جهة سهول بلاد آسيا على شاطئ النيل وينجذبون للاستيطان بالديار المصرية لاسباب جودة خصوبتها وسهولة معيشتها فيستخدم منهم العمال فراعنتها فى تشييد الهياكل الاهلية والمعابد الدينية واختطاط المدن وانشاء القناطر والجسور وتطهير الترع والخلجان ونحوها وبذلك كان هؤلاء الاجانب يؤدون حق

ما كانت تقابلهم به مصر من الترحيب والتوسيع ويقابلون نعمة ضيافتها بالانتفاع والتنفيع ومن هذا القبيل ماروى فى التوراة من ان بنى اسرائيل استعملهم فرعون رمسيس هذا فى ابتناء مدينة تسمى باسمه بشرقى الدلتا (البحيرة) ثم انه بالتأمل فى حقيقة حال الحروب التى حصلت فى عهد الملك رمسيس الثانى يتحقق ما تبادر اليه الفكر وأشير اليه فيما سبق بالذكر من سوء حالة مصر السياسية بالنسبة لباقى الملل الذين كان لها عليهم السطوة حسبما بدأ به الطالع من أول عهد العائلة الملوكية التاسعة عشرة وتوضيح ذلك ان هذا العصر كان هو الاجل المظنون والوقت الذى كان اليه وقوع هذا الامر مرهون حيث أخذت من الآن فصاعدا دولة الفراعنة فى أنها صارت بين الدول ينكر عليها قولتها ولا يصغى بين الملل لكلمتها بل قامت عليها بالضرورة من سائر الجهات القيامات وتحركت اليها حركات الانتقامات من جميع الاقطار التى كان قد أدخلها تحت الطاعة الفراعنة التوتميسون وسلاطين مصر الامونوفيسون المتقدمون من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب وتحركت الفتن أيضا ببلاد السودان فى ذلك الاوان بدليل ماوجد على كثير من حيطان الهياكل بتلك الجهة من تصاوير كيفيات النصرات العديدة والافتخارات البليغة التى حازها فى ذلك العصر ولاة الاقاليم الايتوبية من طرف الدولة الفرعونية على رؤساء الاقوام العاصين عليها بتلك الجهات وفى أثناء تلك المدة أيضا نزل على ديار مصر من البادية الكائنة على غربى الدلتا (البحيرة) أقوام كالجراد وقبائل كثيرة الاعداد زرق العيون شقر الشعور من الليبيين وهم أهل جبال برقة وما يليها الى جهة الغرب

وسقطوا

وسقطوا على قارة أفريقة من جزائر البحر الابيض المتوسط فخشى
على الاقاليم الجنوبية منهم ان يوقعوا فيها الفساد ولم يدفعهم عنها الجنود
المصريون الا بغاية المشقة والاجتهاد وتوافق ان حصل فى تلك المدة أيضا
على الجنود المصريين من اقوام بلاد آسيا مثل هذه الحركة فتحالفت قبيلة
الخيتاس مع عشرين طائفة أخرى من القبائل القاطنين بتلك الجهات
وهم قوم أهل نخوة وشجاعة يحاربون على العربات وتحزبوا جميعا على الديار
المصرية وبقى الملك رمسيس الثانى يقاتلهم مدة ثمانى عشرة سنة ولما لم تفد
محاربته معهم شيأ اضطر فرعون رمسيس المذكور بعد تلك المدة على ان
عقد مع هؤلاء القبائل الذين كان يحتقرهم بالامس ويدعوهم برعاع القوم
الاسافل مشارطة هدنة جمعت من العز والشرف ما فاز به الجانبان وحاز
به مزية الصلح الطرفان وفى خلال بعض وقائع هذه الغزوة الطويلة المدة
أبدى رمسيس الثانى المذكور بمحضر من سائر جنوده من براهين الشجاعة
الذاتية وجلادة الرجولية ما استوجب ان قال فيه بعض شعراء دولته
قصيدة مدحية تاريخية وجدت منقوشة على أحد حوائط جهة الكرنك
من الخارج وعلى الوجهة الشمالية من الباب الكبير المحصن المربع من
هيكل الاقصر وتعرف هذه المدحة عند أهل العلم باسم قصيدة بنتاوور
والذى أجاد ترجمتها من أصلها الى اللغة الفرنساوية هو الاديب الفرنساوى
المدعو لوكنت دوروجه من أفاضل العلماء باحوال البلاد المشرقية
الوافدين فى هذه المدة الاخيرة على مصر من الاقطار الاورباويه وعنه
ننقل هنا أحسن عباراتها ومحاسن معانيها وأبياتها وتاريخها فى شهر
ابيفى (ولعله أبيب) أحد الشهور المصرية القديمة من السنة الخامسة

من حكم هذا الملك وبيان واقعتها ان الملك وجنوده كانوا يجدّون فى السفر نحو المدينة المسماة آتس فقابلهم جماعة من اعراب البوادى المقامين فى الطريق للتجسس على أحوال الجيوش المصريين من طرف أمير قبيلة الخيتاسيين أعداء المصريين فاضلوهم عن الطريق المستقيمة ووقع فرعون رمسيس وجنوده فى ورطة كمين وأحيط به على حين غفلة فيه بجيوش الاحزاب من قبيلة خيتاس وأصحابهم من سائر الاقوام المتعصبين وفرت من حوله جميع جيوشه هاربين ففقد جنده وبقى هو بين أعدائه وحده وفى ذلك يقول شاعره مامعناه بلسان الترجمة محاولا بالنثر الآتى لفظه أدناه قال الشاعر هنالك وحين ذلك قام حضرة الملك وهو فى غاية الصحة واعتدال المزاج ونهاية القوة والابتهاج كأنه الاله مونت وأخذ زينة الحرب فى الحال وتهيأ للضرب والقتال وارسل عربته فى وسط الجموع الملومة واقدم على ابناء خيتاس المذمومة وهو منفرد بنفسه لم يتقدم معه أحد من أبناء جنسه واقتحم المعركة وحده أى اقتحام بمشهد من جميع الاتباع والخدام وقد أحاط به ألفان وخمسمائة عربة حربية واكتنفته الفرسان من كل جانب من أشجع أبطال خيتاس الدنية وغيرهم من رجال الاحزاب المتعصبين معهم من ارادوس ومازو وبتازة وكسكاسة واولون وجازوناتان وشيروب واكترواتس وراكة وعلى كل عربة من عرباتهم ثلاثة رجال ولم يكن حضرة الملك معه أحد من أهل عشيرته ولا من امراء دولته ولا من قواد عسكره ولا أحد من رؤساء جنده الرماة ولا عساكر العربات ومن هذه القصيدة ما نظمه الشاعر على لسان ممدوحه يتوجه فيها الى أكبر معبودات المصريين ويستغيث به فى وقت الخطر

الخطر حيث يقول

تركني وحدي كل من جندي الرماة وعساكري الفرسان ولم يبق معي منهم من يشد أزري ولا يعضد ظهري فماذا يريد بي ربي وأبي الاله آمون ويا ليت شعري أفهو والد ينكر ولده ويتركه وحده أم أنا ولد عاق وللعقوبة أهل استحقاق أما أصغيت لكلمتك واتبعت طريقتك يا أبي يا آمون ألم يرشدني كلامك في غزواتي وهداني فمك في توجيه تجريداتي ألم أتجه حيث أمرت وانتصحت بما نصحت ألم أشهر لك المواسم الدينية البهيجة وأقم لك الشعائر التعبدية العديدة وملأت بيتك من الغنائم المأخوذة من الاعداء واجتمعت الدنيا بتمامها تقرب لجنابك القربانات وتؤدي لحضرتك أنواع التقربات وزدت في دائرة أملاكك وذبحت لك ألف ثور مزينة من الزينة بأطيب الحشائش رائحة وسائر أنواع الطيب الجيدة الفائحة وشيدت لك الهياكل الجسيمة بقطع من الصخر عظيمة وأقمت لجدلك أشجارا مخلدة وأحضرت من جزيرة ايلفنتين لك المسلات ونقلت لعزلك الاحجار الدائمات وجرت السفن في البحار ابتغاء مرضاتك تحمل اليك أسلاب سائر الامم فها أنا أدعوك يا ربي وأرجوك يا أبي وأنا بين أقوام كثيرين لا أعرفهم وفي حضرتك وحدي لا أجد أحدا معي من جندي تركني عساكر الرماة وفرعني هاربين فرساني العتاة دعوتهم فلم يجيبوني واستغثت بهم فلم يغيثوني وأنت يارب أولى بي من القدر الكثير من الجنود الرماة والفرسان والعدد الغزير من الابطال الفتيان ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا

ثم يلي في القصيدة المذكورة هذه المناجاة الفصيحة من رب الملك

المذكور جواب نطق به الشاعر على لسانه لبى به دعاءه وأجاب رجاءه حيث قال ما معناه

قرع أسماعنا يا رمسيس نداك وسمعت آذاننا من هرمونتيس صداك وأنا منك قريب ولك نعم الاب ونعم المجيب وأنا الشمس آخذ بيدك وأقوم بعدك خير لك من الآلاف العديدين من الناس ولو باتوا مجتمعين ومتى كنت بين عربات القوم ولو كانوا ألفين وخمسمائة عربة ذهبوا منهزمين وراحوا تحت سنابك أفراسك منكسرين وضعفت قلوب أعدائك بين جوانحهم واسترخت أعضاؤهم بين جوانبهم فلا يرمون بها سهما ولا يهزون بها رمحا وسأغرقهم فى الماء كما ينغمس التمساح فيقعون فيه بعضهم فوق بعض الى حيث لا يستطيعون نهوضا ويقتل بعضهم بعضا ولقد تعلقت ارادتى بأن لا يلتفت أحد منهم خلفه ومن سقط منهم فلا يسود ومن هوى فلا يعود

ومن هذه القصيدة أيضا ما قاله الشاعر على لسان سائس ركاب الملك حيث كان بجانبه قائما ولركابه ملازما وقد رأى صفوف الاعداء متكاثفة عليهما موجهة همتها بكليتها اليهما فخاطبه بقوله

ياسيدى العظيم وملكى الكريم وحامى حمى مصر يوم النزال قد بقينا وحدنا بين صفوف الاعداء فى وسط القتال فمهلا مهلا والنجاة النجاة بأنفاس أنفسنا ويا ليت شعرى ياسيدى الاجل ماذا يكون العمل

قال الشاعر فأجابه الملك اشدد حيلك وقو قلبك أيها السائس فانى سألتاهم وأحمل عليهم كما يحمل البازالعاوى على غنيمته فأخذلهم واقتلهم حتى يلقوا فى التراب وأرسل رمسيس عليهم حينئذ عربته وحمل

عليهم

عليهم حملته ست مرات متواليات فقهر رجالهم وهزم أبطالهم فى كل مرة
واجتمعت حوله قواد عسكره وفرسانه الذين لم يشهدوا الوقعة فجمع بهم شمله
وضمهم حوله وقال لهم لعمرى لقد احتد عليكم قلبى واشتد عليكم غضبى
هل منكم من ادى حق وطنه وحمى حومة بلدته ولولم يقم مولاكم هذا المقام
لادركتم الاعدام بل قعدتم فى مساكنكم وتخلفتم فى قلاعكم ومحاصنكم
ولم ترسلوا الجندى خبرا ولا أوردتم عندى من أحوالكم أثرا وانما أرسلت
كل أحد منكم فى قلعته وأوليته بولايته موصيا له أن يرتقب وقت الجهاد
وها أنتم جميعا قد أخطأتم وأسأتم ولقد اقترف جنودى وفرسانى جنحة
كبيرة بل هى مما من ان يعبر عنها أكبر حيث أبديت وحدى شجاعتى
وأظهرت جراءتى ولا اسعفنى انسان من العساكر الرماة ولا من الفرسان
واخلى العالم بتمامه الطريق لبطشة عضدى وكنت بمفردى حيث لم يأخذ
أحد بيدى

ويلى ذلك من القصيدة المذكورة وصف ميدان الحرب وقت الغروب حين
رجعت جنود الملك رمسيس اليه من الهروب حيث قال الشاعر ما معناه
وأتوا فوجدوا وجه الارض حيث ساروا مرتديا بالرمم مغمورا بالدم ولكثرة
القتلى به فلا يوجد فيه موضع للقدم فخاطبوا حضرة الملك يقولون له أيها
السيد المقاتل والبطل الباسل وصاحب القلب ذى الثبات لقد أغنيت
بمفردك عن جميع جنودك من فرسان ورماة وبما أنك ابن الاله توم من
صلبه فقد محوت بسيفك المنصور قطر طائفة الخيتاس من بين الاقطار وانما
أنت رب العظمة وملك القهر والغلبة ولا اتفق لك نظير من سلطان قام
بدلا عن جنوده بوظيفة الحرب والجهاد فى يوم الضرب والجلاد ولا غرو

أيها الملك ذو القلب الكبير اذ كنت أنت حيث التقى الجمعان أول مبارز وكنت أمام جندك أول بارز والعالم بتمامه ينظر اليك حيث تعصب كله عليك فأجابهم الملك بقوله لقد أخطأتم جميعا خطأ شديدا حيث تركتموني بين الاعداء فريدا فلا أخذ بيدي عشير ولا أسعفني أمير ولا قام بناصري مطلقا نصير بل هزمت الاحزاب من سائر الملل وحدي وقاتلت دون جندي وكان يحملني كل من الجوادين المدعو أحدهما بالعظمة في الصعيد والآخر بالسعادة في الملا الاعلى ولم تجد بيدي سواهما حين أحاط بي العدو فأكرموهما واعلفوهما في كل يوم بجيد الحب بحضرة الاله فرا اذا أويت الى قصوري المشيدة ذات الاعمدة العديدة قال الشاعر ما معناه فلما أصبح النهار وأشرق الجو في اليوم الثاني واستنار عاد الملك رمسيس ثانيا للقتال ورجع على الاعداء بالصيال كانه ثور نزل على اوز وعاد الشجعان من أصحابه للمجد والعز فانقضوا معه على العدو في معركته كالباز ظفر بفريسته وقاتل معه الاسد الكبير الذى كان يسير بجوار جواديه فاشتعلت جميع جوارحه غضبا وصار كل من دنا منه سقط على الارض ملقى وظفر الملك بالاعداء وقتلهم جميعا فلم يترك منهم أحدا وداسهم تحت أرجل الخيل حتى اندرست منهم الرمم وانهرست في الدم وصارت كلها قطعة واحدة انتهى ما أردنا ايراده من هذه المدحة وفي آخر القصيدة المذكورة بعض أبيات تمت بها هذه القصة الطويلة وحصلت وقعة حربية عائدة على قبيلة الخيتاس بشر الهزيمة وانعقد بين الطرفين عقد هدنة انقطعت بها مادة الحرب وقتيا كما ذكرناه فيما تقدم وبما أوردناه هنا مما اشتملت عليه هذه القصيدة من البيانات المفصلة سابقا تظهر بقدر الكفاية قضية منزلة الملك

رمسيس

رمسيس الثانى بين الفراعنـــة من حيث الغزو والجهاد فانه يوجد فى الواقع بالجهات من جبـل البرقل الى غاية نهر الكلب بالقرب من بيروت تقييدات قديمة تشهد بعظـمة هذا الملك الذى يسميه اليونان بالملك سيزوسـتريس وأشاعوا ذكره بكثرة الغزوات واشهروا اسمه عنـدهم بسعة الفتوحات والصحيح الذى سيقول به المنصفون من المؤرخين اذا اتضحت لهم حال هذا الملك بشهادة الآثار والعمارات من هذه الحيثية هو ان ما اشتهر به فرعون سيزوسـتريس المذكور من كثرة الغزوات وسعة الفتوحات لايخلو عن مبالغة وان المؤلفين المتقدمين الذين اتخذهم النـاس قدوة فى هذا المذهب انما نسبوا الى الملك رمسيس الثانى وحده كل ما حصل فى الحقيقة من الوقائع الحربية من كل من الملك توتميس الثالث والملك سيتوس الاول والملك رمسيس الثالث الذين لم يكونوا دونه فى الشهرة والفخر ونباهة الذكر والذى خلف الملك رمسيس الثـانى على سرير الملك هو ثالث عشر أولاده المذكور المسمى مينفتا حسبما هو وارد بالآثار والعمـارات المصرية القديمة وفى مدة حكمه كان خروج بنى اسرائيل من الديار المصرية يقودهـم موسى (عليه السلام) من بعد ما حصـل من المعجزات المذكـورة فى التوراة واذا كان الامر كما ذكر كان الملك مينفتا هذا هو الفرعون الذى هلك بالغرق فى بحر القلزم ومع ذلك فقـبره موجود فى ضمن القبور الباقيــة لغاية عصرنا هذا بالجهة المعروفة بباب الملوك وقد تعاقب على سرير المملكة المصرية بعد الملك مينفتا المذكور ثلاثة ملوك مدة حكمهم لاتستحق الذكر وبانقراضهم انقرضت العائلة الملوكية التاسعة عشرة بعد ان مكثت ١٧٤ سنة

وجاءت بعدها العائلة الملوكية المصرية المتممة للعشرين وكان افتتاح مدة

هذه العائلة محصورا بأسعد الطالع وأبهج المطالع فان أولها كان الملك رمسيس الثالث وقد باشر من الحرابات ما استحق به ان يكون الخلف الصالح لمشاهير الملوك السالفين ويعد فى زمرة كبار الفراعنة المتقدمين فان الجهة المسماة مدينة آبو من ناحية طيبة كانت هى الهيكل الذى انشأه هذا الفرعون تمجيدا لفخره وتخليدا لذكره حيث كل باب محصن كبيرا وباب معتاد وكل حجرة تحدثنا بما حصل على يده من الغزوات فمن ذلك ما حصل فى عهده من ادخال بلاد البونت تحت الطاعة من جديد وكانت قد خرجت عنها فغزاها هذا الملك وضرب عليها الجزية وتكرر العصيان كذلك فى عصره من بلاد الكوش (وهى بلاد الزنج) فقمعهم المرة بعد المرة وعاد لمصر فى ذلك العصر أقوام الليبيين (أهل جبال برقة) ينتهكون حرمة الثغور المصرية من جهة الغرب فلاقاهم الملك رمسيس الثالث وهزمهم مرارا شر هزيمة واستمر الحرب فى مدته بجهة الشمال برا وبحرا وذلك ان طائفة الخيتاس الذين كان قد كسرهم الملك رمسيس الثانى قاموا ثانيا على الملك رمسيس الثالث وانضم لهم عدة أقوام من سواحل الشام كالطائفة المسماة زكارو وأهل فلسطين حتى جاءهم الامداد من جزيرة قبرص وحصلت بين الاساطيل المصرية وبين سفائن هؤلاء الاقوام المتعصبة مقتلة عظيمة بالقرب من مدينة غير معلومة بسواحل البحر المتوسط الرومى اجتمع فيها الجمعان وتلاقى بها فى ميدان الحرب الفريقان وكانت فيها الهزيمة على أعداء المصريين حيث ظفروا عليهم بالنصر واغرقوا سفائنهم بمن فيها الى قاع البحر وابتلعتهم الامواج كما يستدل على ذلك بما هو واضح فى ضمن التصاوير الموجودة بمدينة آبو فانه يشاهد فيها على الخصوص صورة الملك رمسيس الثالث واقفا على ساحل

البحر

البحر فى اثناء هذه الوقعة يدفع حملات جيوش الاعداء عن البر وفى جنب عربته كالملك رمسيس الثانى أسد مستأنس يقاتل عنه ويفترس المغلوبين من رجال الاعداء بدلا منه واذا صح ما ذكر فقد ثبت أن مبادى العائلة الملوكية المصرية المتممة للعشرين كانت سعيدة الطالع كما ذكرنا وان ما كانت حازته مصر فى الزمن السابق من المآثر العظيمة والمفاخر الفخيمة استبان فى عهد الملك رمسيس الثالث كأنه عاد بالثانى الا ان من جاء بعده من ملوك مدينة ابو الهامليين لم يقدروا على حفظ ما بأيديهم من الميراث الفاخر المتروك لهم من لدن الفراعنة السابقين وما حصل فى عهد الملك رمسيس الثالث من سطوة الحروبات وبهجة النصرات التى وقت الديار المصرية حقبة من الزمن عن السقوط فى هاوية المحن لا اجدى نفعا ولا افادها من الوقوع فيما لابد منه منعا وبالجملة فقد حل الاجل المنظور واختلت فى الديار المصرية الامور فصارت بلاد الشام وان كان لم يزل بها الولاة من نواب الدولة المصرية تتلاشى بها التبعية وتصير سلطنتها عليها شيأ فشيأ صورية وفقدت الديار المصرية بطول مخالطتها مع أهل اسيا ما كان به قوام قوتها من اتحاد أمرها واجتماع شملها وتركت كثيرا من الالفاظ الواردة من لغات بنى سام بن نوح تتداخل فى لغتها وبعض آلهة من معبودات الملل الاجانب تتغلب على موضع العبادة من معابدها ولم يكن يعهد لها مثل هذا الفعل من قبل ووافق حصول الفتور الذى اعترى همة الديار المصرية فى تلك المدة تواردسبب اخر من اسباب الاضعاف أوهن قواها وحل عراها وذلك ان مشايخ ديانة الاله آمون بمدينة طيبة لما استشعروا بفتور همة ملوك العائلة العشرين أخذوا فى زيادة توهين قوتها واجتهدوا شيأ فشيأ

فى اضعاف شوكتها وتطلعوا لخلع ملوك مصر الحقيقيين وقطع دولة الفراعنة الاصليين وجوزيت الديار المصرية بما ابدته ملوك العائلة الملوكية الثامنة عشرة من الاطماع وتوسعت به من الفتوحات غاية الاتساع وبقدر ما كانت عليه من شدة الوطأة والبطش فها هى قد أشرفت على ان يستحل حماها ويطأ الاجانب عن قريب ثراها وبعد ان كانت يد سلطنتها طائلة على طائفة الكوش (وهم الزنوج) والليبيين (وهم أهل جبال برقة) وعلى أهل آسيا معا فسيلى أمرها الآن الملوك من هؤلاء الملل الذين كانوا فى قبضتها وتحت طاعة حكومتها وانما تفرق شمل سلطنتها وتمزق جمع دولتها لكونها لم تقتنع بما فى يدها من الاراضى الاصلية التى هى املاكها الحقيقية اعنى شواطئ النيل وما يليه الى جهة الجنوب مهما بلغت حدودها بل قادتها الاطماع الى حيث تفسد سطوتها وتضعف قوتها باختلاف أنواع الملل الذين أرادت الاستيلاء عليهم لكثرتها وتنوع أهوية الاقاليم التى تشبثت بحيازتها لسعتها وفى الحقيقة كان هذا آخر العهد بابهج مدة من تاريخ مصر فان الدولة المصرية لما عجزت من بعد الملك رمسيس الثالث عن تدارك جميع هذه الاخطار المتزاحمة عليها من جميع الاقطار أخذت من هذا الوقت فى الانحطاط والاضمحلال وخرجت عن يدها فى هذا العهد شيأ فشيأ جميع الفتوحات التى كانت قد امتلكتها فى الاعصار السابقة شمالا وجنوبا الى ان جاء الوقت الذى تجاسرت فيه كبار طائفة القسس المصريين على ان وضعوا تاج الفراعنة على رؤسهم وقد انحصرت الديار المصرية فى أقل حدودها وتقهقرت الى أضيق ثغورها وصارت ليس فى يدها الا اليسير جدا من دائرة أراضيها يحيط بها من الآن

فصاعدا

فصاعدا من سائر النواحى أعداء أشد قوة منها

ولما جاءت العائلة الملوكية الحادية والعشرون فى سنة ١٧٣٢ قبل الهجرة (سنة ١١١٠ قبل الميلاد) كانت الديار المصرية منقسمة الى مملكتين لاسباب ما كان متحكما فيها من تفرق الكلمة الاهلية وما كان متمكنا بها من الفتن الداخلية فكانت احداهما بمدينة طيبة يليها الملوك الحادثون من طائفة القسس المصرية والاخرى بمدينة تانيس (سان) وهى العائلة الملوكية الاصلية التى أوردها القسيس مانيتون فى تاريخه فى جملة العائلات الملوكية المصرية على انها فى ذلك العصر كانت هى العائلة الملوكية الحقيقية وفى تلك المدة كانت مصر قد فقدت ما كان لها ببلاد آسيا من درجة الاعلوية وظهرت بعض علامات أخذت تدل على انقلاب الموضوع من أن بلاد آسيا هى التى صار لها اليد العليا والتأثير الاقوى على الاقطار النيلية بعكس الحال وان ذلك لم يزل آخذا فى أسباب الترقى والازدياد وذلك ان ملوك دولة الصعيد دعوا كثيرا من أولادهم باسماء من قبيل المستعمل بين بنى سام بن نوح ببلاد آسيا واهدى بعض ملوك الوجه البحرى احدى بناته الى سليمان لتكون من جملة زوجاته وجاء بعد العائلة الملوكية الحادية والعشرين العائلة الثانية والعشرون فى سنة ١٦٠٢ قبل الهجرة (سنة ٩٨٠ قبل الميلاد) وكان تخت ملك هذه الدولة بالمدينة الموجود محلها الآن ناحية تل بسطه (باقليم الشرقية) والظاهر ان هذه العائلة لم يكن من ملوكها كثير ممن يعد فى زمرة الملوك الغزاة والفراعنة أهل الفتوحات وأول ملوكها هو المسمى فى التوراة شيشاق واسمه على الآثار المصرية القديمة سيسونك وقد ذكر عنه انه غزا بجنوده مملكة

فلسطين وحاصر مدينة بيت المقدس وسلب الامتعة النفيسة الموجودة بهيكلها ومن نظر الى أسماء الملوك المنسوبين لهذه العائلة الملوكية استغرب حيث يجد أسماء أكثرهم كاسماء الملوك بجهة العراق وكردستان كنمرود وتجلات وسرجون وماهو من هذا القبيل وأغرب من ذلك مايشاهد أيضا من ان فرقة العساكر الموسومة بالمحافظة الخصوصية عن ذات الملوك من هذه العائلة الملوكية لم يكونوا من الاهالى المصريين بل من الطائفة المدعوة ماسواس من جملة الطوائف الليبية التى كان قد طردها عن ثغور الاقاليم البحرية الملك رمسيس الثالث غير مرة كما سلف ذكره وماظفرنا به من الفوائد المذكورة سابقا بطريق الاستكشاف فى ضمن الحفر الذى حصل فى الهيكل المسمى بالسرابيسية (معبد الاله سرابيس) كان هو مفتاح تاريخ الديار المصرية فى عصر العائلة الملوكية الثانية والعشرين ومابعدها والذى اتضح لنا من ذلك عن هذا الصدد هو ان مصر بقدر ما كانت ترغب فى المدد السابقة للخروج عن أصل مادتها وللتوسيع فى محيط دائرتها صارت الآن لاميل لها الا للتداخل فى ذاتها والتقلص فى نفسها وبقدر ما كانت تسعى أولا فى تكليف الدول المجاورين بقوانينها والملل الملاصقين بشرائعها أصبحت تذعن لتحكمات الملل الاجانب عليها وتطيع لمجرد اشاراتهم اليها واندرست بالكلية من الآن فصاعدا العائلات الملوكية الطيبية والمنفيسية وكأن الديار المصرية بانجذابها الى جهة بلاد آسيا صارت من الآن فصاعدا لاتتخذ تخوت مملكتها ومحل دسوت دولتها الا ببعض المدائن من الاقاليم البحرية على ان الديار المصرية من ابتداء عهد العائلة الملوكية الثانية والعشرين صارت لاتمتلك حريتها وبيان ذلك هو ان مصر كانت فى ايام

العائلات

العائلات الملوكية الطيبية العظيمة الشان قد فتحت أبوابها لبعض
القبائل الاغراب مثل بنى اسرائيل كما تقدم ذكره آنفا وأقطعتهم بعض
الاطيان ليقيموا فيها على سبيل الضيافة والاحسان ولم تخش حينئذ
من صولتهم لتحققها من سهولة اطاعتهم وضبط عصبتهم بمجرد ما كان
لها من مظهر العظمة ومظنة السطوة وأما فى عهد المدة التى نحن
بصددها الآن فانه قد انقلب الموضوع وغلب المخفوض على المرفوع
وصارت قبائل الاغراب المذكورين هم الذين يقومون عليها ويتعدون
حدودهم لديها وأكبر مصيبة من ذلك أن ما كان قد أعطى لهم من
الاراضى بوجه العارية والاستنفاع تطلعت آمالهم لاستملاكه والاستيلاء
عليه بالغصب بوجه كونهم هم الاسياد المالكين والارباب المتصرفين
وجرى لمصر فى ذلك العصر ما تحكمت به عليها يد الاقدار وحكمت
عليها فيه بالدوام والاستمرار من انه قد استولى عليها احدى هذه
القبائل الغير المصريه المذكورة التى كان حين ذاك بالثغور الشرقية
منها جماعات كثيرة وملوكها فى الحقيقة هم الذين عبرنا عنهم بالعائلة
الملوكية الثانية والعشرين

وقد خلفت العائلة الملوكية السالفة عائلة ملوكية أخرى أسوأ حالا
وأردأ مآلا منها وهى الثالثة والعشرون فانها تظهر لعين الناظر
متلبسة بحوادث تاريخية لم تكن ترد له على خاطر وبيان ذلك أنه اتضح أن
الديار المصرية فى هذا العهد أيضا كانت مبددة الشمل متعددة أمر العقد
والحل الى درجة بليغة من الاختلال لاسباب لغاية الآن مجهولة
الحال فتراها من جهة الشمال منقسمة غير متحدة الامر والكلمة

وباليتها كانت كما فى عصر الملوك الرعاة متوزعة بين دولتين أجنبية وأهلية بل كانت فى أيام العائلة الملوكية الثالثة والعشرين متقطعة بين عدة دول صغيرة متفرقة وجملة طوائف كثيرة غير متفقة يقودها الى طريق الاختلال والاضمحلال ويسوقها الى سوق سوء الحال عشرة من ملوك الطوائف أصل أكثرهم من الطائفة المسماة ماسواس وهى طائفة يظهر أنها كانت فى الحقيقة بمنزلة طائفة الانكشارية فى الدولة العثمانية ثم سعت فى الصعود على مراقى الملك وارتقت بطريق الاختلاس اليه واستولت بحسب الظن بوجه التعدى عليه وكذلك كانت الديار المصرية بجهة الجنوب من سوء الحال على مالم يرد لبصيرة المتبصر على بال وان كان ما هو متحكم فيها بهذه الجهة من أنواع الفشل هو من قبيل آخر وذلك أن الاقطار السودانية التى لم تزل من منذ الاعصار الخالية لغاية ذلك العصر تحت طاعة الدولة الفرعونية انكشف غبارها وبان على حين غفلة من الزمان فى أثناء ذلك الاوان عن مملكة منتظمة ودولة مستقلة وصار ليس لمصر يد عليها ولا بها أحد من الولاة الذين كانت ترسلهم الدولة المصرية اليها من مدينة طيبة ومدينة منفيس لتنفيذ أوامرها فيما وراء الشلالات وكانت تستعملهم على تلك الجهات بلقب ولاة الاقاليم الجنوبية أو ولاة الايتيوبية من لدن الدولة الفرعونية كما سبقت الاشارة اليه ولم تخرج فقط بلاد الكوش (الزنوج) عن طاعة الدولة المصرية الى سعة الحرية بل تعدت صولتهم وامتدت غلبتهم فى عهد العائلة الملوكية الثالثة والعشرين على الاقاليم المصرية الاصلية وبلغت من نواحى صعيد مصر الى نحو اقليم المنيا حتى صارت تلك النواحى

كلها

كلها فى ذلك العصر كأنها اقليم من مملكة السودان

وبعد العائلة الملوكية الثالثة والعشرين جاءت الرابعة والعشرون قال القسيس مانيتون وهى عبارة عن ملك واحد يقال له بوكوريس وقد حكم مسافة ست سنوات فان قيل يا هل ترى الملك بوكوريس المذكور كان قد وفق لطرد طائفة الكوش من اقاليم الصعيد أو انما كان فقط من جملة ملوك الطوائف المتغلبين على الاقاليم البحرية بجمعها كلها تحت قبضته أم كيف كان الحال قلت لم ينقل لنا عن المؤرخين المتقدمين شئ البتة فى هذا المعنى لغاية الآن وانما المحقق لنا هو أن الملك بوكوريس هذا لم يمض من عهد استيلائه على سرير الملك الا بعض سنوات قلائل حتى نزل اليه من وراء الشلال بعض ملوك دولة السودان المدعو ساباكون فقاتله واستولى عليه بالاسر وألقاه فى النار حيا وبذلك تم له عليه الظفر وتمت للملك السودانى على مصر الكرة فى هذه المرة فطالت يده عليها الى البحر الابيض وأدخلها تحت طاعته وضمها الى دائرة دولته فانظر الى الحال كيف انقلب وتبصر للغالب كيف انغلب وأين نحن فى ذلك اليوم من العصر السابق وهيهات هيهات لتلك الاوقات أين عهدنا بالغزوات العظيمة والوقائع الحربية الجسيمة التى كان قد فعلها الفراعنة التوتمسيون مع طائفة الكوش هذه وما أبعدنا عن عصر الجزية التى كان فرعون مصر اذا انتصر عليهم كلفهم بها مع الاحتقار ونابزهم بالالقاب مع غاية الذل والصغار فيدعوهم بالاسافل ويسميهم برعاع القبائل أما ان طائفة الكوش هذه هى التى تغلبت فى ذلك العصر على مصر وجلس صعاليكها على سرير الفراعنة العظام والملوك الكرام كالاموتوفيسين

والرمسيسين يرتعون فى مراتعهم المديدة ويتمتعون بقصورهم المشيدة وهى قريبة العهد بما آثرهم علاوة بمفاخرهم

ثم انه بملوك الطائفة الايتيوبية المتغلبين على الديار المصرية تنتهى العائلة الملوكية الخامسة والعشرون

وقد ذكر أهل التسجيلات التاريخية والسير المصرية أنهم أقاموا على كرسى المملكة بمصر خمسين سنة من سنة ١٣٣٧ الى سنة ١٢٨٧ قبل الهجرة (من سنة ٧١٥ الى سنة ٦٦٥ قبل الميلاد) وكان آخرهم بمصر يسمى الملك تهراكه ولم يزل حاكما بالديار المصرية مدة ست وعشرين سنة حتى تعصب عليه اثنا عشر كبيرا من أكابر الاهالى المصريين فأخرجوا الايتيوبيين (الزنوج) من الاقاليم المصرية البحرية واقتسموا فيما بينهم جميع الاراضى الاهلية التى تيسر لهم أن ظفروا بها من اظفارهم الى اثنتى عشرة حكومة صغيرة تقلد كل منهم ملكا على واحدة منها ومن غريب الاتفاق أن الديار المصرية رجعت فى آخر عهد غلبة السودان عليها للحال التى كانت عليه فى أول ظهور الملك سابا كون بها فتراها من جهة الشمال محكومة بحكومة اثنى عشرية من أكابر الاهالى المصريين المتحالفين وربما كانوا من طائفة الماسواس السالفة الذكر ومن جهة الجنوب ترى أقاليم الصعيد مرة ثانية فى صورة اقليم واحد فى يد الدولة الايتيوبية يعد فى جملة أقاليم المملكة السودانية كما كانت فى أول عهدها وكان الحاكم على اقليم الصعيد فى هذه المرة الثانية من ملوك السودان بالمثابة المذكورة هو الملك المسمى بيانخى وزوجته الملكة امونوريتيس ولها تمثال عجيب محفوظ بخزانة الآثار القديمة ببولاق ولما سمت مصر من

تغلب الاغراب عليها أرادت أن تعود لما كانت عليه من التشبث بالانقياد للحكومة الاهلية والدولة الاصلية ووقع بها فى أول مدة حكم الملك المسمى ابساماتيكوس من ملوك العائلة الملوكية السادسة والعشرين مثل ما اتفق لها فى آخر مدة العائلة الثانية والعشرين من تسلطن ملوك الطوائف الاهلية بالاقاليم البحرية مع ترك جهة الصعيد فى يد الملوك الاجانب كما أسلفناه وكانت مدة تسلطن الاثنى عشر ملكا الاهليين المتصالفين بجهة البحيرة خمس عشرة سنة ويحكى أن بعض الكهنة بذلك العصر كان قد أخبر بأن مصر ينتهى أمر دولتها بتمامها الى من يشرب من هؤلاء الملوك فى اناء من النحاس وكانوا قد اجتمعوا فى بعض مجالس الشرب ببعض الولائم الدينية ولما آن أوان التعاطى ناولهم القسيس الاكبر أوانى الذهب التى كانت عادتهم التعاطى بها فى مثل هذه المواسم ولم يتيقظ لعدد الملوك الموجودين فأتاهم بأحد عشر اناء فقط وكان الملك ابساماتيكوس هو الذى بقى بلا اناء فى يده فتناول المشروب فى مغفره وكان من النحاس فحسده على ذلك سائر الندماء ونفوه فى الحال فى بحيرة من بحيرات الوجه البحرى وأراد أن ينتقم منهم فأرسل يسأل الكاهن ماذا يكون فقال له ان الذى ينقذه رجال من النحاس يخرجون من البحر فاستغرب ذلك أولا ثم لم يمض الامدة يسيرة حتى خرج من البحر على سواحل مصر قوم من اليونان كانوا قد أدركهم الغرق فخرجوا من المياه على بعض المصريين بالسواحل وعليهم الزرد فبادر رجل مصرى الى الملك ابساماتيكوس ولم يكن شاهد قبل ذلك رجالا متدرعين بالزرد على هذه المثابة وقال له ان رجالا من النحاس قد خرجوا من البحر ينهبون البلاد ولكونه افتكر

ان خبر الكاهن قد تحقق بذلك بادر الى جماعة اليونان المذكورين وأكرمهم ووعدهم بالعطاء الوافر والعز المتكاثر وتحالف معهم على أن ينصروه فلما انحازوا الى عصبته وصاروا من جماعته مع أصحابه المصريين الذين بقوا معه منقادين وعلى عهده باقين لاقى بالجميع أعداءه الملوك الاحد عشر المذكورين ففتك بهم وخلعهم عن أسرة ملكهم ثم التفت الى طائفة الايتيوبيين فقطع دابرهم ومزق شملهم عن اخرهم وأخرجهم من البلاد واستولى وحده على جميع المملكة المصرية وأرجع لمصر أراضيها الاصلية التى كانت بأيديهم من البحر المتوسط الابيض لغاية الشلال الاول ثم ان العائلة الملوكية التى الملك ابساماتيكوس هذا هو أول ملوكها هى العائلة السادسة والعشرون فى ترتيب القسيس مانيتون كما سبق ذكره وما يشاهد من الاطلال القديمة بالقرب من الناحية المعروفة فى عصرنا هذا بناحية صا الحجر هى آثار المدينة القديمة التى كانت اتخذتها هذه العائلة تختا لمملكتها وكانت تسمى فى ذلك العصر بمدينة سيس

وقد يستدل ببعض علامات على ان الملك ابساماتيكوس لم يكن مصرى الاصل قال بعض المؤرخين ولعله الاشبه بالحق ان أصله من الطائفة المسماة ماسواس التى كانت قد جعلها بعض الملوك السابقين قبل تلك المدة ببعض قرون فرقة العساكر الخاصة من الجنود المصرية واذا صح ما ذكر كانت العائلة الملوكية السادسة والعشرون ليبية الاصل (من أهل برقة) ومع كون هذه العائلة من الاغراب فقد أورثت الديار المصرية السعادة والرفاهية مسافة مائة وثمان وثلاثين سنة ثم هى وان لم تنجح

فى

فى كل ما كانت شرعت فيه فى الجهات الخارجية من المشروعات الحربية بقصد استرداد شهرة مصر الاصلية وبهجتها الاولية حيث ان الملك ابساماتيكوس هم باقتتاح بر الشام فصد عن ذلك بمدينة حاصرها تسعة وعشرين سنة ولم يتوفق له الاستيلاء عليها وتشبث الملك نيكاوو المدعو أيضا نخوس أحد خلفائه باسترجاع ما كان للديار المصرية من السلطنة القديمة على البلاد الكائنة فيما بين دجلة والفرات فلم يقدر على ذلك أيضا بل لاقاه الملك بختنصر وقاتله فهزمه بمدينة كركميش ولم ينج منه الا بالفرار وكذلك ابريس أحد ملوك هذه العائلة الذين جاؤا من بعده بعث البعوث الى بلاد القيروان ليفتحها فلم يصادفوا الا الهزيمة عدة مرات وقتل منهم خلق كثير واذا كان الحال على ما ذكر فان الديار المصرية فى عهد الملوك من أرباب دولة مدينة سيس قد انكسفت شمس بهجتها الحربية بعد أن كانت قبل ذلك بألف سنة تامة الابتهاج فى سائر الآفاق عامة الاشراق على العالم بتمامه غير أن هذه العائلة وان كان الحال كما علمت قد جبرت خلل كسفتها من عدم النجاح فى الخارج بما اجتهدت فيه فى الداخل من التعشق بالفنون والصنائع وبما أبدته من العناية باقامة الهياكل القديمة بعد اندراسها واحداث معابد أخرى جديدة بقوة أنفاسها فانها قد شيدت لمدينة سيس كرسى دولتها من الابواب الكبيرة ما شهد له المؤرخ هيرودوت بأنه لم يشاهد له نظيرا بسائر الديار المصرية ولكن هذه المدينة الشهيرة قد اندرست مع أبوابها المحكى عنها بالكلية ومن دلائل ما أبدته العائلة الملوكية السادسة والعشرون أيضا من العناية بمساعدة مادتى التمدين ونشر أسباب العمارة والتحسين ما حصل من

خلفاء الملك ابساماتيكوس من بذل المجهود فى فتح أبواب الرواج للتجارة البلدية والصناعة الاهلية ببلاد العرب واليونان وبر الشأم وسواحل البحر المتوسط الابيض ثم ان الملك نخوس خاب سعيه فيما كان قد شرع فيه من اعادة الخليج الذى كان قد فتحه الملك سيتوس الاول بين نهر النيل وبحر القلزم من قبله ثم ارتدم الا أن أهل التاريخ لايسعهم الا أن يثنوا الثناء الجميل على الدوام ويبدوا الشكر الجزيل على ممر الايام لهذا الملك العظيم حيث تعلقت همته وانعقدت عزيمته على تحصيل ماهو بالنسبة لحال ذلك العصر من قبيل الاقدام على العظائم والاقبال على الامر الهائل وذلك ماثبت عنه أنه كان أول من جازف بتسفير جملة سفائن توجهت من بحر القلزم فاخترقت من البحر المحيط الهندى مجاهل لم تكن معلومة لاحد من العالم فى ذلك العصر وجازت الرأس المسمى بونسبرانس (رأس عشم الخير) وسارت تقفو السواحل الغربية من افريقة حتى مرت ببغاز جبل طارق وعادت الى سواحل مصر من البحر المتوسط الابيض بعد أن استغرقت فى هذه السفرة البحرية مسافة سنتين وأما طريق السياسة والتدبير التى كان يسلكها ملوك العائلة الملوكية السادسة والعشرين بالنسبة للمخالطات مع الدول الاجانب والملل المجاورين للديار المصرية فى ذلك العصر على وجه العموم فهى ما اعتنى به فراعنة ذلك العهد الاعتناء التام واهتموا به غاية الاهتمام من فتح أبواب الديار المصرية لسائر الوافدين عليها وجميع الواردين والمترددين اليها من كافة الملل الاجانب لاسيما اليونان حتى أدخلوا فى مدارسهم من شبانهم مقدارا وافرا تعلموا فيها اللغة المصرية وأباحوا حى مصر لانتشار ما كان جاريا فى ذلك الوقت

من

من طوفان الافكار الفلسفية وتشبثات الحزبية التى كانت أمة اليونان
فى أهل ذلك العصر رأس دعاتها وأول سعاتها وظن الملوك من أرباب
عائلة مدينة سيس انهم بذلك انما يحيون من موات الديار المصرية العظم
الرميم ويعيدون للدولة الفرعونية المتهرمة شيأ من شبابها القديم
ويحدثون فيها بهذه الواسطة طريقا جيدا للسلوك على الصراط المستقيم
مع أنهم فى الحقيقة بذلك انما أوجدوا فى داخل بلادهم من حيث لم يعلموا
سببا اخر للتلاشى والاضمحلال وأوجبوا به من غير أن يشعروا على
شواطئ النيل مقتضيا زائدا للفشل والاختلال وذلك أن الديار المصرية
بما هو قائم بها من صفة العتاقة البليغة وفضيلة الثبات العجيبة والتؤدة
الغريبة التى كانت توصلت بها الاعلى درجة التمدين وتحصلت على نهاية
صلاح الحال والتحسين كانت غنية عن اقتباس النور من الغير وليست
محتاجة لسواها فى اكتساب مناهج الخير بل كان يرى أنها ولا بد تفقد
بعض مزاياها بالاختلاط على وجه المباشرة مع مذهب طائفة اليونان
فى ذلك المذهب الذى هم عليه ولازالوا يجنحون اليه من طريقة الترقى
والانتقال من حال الى حال ويدعونه بمذهب التقدم فى التمدن والتكامل
فى التانس وكان لا يخفى على أهل الفراسة والنظر أن يدركوا أن اليونان
متى وضعوا أقدامهم بالديار المصرية فهم منها لا يخرجون وعنها لا يبرحون
وأنه متى تصادم بمصر القوتان واجتمع الضدان فلا بد وأن تغلب
احداهما على الاخرى وتورثها ولو بعد حين اعداما ونكرا هذا وقد
عرضت على مصر فى ذلك العصر أيضا على حين فجأة مصيبة كبرى
وداهية طامة أخرى أخرت وقت ظهور طائفة اليونان بها . ومادة

استيلائهم عليها قليلا من الزمن حيث اعتراها كذلك من عوارض الفتن
ما ترتب على ظهور طائفة أخرى فيها وهى أمة لم تكن انسلخت بالكلية
عن حالة الوحشية بل كانت متوسطة الحال بين البداوة والحضارة
خرجت على الديار المصرية من سهول الجزيرة بين دجلة والفرات التى
كانت مصر لم تزل تنظر اليها بعين الاطماع فأقبلت بجنودها وكان الملك
قبنوص المسمى أيضا قنبيشاش بن كيروش أو قيروس يقودها ومعها
كثير من القبائل الاتباع والجموع الكثيفة من الرعاع ولمامة سائر
البقاع وبعد أن أدخلوا تحت طاعتهم مدينة شستر ومدينة بابل
وقهروا أهل الشأم على أن يردّوا لهم الجزية وصلوا الديار المصرية بعد ان
استولى عليها آخر ملك من ملوك العائلة الملوكية السادسة والعشرين وهو
الملك ابساماتيكوس الثالث بستة أشهر فقط فقابلهم الملك ابساماتيكوس
المذكور والتقى معهم عند مدينة يلوز (وهى من ثغور مصر المعروفة فى
التوراة بلبنة والآن هى تينة وتعرف عند العرب بمدينة قامية أو فرمة)
ودافعهم بغاية جهده فلم تنفع اجتهاداته شيأ وظفر الملك قنبيشاش عليه
فبدد شمله وأباد جمعه ودخل الديار المصرية بجنوده منصورا واختطفها
عنوة من يد أربابها الاصليين ووضع يده عليها دون ملوكها الحقيقيين
وصارت من جملة أقاليم السلطنة الفارسية وذلك فى سنة ١١٤٩
قبل الهجرة (سنة ٥٢٧ قبل الميلاد) فلما حصل عليها أقام بها أولا
مسافة خمس سنوات فى دعة السلم ولم ينتهك فى ابتداء الامر حرمة
معبودات المصريين كما دل على ذلك التمثال الموجود بربوة الباطيقان
بمدينة رومة وعليه نقوش تتضمن كتابات بالقلم المصرى القديم ترجمتها لنا

من

من اللغة الاصلية الى اللغة الفرنساوية جناب لويكنت هودوبيه السالف الذكر بل فعل الملك قنبيشاش فى أول أمره بمصر ماهو أعلى من ذلك همة وأرفع رتبة وهو أنه اختص ببعض مشايخ الديانة المصرية يأخذ عنهم مااشتهروا به من علوم المصريين ومعارفهم وكانت جنود الفرس لغاية ذلك الوقت لم تزل موسومة بسمة النصر عليها شعائر الفخر ثم تراكمت عليها المصايب وتزاحمت عليها دفعة واحدة جميع البلايا والنوائب فانه أولا لما بعث جيشا عظيما لغزو أهل مدينة كرتاجه بسواحل افريقة انتكب عسكره ورجع مهزوما وأرسل جيشا آخر للاستيلاء على الواحات آمون من جبال برقة الغربية التابعة للديار المصرية فخانتهم الادلاء وأضلوهم عن الطريق حتى نفدت أزوادهم وذخائرهم وتاهوا فى الصحارى بتلك الجهة وهلكوا جميعا ولم يبق منهم أحد مطلقا وتوجه بنفسه الملك قنبيشاش بعسكر كبير الى بلاد السودان بقصد الفتك بها والاستيلاء عليها فلما سار بعض مراحل فى الصحراء الفارقة بين مصر وبلاد السودان نفد زاده فبادر بالاياب والرجوع على الاعقاب وحيث خاب سعيه بما نابه من النوائب الثلاثة المذكورة غضب على مصر غضبا شديدا فخرب الديار وأفسد مافيها من العمارات والآثار على طول طريقه وهو آيب من هذه الرحلة من اسوان الى مدينة طيبة ومنها الى منفيس على ماقيل وأتلف الهياكل ومحا المعابد والمعاقل وفتح القبور واستلب مافيها من النفائس والتماثيل وصادف يوم قدومه بمدينة منفيس يوم عيد للمصريين فتوهم ان مايراه حوله من شعائر الفرح والسرور الاهلية ومايسمعه من بشائر المواسم الرسمية انما هو تشمت

بما لحقه من انهزامه وتعنت بما لاقاه من عدم الفوز بمرامه فاستشاط
غضبا وازداد حقدا على ما كان وظهر أثر ذلك بمصر فى كل مكان
وأصاب المصريين بجبره من أعظم المصايب ما أسال منهم الدموع
السواكب ثم أدركته بمصر الوفاة وأراحهم الله منه بالممات وموته
وان ترتب عليه انقاذ المصريين من غائلة التخريبات التى كان قد أمر بها
قبل ان أدركته الوفاة الا انه كان سببا لتزلزل دولة الفرس بمصر وتقلقلها
فى ذلك العصر حتى جاء الملك دريوس اودارا الاول أحد خلفائه وبذل وسعه
فى أن ينسى المصريين ما نابهم من غشامة سلفه بما أبداه من حسن السيرة
والتدبير والرفق بالرعية فى سائر الامور وهيهات هيهات كيف تنسى هذه
النكبات أو تنسخ الاحقاد والضغائن من البواطن وألسنة آثار الخراب
المتراكة من عهد قنبيشاش تفصح عن تلك الآلام وتصرح بالانتقام
ومن ثم لم يمض من تلك المدة وقت من الاوقات الا وقد قامت فيه على
الدولة الفارسية من الاهالى قيامات وتحركت منها حركات انتقامات تدل
على ان الديار المصرية لم تنس ما حصل لها من لدن دولة العجم من الاساآت
والمضرات وكانت كل مدة هذه الدولة بمصر وهى مسافة ١٢١ سنة
عبارة عن اطاعة من طرف الاهالى ظاهرة يتخللها قيامات متكررة
ويقابلها من لدن جماعة الفرس القمع كلما ظهرت والسد بالحسم والقطع
كلما انفتحت وهكذا كانت الديار المصرية على هذا الحال الى أن نصر الله
المصريين على طائفة العجم وحلت بهم منهم النقم ففرت الاعجام هاربين
وتركوا البلاد لاربابها الاصليين ومدة عهدهم بمصر هى المعبر عنه بالعائلة
الملوكية السابعة والعشرين وهذا اخرها

تم

ثم فى مدة العائلات الثلاث التى تلتها وهى الثامنة والعشرون الى الثلاثين وقد مكثت سبعا وستين سنة اجتهدت الديار المصرية فى جبر خلل المصايب التى اعترتها بظلم هؤلاء الظلمة الاجانب وبقيت دولة العجم باسترجاع الديار المصرية لحوزتها بالثانى متعلقة الآمال مشتغلة البال تنتهز للظفر بها الفرصة اذ لم تزل لانفلاتها من يدها فى أشد غصة وتمكنت العداوة بين الطرفين وتجهزت التجهيزات الحربية الهائلة والاستعدادات الجهادية الغائلة من المملكتين وحصلت المصادمة معا من الجهتين الا أن الاقدار قضت بخذلان الجيوش المصرية أيضا فى مدة ملوك العائلات الملوكية الثلاث المذكورة فان الملك نكتنبو الاول أحد ملوك العائلة المتممة للثلاثين منها وان كان قد ظفر فى أول واقعة بطائفة العجم وتوفق لطرد بعض قوادهم عن ثغور الديار المصرية من الاقاليم البحرية وكانوا قد تغلبوا عليها الا انهم بعد ذلك ظفروا بخلفه المسمى نكتنبو الثانى فى عدة وقائع أخرى متوالية وانتصروا عليه جملة نصرات متتالية بمدينة بيلوز ومدينة بو باستيس (ولعلها المعروفة الآن بناحية بسطه) وبمدينة منفيس أيضا واضطر للاذعان لكثرتهم والهرب من سطوتهم ففر أمامهم الى جهة السودان وترك الديار المصرية فى قبضة طائفة الفرس بالثانى وبانخفاض دولة الملك نكتنبو الثانى المذكور انخفضت دولة الملوك المصرية القديمة الى حيث لم تسد بعد وبانقراضه انقرضت ذرية الفراعنة العتيقة الى حيث لم تعد لغاية هذا العهد

وليس لنا عظيم شئ يذكر ولا جسيم خبر يؤثر عن ملوك الفرس الذين ظهروا بالديار المصرية ثانى مرة ونعبر عنهم فى عداد العائلات الملوكية

المصرية حسب ترتيب القسيس مانيتون بالعائلة الحادية والثلاثين فانها لم تقم على سرير الدولة الفرعونية الاصالة ثمان سنوات حتى ظهر في مدة حكم دارا الثالث عليها الاسكندر الاكبر وماذا عسى تقتدر مصر أن تفعل لمقاومة شدة وطأة البطل المقدوني وقد أنهكت منها الحادثات السابقة أكثر قوتها وأهلكت من أهلها أغلب حنكتها وصارت سهلة التناول ليد غير المتطاول فضلا عن يد المتطاول ولذلك لما لقيت من ثقل غلبة العجم المشقة والنصب وأصبحت من ظلمهم في غاية التعب مدت يدها للاسكندر امتداد يد الهاوى في مهلكة لمن ينقذه من العذاب الاكبر وأنت خبير مما أومينا به آنفا اليك ومما ألقيناه من القول سابقا عليك بأن الديار المصرية بعد أن توالت عليها حوادث الحدثان وتعاقب عليها تغيرات الازمان فجعلتها تارة ايتيوبية (زنجية) في عهد العائلة الملوكية الخامسة والعشرين وتارة ليبية (برقية) في عصر العائلة السادسة والعشرين وتارة أخرى فارسية في مدتي العائلتين السابعة والعشرين والحادية والثلاثين ها هو قد آن الاوان وحل الاجل الملحوظ من قبل بزمان . لان صارت كذلك يونانية بحلول دولة اليونان حسبما جرت به عادة الله سبحانه في خلقه من تداول الايام بين الناس وتبادل كرات الحرب من النصر والغلب تارة لهؤلاء وأخرى للآخرين على حسب القياس

وهنا انتهت مدة الدولة المصرية الحادثة أو عصر الجاهلية الاخيرة وقد أقامت على سرير الملك ١٣٧١ سنة وآن أوان الكلام على عصر اليونانيين بمصر في ضمن الباب الآتي بالخصوص

(الباب

(الباب الرابع)

فيما تعلق بعصر اليونانيين بمصر وهو عبارة عن مدتى العائلتين الملوكيتين الثانية والثلاثين والثالثة والثلاثين

كان الاسكندر الاكبر أول ملوك العائلة الملوكية الثانية والثلاثين بمصر وكان قدومه الديار المصرية سنة ٩٥٤ قبل الهجرة (سنة ٣٣٢ قبل الميلاد) وكانت مدة حكمه قصيرة الا أنه تيسر له مع ذلك ان اختط هذه المدينة العظيمة التى تسمت باسمه وبقيت على هذه التسمية على ممر الاعصار وتوفق أيضا بمجرد وصوله لشواطئ النيل ان استهل بدو حكومته فيها بتأسيس مذهب نفيس من حسن السياسة والتدبير ومنهج جاد من جودة ادارة الامور وهو مانشره وعلى رؤس الاشهاد أشهره وفى ذات صبيحة اليوم الذى حضر فيه أظهره من سلوك طريق الاباحة العامة والرفق بالرعية الخاصة والعامة حتى ترتب فيما بعد على اتباع هذا المسلك المستقيم واتخاذ هذا المنوال الحسن القويم الذى اقتدى به خلفاؤه فيه وصارت دولة اليونان بمصر الى آخر عهدها تقتفيه ان أعقب ما كان قد اعترى الديار المصرية فى المدد السابقة على هذا العصر من الايام الصعبة والليالى السود مدة فترة من التعذيب تبلغ ٢٧٥ سنة كانت عليها أيام دعة وسعد وأعوام راحة كانما كانت فيها مصر فى غفوة مهد حيث أبقى للمصريين المغلوبين له ما كانوا يألفونه من دياناتهم الاصلية وعوائدهم

الاهلية وفنونهم وصنائعهم ولغتهم وطريقة كتابتهم وتعهد الاسكندر الاكبر لاهل مصر بهذا العهد من تلقاء نفسه فى عين يوم الفتح حتى نتج منه فى ماتة تحسين أحوال البلاد غاية المصلحة ونهاية النجح ومن المعلوم ماحدث لهذا البطل المشهور من موت الفجأة وهو فى وسط نصراته وعز غزواته وكيف خلفه على سرير ملكه ولده الذى ولد له من بعد مماته المسمى بالاسكندر الثانى وكفله بالديار المصرية عمه المسمى فيليبش اريدى ومن المعلوم أيضا ماحصل فى تلك المدة من ان تملك ولد الاسكندر الاكبر وأخيه الذى كان سريع الزوال لم يمنع قواده من اقتسام أقاليم سلطنته وكيف اختص أحدهم وهو المسمى بطليموس بن لاغوس بمملكة مصر وحيث تقرر ذلك فقد علمت انه باستيلاء بطليموس المذكور عليها انقضت العائلة الملوكية المقدونية الاولى بمصر وأعقبتها العائلة الاخرى من العائلتين اليونانيتين وهى الثالثة والثلاثون المعروفة بالملوك البطالسة أو البطليموسية نسبة لمؤسسها بطليموس بن لاغوس المذكور

ولا فائدة فى استقصاء أحوال ملوك هذه العائلة الملوكية وبيان مايتعلق بمدة حكم كل منهم على حدته وانما نقول انهم جميعا كانوا يدعون بطليموس باسم جدهم الاعلى وسائر نسائهم أسماؤهن منحصرة فى كل من هذه الثلاثة الاسماء وهى قليوبطره وبرنيس وأرسنوه وبالجملة فان تاريخ مصر فى عهد هؤلاء الملوك الاغراب لم يكن فيه تلك المغناطيسية القوية التى لم تزل تجذب القلوب اليها اذا اطلعت على سيرة مصر القديمة فى عهد الفراعنة الاولين حين كانت الديار المصرية لها مرتبة أول سابق فى حلبة ميدان الامم وكان الفراعنة السابقون لم يزالوا يقاتلون وهم فرسان ذلك الميدان

الميدان وحائزو قصبات السبق فى الرهان ويدافعون فى سائر الاقطار تارة فى الجنوب وتارة فى الشمال عما كانوا قد حازوه من مزية التمدن الانسانى الكامل وفضيلة التأنس الذى كان على فضل كل ما عداه فاضل وكان كأنه روح وهؤلاء الفراعنة هم جسمه وجبروته أولاهوت هم ناسوته وأما فى عصر البطالسة فكانت قد نزلت مصر عن هذه المرتبة العلية وفقدت ما كان لها على سائر الامم من الاعلوية وذهبت مصر التى كانت فى عهد الفراعنة التوتميسين تقود العالم بتمامه وتختص بزمامه وبرزت فى عصر البطالسة بدلا عن مصر الاولى مصر حادثة سواها فى منظر آخر حقير ووجه صغير وصار تاريخ مصر فى هذا العصر يردف بعد تاريخ اليونان كالذيل المسحوب ويجر خلفه كالجنيب وحوادث هذا العصر السياسية ووقائعه التدبيرية انما كانت كلها عبارة عن مزاحمات على سرير الملك ومخاصمات نسوانية لاغراض شهوانية أدت فى كثير من الاحوال الى قتل وسفك وعن بعض مجاهدات يسيرة بقصد الاستيلاء على بر الشأم والجزائر الشرقية من البحر المتوسط الابيض أغلبها الافادة ثمرة ولا عادة بأثرة مفتخرة هذا ومع ما علمته من انحطاط درجة البطالسة بالنسبة للفراعنة السابقين فانهم لا زال لهم على ديار مصر ما ترجيلة وبعض وجوه من الخيرات جليلة ولهم من حسن السيرة ونباهة الذكر ما يستحقون أن ينتظموا به فى سلك الشرف والاعتبار بين سائر ولاة الامور بتلك الديار وأسباب ذلك من وجوه

الاول هو السلوك على وتيرة واحدة فى طريق الاباحة العمومية والرفق بالرعية الذى ذكرناه آنفا فانهم بدلا عن أن يكلفوا الرعية بعوائد أجنبية

وتغرس بدورهم وتحملهم على العصيان على ولاة أمورهم أبقوهم على عوائدهم القديمة ورسومهم المألوفة لهم وتصرّ أهل الدولة مع الاهالى المصريين مع بقائهم على ماهم عليه من صفة اليونانية التي كانوا لا يزالوا بها يدعون وكانوا بذلك يفتخرون أليس في ابتنائهم لمدينة ادفو من أصلها أبهج دليل على ما أبديناه وكذلك ماذكره المؤرخون من أن أحد البطالسة توجه في غزوة الى نهر الدجلة وخاب سعيه فعاد منها ومعه أكثر من خمسة وعشرين ألف صنم مما كان قد استلبه الملك قنبيشاش ملك فارس من الديار المصرية واستصحبه معه الى ذلك الطرف في المدة السابقة أليس هذا أيضا من الادلة على ماقلناه

السبب الثانى وهو أقوى من الاول فيما اكتسبه البطالسة من الاشتهار والترنم باسمهم من الشرف والاعتبار هو أنهم كانوا في عصرهم أول داع وأكبر باعث وساع على استحداث حركة عقلية كبيرة كان مركز دورانها بمدينة الاسكندرية وقد نتج منها بعدهم أعظم النتائج لاحوال الديار المصرية اذ من المعلوم ان أحد هؤلاء البطالسة كان هو الذى أمر القسيس مانيتون المقدم ذكره بتأليف تاريخ وطنه باللغة اليونانية وفي عصر ملك آخر من ملوكهم حصلت ترجمة التوراة وكتب اليهود المقدسة من اللغة العبرانية الى اليونانية وهذه الترجمة هى المعروفة بترجمة السبعين وظهر في عصر البطالسة من التأليفات العظيمة والاقتراحات العقلية النفيسة ماهو أعلى طبقة من ذلك وكان هو السبب الاقوى لاشاعة شهرتهم وحسن ذكرتهم فانهم هم الذين جمعوا خزانة الكتب الشهيرة بمدينة الإسكندرية التى يقال انه كان بها أربعمائة ألف مجلد تتضمن جميع العلوم والمعارف

وسائر

وسائر أنواع الآداب التي كان قد وصل اليها طول الأمم السالفين من الرومانيين واليونانيين والهنود والمصريين وفي عصرهم أيضا كانت قد وجدت بالاسكندرية خزانة التحف والغرائب (المعروفة عند العرب برواق الحكمة) التي اشتهرت بأنها كانت أول مدرسة للعلوم والمعارف في العالم بتمامه ولقد كانت حرية بذلك وبالجملة فقد كان ملوك البطالسة قد جعلوا مقر دولتهم مورداً عاماً ومنهلاً عذباً للواردين والمترددين من النحويين واللغويين والعلماء في سائر أنواع العلوم والفلاسفة وجميع أرباب العقول المتنورة الموجودين في عصرهم وأسسوا بذلك مدرسة الاسكندرية التي نازعت الديانة النصرانية في أول ظهورها بعد ذلك بمدة قرون في أقطار الدنيا بتمامها واذا كان الحال حسبما اتضح فقد علمت أن ملوك البطالسة وان كانت أنفاسهم ضعيفة من حيث مادة المخالطات السياسية والعلاقات التدبيرية مع الدول الاجنبية ومن حيث مادة الغزو والجهاد فقد جعلوا أنفسهم في أعلى طبقة من الاشتهار وأرفع رتبة من الفخار بتعشقهم في مواد العلوم والآداب حتى كأن ذلك كان دأب ذريتهم وسجية طائفتهم والباعث الاقوى لمعالي هممهم الى أن جاء أحدهم المسمى اسكندر بطليموس ولم يعقب نسلا فأوصى بالديار المصرية ومواطن الفراعنة التوتيسيين من الفراعنة الاصلية الى الامة الرومانية كأنما هي مجرد مزرعة فلاحية ثم جاءت بعده من بعض نسل البطالسة الملكة قليوبطرة الشهيرة وكانت من الجمال والانخداع في مرتبة كبيرة فاستمالت باستيلائها بسحر جمالها وغريب احتيالها على عقل كل من قيصر يولوس وانطوانوس وكانا من أكابر ولاة الامور وأرباب

الحل والعقد في ملة الرومان في ذلك العهد حتى أعاناها على أغراضها من تأخير تنفيذ هذا العقد المشؤم فأخرته الى أجل محتوم وبعد ان أقامت الملكة قليوبطرة المذكورة على سرير المملكة المصرية يحيا بوجودها موات عائلة الملوك البطليموسية أدركتها المنية وجرى من وصية اسكندر بطليوس مقتضاها حسب منطوق لفظها ومفهوم معناها وانسلخت الديار المصرية عما كانت عليه في عهد البطالسة من صفة المملكة المستقلة وأصبحت لا تعد في عداد الملل الا بصفة احدى العمالات وبعض الاقاليم التابعة لسلطنة الرومانيين المتسعة التي كانت رومة مقر مملكتها وتحت سلطنتها وكان ذلك في سنة ٦٥٢ قبل الهجرة (سنة ٣٠ قبل الميلاد)

(الباب الخامس)

فيما يتعلق بعصر الرومانيين بمصر وهو عبارة عن العائلة الملوكية الرابعة والثلاثين

لما صارت الديار المصرية ليد دولة رومة استعملت سائر طرق التدابير التي في طاقتها لعدم افلات هذه الغنيمة النفيسة التي حصلت في قبضتها فرأت ان تركها على ما كانت عليه من دياناتها الاصلية وفنونها وصنائعها وطريقة كتابتها ولغتها وعوائدها وأصلحت لها بعض هياكل كانت قد اندرست بل أنشأت بعض معابد أخرى جديدة لعبادة بعض الالهة البلدية

البلدية وما كان البطالسة قد شرعوا فيه من انشاء مدينة ادفو ومدينة
اسنا ومدينة دندره وأرمنت اعتنى بتتميمه سلاطين الرومانيين واختط
سلطان رومة المسمى (ادريانوس) منهم فى موضع الناحية المعروفة الآن
بناحية الشيخ عبادة (باقليم المنيا) مدينة حادثة من أصلها وابتنى فيها
عمارات نفيسة كرامة لنديمه المدعو (انطنيوس) وكذلك فى عهد دولة
الرومانيين بمصر تأسست زوايا ومعابد صغيرة بمدينة كلابشه وجهة دبوت
ودندور (ببلاد النوبة) وزيد فى العمارات الجميلة والآثار الجليلة
الموجودة من عهد الفراعنة بجزيرة البربى (على القرب من اسوان)
ما زادها بهجة وجمالا ولما أمنت دولة رومة من الاهالى المصريين غوائل
العصيان بمسايرتهم على مذاهبهم القديمة وطرائقهم المألوفة لهم حيث
كانت هى فى أغلب الاوقات بواعث القيامات الاهلية والافتتانات
البلدية تحكمت فى أن لا يوضع فى المدن محافظون الامن الجنود الرومانية
وأولت عموم أحكام الديار المصرية ليد وال من طرفها يلقب بما معناه الوالى
العالى أو الخديو الاعظم له اليد العليا فى سائر أمور الولاية يتصرف فيها
كيف يشاء بالنيابة عن السلطان الرومانى وقصدت بهذا التدبير المبادرة
بالحلول فى أعين المصريين محل ملوكهم الاصليين من غير تمهيد لذلك
واستعدت بهذه المثابة من وجه آخر استعدادا قويا لقمع العصيان
وقطع مادة الافتتان واختصت مع ذلك بأن تكون هى الحكومة العليا
فوق ولاة مصر لها عليهم حق النظر فى أحوالهم ومراقبتهم والتفتيش
عليهم فلم تكن تطول مدة ولايتهم وكان كل من ارتكب منهم جنحة
ولو صغيرة عوقب بالنفى أو بالقتل وكان من أصول السلطنة الرومانية

وعوائدها المرعية أن لا يتولى الديار المصرية أحد من أرباب مجلس الملك والعقد ولا من عائلات الاشراف وذوى البيوت الشهيرة ولم يكن الباعث لدولة رومة على سلوك هذه الطريقة الاحتقار وعدم العناية بهذه الديار لما كانت عليه فى ذلك العهد من حالة الذل وعدم الاقتدار بل هذا يدل على انها كانت تخشى أن يلى مصر حسبما اقتضته ضرورة الاحوال من نواب الدولة الرومانية من يغتر بمحاسنها المقترن له الاطماع أن يظفر بها من أظفارها ويستلبها ويستولى عليها ويستقل بها دونها

ولو أردت الافصاح عن حالة مصر فى عصر سلاطين الرومانيين كيف كانت قلنا انها لا تتصور لعين الرائى فى تلك المدة الابصورة بلدة قد انطفأت بهجة حالتها السياسية البرانية وانتهت علاقاتها الخارجية وبقيت تتمتع بما يحصل لها من الثمرات الكثيرة والمحصولات الغزيرة الناشئة لها من حسن ادارة ولاة أمورها وبجودة سياستها الداخلية وتدبيرها واذا كان قد حصل فى أثناء هذه المسافة بعض وقائع حربية فى الجهات الخارجية كما توجه بجيوشه لغزو بلاد العرب بترونيوس أحد الولاة بمصر من طرف دولة رومة وكما توجه العامل المذكور أيضا الى مدينة جبل البرقل التى كان بها مقر مملكة الايتيوبيين فى تلك المدة بقصد تأديب الملكة المسماة كنداسه صاحبة المملكة المذكورة حيث كانت قد نزلت الى اسوان فدخلتها واستولت عليها وصارت تتنازل الى جهة الصعيد فتؤذى البلاد وتوقع فيها الفساد فانما كان نفع ذلك عائدا على الجنود الرومانية التى باشرت هذه الوقائع الحربية لا على ذات مصر حيث لم يكن لها فى ذلك بحسب الظن مدخل وقد حصل فى تلك المدة أيضا بعض فتن داخلية وحوادث

عصيان

عصيان بالديار المصرية ربما يتوهم منها ان هذه الديار وان كانت قد استأسرتها يد السلاطين الرومانية لم تزل تتذكر مفاخر أيامها الاولى فتتلهف عليها وتود أن تعود اليها والحال بعكس ذلك خان الذى تجاسر على ماهو من هذا القبيل كان مرة رجلا شامى الاصل من الفلطنين بمدينة الاسكندرية ذا ثروة يعمل بعمل له فى صناعة ورق الكتابة من النبات المعروف بالبردى أو الفيلكون (وهو النبات الذى كان يصنع ليكتب عليه الكتب فى تلك المدة كالكاغد الآن) فسولت له نفسه ان جمع جيشا من العساكر بمجرد ماف ميسرته من أرباح معمله وقام به على دولة رومة ومرة أخرى كان الذى فعل ذلك هو أحد ولاة مصر من طرف الدولة الرومانية المدعو أشيلى أراد أن ينتهز فرصة ما بيده من نفوذ الامر والنهى بمناسبة كونه والى الديار المصرية فطمع فى السلطنة الرومانية ووضع على رأس نفسه تاج السلطنة بمحضر من جنوده فجاءه السلطان ديوكلتيانوس بنفسه وحاصر الاسكندرية مدة ثمانية أشهر وحرقها وقتل منها خلقا كثيرين ولم يكن لتفس مصر فى جميع هذه الفتن مدخل ولو كان قد ظفر بمقصوده بعض ذوى الاطماع الآوين اليها لكان قد خرج منها من يملك رومة وبقيت هى على حالها فى الاسترقاق وانما أبدت الديار المصرية فى تلك المدة ما يدل على انها لم تزل متلبسة ببعض الحياة فى أمرين

الاول بوقت ظهور دين النصرانية بها وهل أحد يجهل ما حصل فيها من التعذيب لمن تنصر بوقت ان دعا لهذا الدين بها القديس ماريمرقص تلميذ مارى بطرس ومن تبعه بمصر وما أبداه كل من الطرفين من الحمية الدينية والتعصبات الحزبية أحدهما للتشر دين النصرانية والآخر

لقطع مادة سريانه بالديار الفرعونية

الامر الثانى مادة المذاهب الفلسفية وما كان فى مدة الدولة الرومانية لمدارس الاسكندرية من التأثير الظاهر والاشتهار المتواتر فان الحق ان الديار المصرية فى ذلك العصر كانت لم يزل لها السلطنة على رومة ومملكة اليونان بمجرد القوة العلمية والشوكة الروحانية التى كانت متحلية بها فى تلك المدة ومع ما كان يظهر من آفاق وادى النيل فى ذلك العهد من أنوار العلم الساطعة وشموس الفهم اللامعة فانه كان لا يخفى على كل ذى بصيرة ان الديار المصرية مضى ركبها وانقضى نحبها وعم اختلالها وتم اضمحلالها فلا ترى فى ذلك الوقت من مدينة طيبة وابيدوس ومنفيس وهليوبوليس (مدينة عين شمس) الا آثارا متخربة واطلالا كئيبة وتنازلت مدينة الاسكندرية نفسها من درجة العظمة التى كانت فيها الى ان صارت بندر اقليم من الاقاليم المصرية لا غير وأصبحت جميع الديار المصرية فى مدة الدولة الرومانية لا همة لها الا بالعناية بمادة فلاحتها ولا تتعلق منها الآمال بنوع آخر من أنواع المفاخر غير أنها كانت تفرغ وسعها فى ان تكون لمدينة رومة بمنزلة شونة غلال وتجتهد فى أن ذلك عنها يقال وقد حدثت فى ذلك العصر من تقلبات أحوال الدول حادثة كبيرة ترتب عليها فيما بعد ذلك تحويل أحوال العالم بتمامه وأوجبت على حين غفلة تحويل حال الديار المصرية بالجملة وهى ان السلطنة الرومانية لمبالغة اتساعها وكثرة أتباعها تفرق شملها وتمزق أيضا جمعها وانقسمت الى سلطنتين تحت ولاية دولتين من ملوك الروم احداهما لم يزل مقرها بمدينة رومة والثانية بمدينة القسطنطينية وكان ذلك فى سنة ٢٥٨ قبل الهجرة (سنة ٣٦٤ بعد الميلاد) ومالت مصر

بطبيعتها

بطبيعتها الان صارت من ضمن دولة الروم المشرقية وتحول ملك زمامها اليد ملوك الدولة الرومية الكائنة على بوغاز القسطنطينية وكان ذلك آخر العهد بها فان دين النصرانية كان حينئذ قد تأسست فى بعض جهات العالم جدرانه ثم انتشر سريانه شيأ فشيأ حتى وصل لمدينة القسطنطينية وتمكن فيها بنيانه وكانت مصر قد مالت للاخذ بنصيبها منه فال اليه أكثرها ولكن لم يكن قد ظهر فيها بصفة الديانة الرسمية حتى استقر على سرير دولة الروم بالقسطنطينية السلطان طيودوسيس فأصدر فى سنة ٢٤١ قبل الهجرة (سنة ٣٨١ بعد الميلاد) الامر السلطانى الشهير عنه بعنى محو الديانة المصرية القديمة بالكلية وجعل دين النصرانية هو ديانة البلاد العمومية وعلى مقتضى ذلك أمر باغلاق الهياكل المصرية وسائر المعابد الاهلية ومحو آثار جميع التماثيل والاصنام التى كان أهل مصر لم يزالوا عاكفين على عبادتها ومظهرين لشعائر حرمتها لغاية ذلك الوقت وبهذه الحادثة انعدمت بالكلية والجزئية حالة الجاهلية المصرية وانسلخت عنها صفة الازلية وما عهد لها من طول العمر وقضى الامر وصار لحيز العدم أربعون ألف صنم كانت للمصريين على ما قيل وانتهكت حرمة هياكلهم واستهلكت صورة معابدهم وافسدتها ايد المحو والطمس وأصبحت كأن لم تغن بالامس. هيئة هذا التمدن العظيم وبهجة ذلك التأنس المصرى القديم وأصبحت لاترى منها الا اطلال بقيت فى مواضعها وأخذت مضاجعها على حسب اختلاف مصارعها أو آثار تناولت بقاياها ايد الراغبين وحفظت فى الانتيقه خانات وخزائن التحف والمستغربات ولم يزل يرغب الناس فى التقاطها لغاية هذا الحين

وكما ترى هاهى قبل ظهور محمد (عليه الصلاة والسلام) بمائتين وخمسين سنة لاغير قد انتهت هذه الدولة المصرية التى كان قد أسسها الملك مينيس قبل ذلك بخمس وأربعمائة سنة وهذا عمر طويل ودهر مستطيل جدا لاشك انه من العجب العجاب الذى تحتار فيه عقول أولى الالباب وينبغى ان ينسب طول تعمير الدولة المصرية الى حالة العالم التى كانت موجودة فيه ولها كما علمت التأثير الظاهر والسطوة القوية عليه أكثر منه الى حالتها الذاتية من حيث قواها الخصوصية فان نظام الهيئة الاجتماعية بمصر كالصين كان قوامه ليكون من الثبات والسكون على حالة واحدة لامعتدا للتقدم والانتقال من حال الى حال وما دام لم يصادف فى طريقه الأمما حالهم كحاله من الثبات وعدم الانتقال وجدناه سائرا على منواله مستمرا على حاله بطريق عجيب واسلوب من السير غريب الى أن ظهر اليونان والروم واحدثوا فى الامم مذهب التقدم والترقى المعلوم فشاهدنا الديار المصرية شيأ فشيأ وقف حالها واختفى هلالها والسبب فى ذلك هو أن حال الامم كحال الافراد لايعيشون بمجرد الخبز والاغذية المادية بل لابد لهم أيضا حسبما اقتضته الحكمة والنواميس الطبيعية من التمرى على الدوام بلذة الاغذية الروحانية ومطاوعة هذه الجاذبية الجبلية التى لاتزال تذهب بنفوسهم الى التنقل من حال الى حال وتجذب قلوبهم للترقى على الدوام والاستمرار فى درجات الكمال والا استعجلهم عجز الشيخوخة والهرم وصاروا من أرذل العمر الى العدم

الكلام

الكلام على ما يتعلق بمدة النصرانية

لما ترك أهالى وادى النيل ما كان يعبدا باؤهم الاولون وأجدادهم السابقون الى التدين بدين النصرانية صار أهل التاريخ لايدعونهم بالمصريين بل حدث لهم فى التاريخ اسم جديد وتسموا من ابتداء تلك المدة بالقبطيين واذا كان الحال حسبماذكر كانت طائفة الاقباط عبارة عن المتنصرين من ذرية الامة المصرية القديمة التى ذكرنا تاريخها وكانت المدة التى أقام فيها دين النصرانية بصفة الديانة الرسمية فى الديار المصرية قصيرة حيث مكثت ماهو عبارة عن ٢٥٩ سنة فقط وهو مابين سنة صدور أمر الملك طيودوسيس (اعنى سنة ٢٤١ قبل الهجرة أى سنة ٣٨١ بعد الميلاد) والسنة التى افتتح فيها ديار مصر أصحاب محمد (عليه الصلاة والسلام) اعنى سنة ١٨ من الهجرة أو سنة ٦٤٠ من الميلاد

وكما علمت مما اسلفنا لك فى هذا الكتاب كانت مصر فى مسافة تلك المدة أولا تابعة لاحوال دولة الرومانيين فلما انقسمت الدولة المذكورة الى دولتين كانت مصر من حصة دولة الروم المستقرة بمدينة القسطنطينية ومتى وقفت على ذلك فقد فهمت ان الديار المصرية فى مسافة المائتين والتسع والخمسين سنة السابقة على افتتاحها بالاسلام كانت تابعة لملوك الروم بمدينة القسطنطينية ثم اعلم ان مصر فى تلك المدة وان كانت قد تركت دياناتها الفرعونية الى التدين بدين النصرانية فلم تترك لغتها القديمة التى بقيت تتكلم بها من قديم الزمان تلك المدة المديدة والقرون العديدة وانما اهملت طريق الكتابة بالقلم المصرى القديم المسماة بالهيروجليفيه لما ان ما كانت تشتمل عليه من رسم الاشياء باشكال اشاراتها وتصوير الاسماء بصور مسمياتها كان يذكرها بأحوال الجاهلية والعبادات الوثنية واتخذت طريق الكتابة اليونانية

على الحالة التى كانت مستعملة بها حروفها الهجائية فى ذلك العصر بمدينة الاسكندرية ومتى تقرر ذلك فقد علمت ان اللغة القبطية على الحالة التى هى عليها فى يومنا هذا انما هى اللغة المصرية القديمة مكتوبة بالخط اليونانى استعملت كلماتها فى اصطلاحات الديانة النصرانية واعترى بعضها بعض تغيير وبقى البعض على حالته الاصلية

وبالجملة فلا تظن ان قدماء المصريين تركوا ديانتهم الاهلية وأصنامهم الاصلية مرة واحدة فى سنة صدور أمر الملك طيودوسيس وانما كان مقتضى أمر الملك طيودوسيس هذا هو ايجاب اجراء شعائر دين النصرانية على صفة الرسمية فى سائر أقطار مملكته وكما انه قبل صدور هذا الامر كان قد صبا بعض المصريين للديانة النصرانية فكذلك لم يزل يوجد من أهل مصر بعد انتشار هذا الامر خصوصا فى جهات الصعيد من صمم على البقاء على عقائد الجاهلية ولم يدخل الا بغاية الصعوبة فى حادث دين النصرانية

ولا حاجة لنا فى اقتفاء أثر تاريخ الاقباط هنا فى مسافة المدة التى نحن بصددها فان مصر فى خلال هذه المدة ظهرت لاعين الناظرين فى منظر يقبض وتعرضت لجميع العالمين فى أسوا معرض حيث افترقت بضرورة الاحوال الى فرقتين دينيتين احداهما فرقة القبط وكان مذهبها الذى مالت اليه واجمعت عليه مشوبا بعقائدها الاصلية التى لا زالت تجنح اليها وتعول عليها حتى حكم عليه بالرفض فى جمعية القسس النصرانية المنعقدة بمدينة كلسدوان (وهى الآن مدينة قاضى كوى على بوغاز القسطنطينية) والثانية الجماعة المعروفة بالملكية وهى عبارة عن كل من كان له علاقة بدولة الروم وكانت ترى ان مذهب الطائفة الاخرى من قبيل الاعتزال فانظر

كم

كم يترتب على مجرّد مثل هذه التعصبات الدينية من العداوات الشديدة والمباغضات العنيدة خصوصا وان أمر الجمعية بالديار المصرية كان من قبل فى انحلال واختلال وفى الحقيقة ترتب لمصر على هذه الامور ما حكم به عليها المقدور من انها فى مدة القرنين ونصف القرن التى مضت عليها فى مدة النصرانية قاست من الحميات الدينية أهول الهوائل ولاقت من التعصبات الملية أغول الغوائل من قيامات أهليه فى الازقة والحارات وانتقامات شهوانية باشعال النيران فى كثير من الجهات وقطع الطرقات فى القرى والارياف بكثير من العصب المنتظمة ومناسر اللصوص المستعدة وسائر ما يترتب عادة على حصول الفتن الاهلية من البلايا ويعقب المحن الداخلية من الرزايا هذا وكانت الاسكندرية أيضا فى تلك المدة مشحونة بالمشاجرات التى لم تخل عن الفتك والسفك لا بين اليهود والنصارى فقط بل بين النصارى بعضهم مع بعض أيضا لاختلاف فى مسئلة دينية فهمها كل قوم على حسب اجتهادهم وأوّلها كل جماعة على مقتضى اعتقادهم وقد قدمنا لك ان منظر الديار المصرية من بعد الامر الصادر من الملك طيودوسيس ليس مما يشرح الصدر ولا مما يروق الفكر فلا نطيل الكلام عليه ولا نعود اليه

ولا يسوغ لنا مع ذلك ان نسكت عن التصريح بأن جميع هذه الاضطرابات الشنيعة التى كانت لهذا العصر اسوأ شعار والانقلابات الفظيعة التى كانت له أقبح دثار لا ينبغى أن تدرج كلها لمصر فى سيرتها ولا ان تسود بجميعها صحيفتها وانما الذى يجب أن يعزى اليها من ذلك هو انها كانت من أعظم جهات العالم التى كانت حين ذاك فى أنواع هذه المفاسد مشتركة واحدى رحبات الدنيا التى كانت فى هذه الاحوال أكثر تناولا وحركة.

للقبول ما بلغ الغاية القصوى والنهاية العليا فى سائر البلدان من الخلط فى مادة مخالطات الامم ومادة الاديان وكانت الحافظها فى ذلك العصر على الدوام متلفتة لجهة القسطنطينية حيث ترى فيها أرباب الدولة التى هى تحت قبضتها وتنظر فيها القدرة على كل شئ التى بيدها أمر سعدها وشقاوتها فاقتدت من ملوك الروم فى ذلك بقبح سلوكهم والناس كما يقال على دين ملوكهم فان دولة الروم بالقسطنطينية فى ذلك العصر كان بها كما هو نص عبارة بعض المؤرخين الجاهرة بالفسق من طائفة الاشراف وذوى البيوتات ودناءة النفس من الاعيان ومن الجنود العربية والعصيان حتى ورذائل لم تكن مدينة القسطنطينية العظمية تلتفت لازالتها منها واستبدل بها ما كان يوجد فى القلوب من حب الاوطان بما تمكن فى الناس من دناءة النفوس وشدة الرغبات فى جمع الاموال الى درجة فائقة الحد واشتغل الملوك أنفسهم بالمجادلات الدينية والمباحثات فى علم الالهيات وأضاعوا فى ذلك من الاوقات ما كان أحق بأن يصرف فى حسن تدبير الملك وبعد ان جلسوا فى جمعيات القسس المنعقدة للنظر فى أمور الديانات فى مرتبة الرؤساء عليهم فيها تصدوا لتشريع عقائد أصولية وأحكام دينية بل ألفوا رسائل جدالية للانتصار أو للحط على بعض الاحكام الصادرة عن بعض بطارقتهم انتهى (من تاريخ ريشيت)

واذا كان الامر كذلك والحال على ما هنالك وكانت الديار المصرية قد انجذبت للوقوع فيما ذكر من الانقلابات والفتن المذكورة واشتغلت فى جميع تلك المدة بالمشاجرات الدينية والتعصبات الاهلية فانها انما انقادت لباعث شديد لم يكن لها عنه من محيد والافليس من طبيعة مصر

السعي في تحريك الفتن السياسية أو الدينية وقد دلت التواريخ على انها متى سلكت هذا المنوال فلا بد وان تكون مضطرة اليه بضرورة الاحوال لا منجذبة اليه بطبيعتها ولا مائلة له بمجرد رغبتها وفي الواقع ونفس الامر ليست الديار المصرية بلدة الفتن والمشاجرات بل هي بما منحها الله سبحانه من نعمة طيب الهواء الذي يحلو للانسان أن يتلذذ بالمعيشة فيه وبما رزقت به من خصوبة الارض ولطافة أخلاق أهلها وسهولة تناولهم لسائر أنواع الترقي والتمدن يصح أن يقال فيها حقيقة انها بين سائر البلدان هي البلد الحافظ للاصول والقوانين والابعد عن الافتتان وما يكثر في طبيعة سكان غير الديار المصرية من الظلم وحب التبسط في ملك الغير واستمالة الناس لاتباع مذهبهم هو مفقود فيهم واذا لم يصل عليهم صائل في مواطنهم يقطع عليهم ما هم عليه من الامان والاطمئنان الذي كأنما عليه مدار حياتهم وبه قوام معيشتهم فهم لا يصولون على أحد ولا ينتقلون الى بلدة أخرى من البلاد ليوقعوا فيها الفتن والفساد وانما اذا بلغت بها الاحوال الغاية من المضايقة والتعدي من الغير عليها ربما خرجت عن طبيعتها وصارت هي الصائلة عليه ولكن لكونها ليس من طبيعتها الصيال فصولاتها سريعة الزوال وينتهي بها دائما الحال لان تكون فيها الكرة عليها وتعود عاقبة الامور الكبيرة بالمضرة عليها

وذلك هو ما حصل لها عقب المشاجرات الدينية الشديدة التي أشرنا آنفا اليها فانه في اثناء هذه المدة التي وصفناها وحال الفساد العام في العالم التي ذكرناها قد ظهر محمد (عليه الصلاة والسلام) مع ما جاء به من ديانة الاسلام الجديدة وكانت الديار المصرية قد تعبت من ثقالة دولة القسطنطينية

ورذالة الملوك الرومانية وتطلعت للتخلص من قبضتها والتملص من ربقتها وكان المقوقس هو الذى أراد اعادة أوطانه لما كانت عليه قديما من حالة الاستقلال وارجاعها لما كان فيها قبلا من الاستقامة وحسن الحال وكان رجلا من الاقباط ذا نسب فى قومه عال وذا جاه ومال فقام وحده تقريبا بهذا الامر وقاوم جنود ملك الروم بالاسكندرية وكان قد راسل فى السر العرب المسلمين وجذب لمصر عمرو بن العاص أحد قوادهم الشهيرين بما التزم له من ضرب جزية سنوية عليها ولذلك بادر بالحضور اليه وبذل الوسع فى تعميم الامداد عليه ولاقى جيوش الروم فكسرهم ثم ملك الاسكندرية بعد ان أقام عليها أربعة عشر شهرا يحاصرهم وجاءهم الامداد من القسطنطينية من جهة البحر بسفائن حربية وجنود أخرى رومانية فلم يستردوا المدينة المذكورة لايديهم الا لترجع ليد العرب المسلمين بالثانى حيث خشيت طائفة القبط من سطوة دولتهم اذا رجعوا للاستيلاء عليهم فضموا الى همة العرب المسلمين همتهم وجمعوا جميعا عصبتهم وأخذوا الاسكندرية من يد جنود الروم بالثانى ودخلها الاسلام فائزا بالنصر والظفر متوجا بتاج العز والفخر وما حصل بعد ذلك فهو معلوم ولما دخلت الديار المصرية فى أيدى المسلمين لم تكن مملكة مستقلة كما كانت فى عهد الفراعنة الاولين ولا ولاية من أقاليم السلطنة الرومانية كما كانت فى مدة القياصرة السابقين ولا تابعة لدولة القسطنطينية كما كانت فى مدة سلاطين الروم المتأخرين بل انضمت لدولة الخلفاء المتسعة وصارت مسلمة كسائر بلاد المسلمين من منذ ذلك العصر لغاية هذا الحين

وانتهى ما أردنا ايراده من تاريخ المدة الثانية من عموم تاريخ الديار المصرية

المصرية بتمكن دين الاسلام فى ثغر الاسكندرية وسريانه بعد ذلك شيأ فشيأ فى جميع أقاليم مصر كما ترى لغاية هذا العصر

(تذييل)

اذا راجعت ما كتبناه من الفوائد على سبيل التقدمة أمام الباب الاول مما يتعلق بمدة الجاهلية المصرية رأيت اننا سردنا هنالك بوجه الاختصار بجميع الاصول التى يستند اليها فى معرفة أحوال مصر وأنها عبارة عن ثلاثة أمور

الاول الآثار والعمارات المصرية القديمة

الثانى بعض القطع التاريخية التى وصلت الينا من تاريخ مصر للقسيس مانيتون المصرى

الثالث ماورد بخصوص الديار المصرية فى كتب التواريخ اليونانية واللاطينية الرومانية والغرض المقصود لنا فى ضمن هذا التذييل هو أن نعود ببعض فوائد أخرى على ما يستنبط بخصوص تاريخ مصر من كتاب المؤرخ مانيتون المذكور ومن الآثار والعمارات المصرية القديمة المحكى عنها وما سنورده هنا من التوضيحات التى أردنا ذكرها وان كان فيه من التطويل ما لا يخفى الا انه لا ينكر جليل فائدته ولا ينقص علينا ما يعود على مادة توضيح التواريخ المصرية من جميل عائدته اذ البحث فى مادة تاريخ القسيس مانيتون ومادة الآثار والعمارات المصرية القديمة انما هو عبارة عن البحث فيما استندنا اليه من الادلة واعتمدناه من البراهين فى كتابة خلاصة تاريخ مصر التى ألفناها وهل ذلك الا عبارة عن السؤال من ذات الديار المصرية ان تحدث عن سيرة نفسها بنفسها وعن التعريف

لسكان مصر المتأخرين اعنى المقيمين حوالى تلك الآثار والعمارات القديمة بقمية هذه الاطلال المعتبرة التى هم ساكنون فى خلالها وبسمية تلك البقايا المحترمة التى هم فى غفلة من معرفة حقيقة أحوالها وهل ذلك الاعين الاثبات لهم أنها انما هى بالنسبة اليهم فى الحقيقة عبارة عن تقريرات انساب الشرف القديم مسطرة فى جفر آثار اسلافهم وكناية عن سندات احساب المجد العتيق محفوظة فى سفر عمارات أجدادهم فلذلك اردنا أن نتكلم بالخصوص فى ضمن هذا التذييل

أولا على تاريخ مصر للمؤرخ مانيتون المصرى

ثانيا على الآثار والعمارات المصرية القديمة وذلك فى الفصلين الآتيين فنقول

(الفصل الاول)

فيما يتعلق بتاريخ مصر للقسيس مانيتون المؤرخ المصرى

قد أشرنا فيما كتبناه من خلاصة تاريخ مصر الى ان القسيس مانيتون المصرى ألف تاريخ مصر باللغة اليونانية بأمر الملك بطليموس فيلادلفوس أحد ملوك البطالسة أخذه من الكتابات الرسمية والآثار القديمة المحفوظة بالهياكل والمعابد المصرية وذكرنا ان هذا الكتاب قد أودت به أيدى الضياع ككثير من كتب السلف ولم يصل الينا منه الا بعض عبارات نقلها الينا منه بعض قدماء المؤرخين من اليونان والروم وجدول بيان ملوك مصر الذى كان هذا المؤرخ قد وضعه فى ذيل تاريخه وانبته بعض المؤرخين السابقين

السابقين على الهجرة ببعض سنين قلائل فى ضمن مؤلفاتهم
وقد علم مما أوضحناه هناك ان جميع الملوك الذين تعاقبوا على سرير مملكة
مصر حسبما ذكر فى هذا الجدول ينقسمون الى عدة طوائف من الملوك يقال
لها فى عرف أرباب السير والتواريخ العائلات الملوكية وقد أثبت القسيس
مانيتون فى ضمن الجدول المذكور أسماء الملوك تفصيلا مع بيان مدة حكم
كل منهم ومدة العائلة الملوكية بتمامها فى أكثر العائلات الملوكية المصرية
وفى بعضها اقتصر على ايراد بعض فوائد موجزة فيما يتعلق بأصل العائلة
الملوكية وعدد ملوكها اجمالا وبيان مدة حكمها جملة واحدة ولما كان أمر
ايراد هذا الجدول بتمامه على الحالة التى هو عليها يطول اقتصرنا على أن
نثبت هنا منه الاهم وهو هذا حسب المبين بعد

ـات الملوكية المصرية حسبما اورده القسيس مانيتون في تاريخ مصر الذي الفـ

كرسي المملكة في مدة كل عائلة حسب التقسيم القديم	موضع كرسي المملكة في مدة كل عائلة حسب المعروف الآن	موقع كل كرسي من كراسي المملكة في مدة كل عائلة من الاقاليم المصرية حسب المعروف الآن	مدة اقامة كل عائلة على سرير الملك	تاريخ الجلوس على سرير الملك قبل الهجرة	تاريخ الجلوس على سرير الملك قبل الميلاد
تينيس	خرابات المدفونة	اقليم جرجا	٢٥٣ سنة	٥٦٢٦	٥٠٠٤
تينيس	شرحه	شرحه	٣٠٢	٥٣٧٣	٤٧٥١
منفيس	ميت رهينه	اقليم الجيزه	٤١٤	٥٠٧١	٤٤٤٩
منفيس	شرحه	شرحه	٢٨٤	٤٨٥٧	٤٢٣٥
منفيس	شرحه	شرحه	٢٤٨	٤٥٧٣	٣٩٦١
ايليفنتين	جزيرة اسوان	اقليم اسنا	٢٠٣	٤٣٢٥	٣٧٠٣
منفيس	ميت رهينه	اقليم الجيزة	٧٠	٤١٢٢	٣٥٠٠
منفيس	شرحه	شرحه	٢٤٢	٤١٢٢	٣٥٠٠
هرقلبوليس	اهناس المدينة	اقليم بني سويف	١٠٩	٣٩٨٠	٣٣٥٨
هرقلبوليس	شرحه	شرحه	١٨٥	٣٨٧١	٣٢٤٩
طيبة	مدينة آبو	اقليم قنا			
طيبة	شرحه	شرحه	٢١٣	٣٦٨٦	٣٠٦٤
طيبة	شرحه	شرحه	٤٥٣	٣١٧٣	٢٨٥١
اكسويس	سخا	اقليم المنوفية	١٨٤	٣٠٢٠	٢٣٩٨
ماولدرعاة	سان	اقليم الشرقية			
شرح ماقبله	شرح ماقبله	شرحه	٥١١	٢٨٣٥	٢٢١٤
شرح ماقبله	شرحه	شرحه			
طيبة	مدينة آبو	اقليم قنا	٢٤١	٢٣٢٥	١٧٠٣

بقية بيان العائلات الملوكية المصرية حسبما اورده القسيس مانيتون في تاريخ

ترتيب العائلات الملوكية	كرسي المملكة في مدة كل عائلة حسب التسمية القديمة	موضع كرسي المملكة في مدة كل عائلة حسب المعروف الآن	موقع كل كرسي من كراسي المملكة في مدة كل عائلة من الاقاليم المصرية حسب المعروف الآن	مدة دوام كل عائلة على سرير الملك	
التاسعة عشرة	شرخ ماقبله	شرح ماقبله	شرح ماقبله	١٧٤	؛
العشرون	شرح ماقبله	شرح ماقبله	شرح ماقبله	١٧٨	.
الحادية والعشرون	تانيس	سان	اقليم الشرقية	١٣٠	؛
الثانية والعشرون	بوباستيس	تل بسطه	شرحه	١٧٠	٢
الثالثة والعشرون	تانيس	سان	شرحه	٨٩	٣
الرابعة والعشرون	سييس	صاالحجر	اقليم الغربية	٦	٣
الخامسة والعشرون	اتيوبيه			٥٠	٧
السادسة والعشرون	سييس	صاالحجر	اقليم الغربية	١٣٨	٧
السابعة والعشرون	دولة الفرس			١٢١	٩
الثامنة والعشرون	سييس	صاالحجر	اقليم الغربية	٧	٨
التاسعة والعشرون	منديس	اشمون الرومان	اقليم الدقهلية	٢١	١
الثلاثون	سبيانيتيس	سمنود	اقليم الغربية	٣٨	.
الحادية والثلاثون	دولة الفرس			٨	٢

﴿ آخر جدول الملوك حسبما اورده القسيس مانيتون ﴾

الثانية والثلاثون الدولة المقدونيه			٢٧	٤
الثالثة والثلاثون الدولة اليونانية			٢٧٥	٧
الرابعة والثلاثون الدولة الرومانيه			٤١١	٣
تاريخ اخر الملك طيودوسيس				١

فان جمعت الاعداد المرقومة بخانات تواريخ اقامات العائلات الملوكية على سرير المملكة المصرية من هذا الجدول حسبما اوردها مانيتون تحصل لك من مجموعها عدد من السنين بليغ جدا كل من نظر فيه استغرب به من حيث ينبنى عليه ان اولية الجمعية التأنسية المصرية تصعد فى الازلية الى اعصار هى بالنسبة لسائر من عداها من الامم معدودة فى الازمان الخرافية وبالنسبة لمصر هى تاريخية حقيقية

ولما تحير المتأخرون لهذا الامر ولم يجدوا وجها للطعن فى صحة ما ورد عن القسيس مانيتون وقوة سنده أوله بعضهم بأن الديار المصرية كانت منقسمة الى عدة ممالك يملكها جماعات متعاصرون من ملوك الطوائف فى كثير من المدد المذكورة وان القسيس مانيتون وهم فعدلنا كثيرا من العائلات الملوكية على انها متتالية بعضها اعقب بعض والحال انها كانت متعاصرة فزعم أصحاب هذا المذهب مثلا ان العائلة الخامسة كانت حاكمة بجزيرة ايلفنتين فى عين المدة التى كانت العائلة السادسة مستولية فيها على سرير الملك بمدينة منفيس ولهذا المذهب من المزية مالا يخفى فانك اذا قاربت الاعداد بعضها البعض وغيرت منها البعض تحصل لك منها ترتيب بديع بل جار على سنن العلم أيضا يؤدى الى اختصار مجموع مدة اقامة العائلات الملوكية على سرير المملكة الى حيث شئت وبدلا عن مبلغ ٥٦٢٦ سنة قبل الهجرة الذى بلغه تاريخ أول تأسيس الملك بالديار المصرية حسب ترتيب القسيس مانيتون قد ينتج لك لتاريخ هذه الحادثة فقط مبلغ ٤٢٤٥ سنة كما قال به المؤرخ بونسان وجماعة اخرون فان قلت أى القولين هو الاصح قلنا اننا كلما نظرنا فى هذه المسئلة اتضح لنا انه يصعب الجواب عنها فان مادة ترجيح

الحوادث

الحوادث الى ازمانها فى السيرة المصرية سقيمة جدا وامنع مانع من ضبط
مادة المدد فيها هو أن المصريين نفسهم لم يكن لهم عناية بفن تاريخ الوقايع
على حسب ترتيب الازمان وكان استعمال التاريخ الحقيقى على اسلوب
المتأخرين غير معلوم لهم ولغاية وقتنا هذا لم نظفر بدليل يدل على انهم كانوا
يؤرخون وقايع كل عصر بغير أعوام حكم الملك الحاكم فيه وكانت تلك
السنون نفسها غير ثابتة المبدا حيث كانت تارة تبتدئ من أول سنة وفاة
الملك السالف وتارة من يوم الاحتفال باجراء الرسوم لتولية الملك الخالف
ومهما ظهرت به طريقة التاريخ على هذا الوجه من درجة الضبط فان
أهل العلم المتأخرين لايجدى اجتهادهم شيأ للحصول على مالم يتيسر
للمصريين أنفسهم واذا كان الحال من الشك كما علمت فالذى نراه هو أن
أقرب ما يقربنا للصواب هو اتباع ما مشى عليه القسيس مانيتون فى جدوله
من غير تبديل ولا تغيير ولا نتوهم من ذلك اننا نرى ان المملكة المصرية كانت
مملكة واحدة متعاقبة عائلة بعد عائلة من منذ عهد الملك مينيس لغاية عصر
ملوك الروم ولعلنا نظفر ببعض استكشافات لم تكن على البال تثبت لنا ان
مدة هذه الدولة المتسعة كانت متوزعة بين دول طوائف خارجة عن عمود
عائلات الدول الاصلية أكثر مما يتراءى لاهل هذا المذهب والظاهر ان
ترتيب القسيس مانيتون حصلت تصفيته من قبل ان يصل الينا واذا كان
مشتملا على بعض دول طوائف خارجة عن عمود العائلات الملوكية الاصلية
ولابد فانما يجب أن يكون ذلك اما قبل أو بعد عهد العائلة الملوكية
الحادية والعشرين وذلك انما هو العائلة الملوكية المتركبة من مشايخ
الديانة المصريين الذين كانوا قد استولوا على سرير الملك حينما كانت العائلة

الحادية والعشرون المذكورة جالسة على سرير الملك أيضا بمدينة تانيس وكذلك قبل أو بعد العائلة الملوكية الثالثة والعشرين وهم الملوك المعاصرون لتلك العائلة من ملوك الطوائف المستقلين الذين كانوا موجودين فى ذلك العصر سبعة أو ثمانية على اختلاف ما حكى فى ذلك ويقتضى أن تلحق عائلاتهم متوالية بسلسلة العائلات الملوكية التى أوردها القسيس مانيتون فى جدوله اذا لم يكن هو قد اسقطها وأيضا يقتضى ان تعد طائفة الملوك الاثنى عشر عائلة ملوكية لا أقل وتكون مرتبتها فيما بين العائلتين الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين وكذلك ملوك مدينة طيبة المعاصرون للملوك الرعاة تكون مرتبتهم بعد السابعة عشرة وحينئذ فقد ثبت أن مصر وجد فيها فى قديم الزمان عدة عائلات ملوكية حكمت عليها مرة واحدة فى زمن واحد اثبت منها القسيس مانيتون فى سلسلة الملوك بجدوله العائلات التى كان يرى انهم أهل الدولة الاصليون والملوك الحقيقيون واسقط الباقى والافلا كان يقتصر على احدى وثلاثين عائلة ملوكية قبل الاسكندر بل ربما بلغت لغاية الستين وعلى فرض ان القسيس مانيتون لم يباشر تصفيتهم على هذا الوجه فكيف يتصور السكوت عن ذلك من المختصرين لتاريخه الذين أتوا من بعده وكانت وظيفتهم الاختصار ومصلحتهم تقتضى الاقتصار وبيدهم أصل كتابه يسترشدون به ويهتدون منه لتميز ما يستصوب الاعتماد عليه مما يجب عدم الالتفات اليه واذا كان الامر كما ذكرنا فجميع الادلة تناقض مذهب القول بوجود عائلات ملوكية خارجة عن عمود العائلات التى أوردها القسيس مانيتون بجدوله ونحن لا نقول به ولا نعقد عقيدتنا عليه الا اذا ظفرنا من الآثار المصرية

المصرية والابنية الاثرية على مايدل ولومرة واحدة على أن عائلتين
من العائلات الواردة بجدول مانيتون بوجه انها تسلسلت بعضها عقب
بعض على سرير المملكة المصرية كانتا مجتمعتين وفى مدة واحدة متعاصرتين
بل نرى أن ذلك من اختراع بعض المخترعين وابتداع بعض العلماء الحاذقين
حتى تنقض الادلة المستنبطة من ذات الآثار والعمارات الدالة على أن
ما أجمع جمهور المؤرخين على انه كان خارجا عن عمود العائلات الاصلية
من العائلات الملوكية المصرية لم يكن فى الواقع كذلك ونذكر لذلك مثالين
الاول قال أكثر أهل المذاهب التاريخية بأن العائلة الملوكية الخامسة
كانت تحكم بجزيرة ايلفنتين بوقت أن كانت العائلة السادسة جالسة
على سرير الملك بمدينة منفيس واذا صح ذلك لزم بالضرورة أن يكون لكل
عائلة ملوكية من الاثنتين دائرة أراض مخصوصة بها واقتضى ذلك عدم
وجود آثار وعمارات مما يعزى لاحداهما على الارض المملوكة للاخرى
وبالعكس والحال انه بما أجريناه من البحث والتفحص بواسطة الحفر
الجارى عن يدنا فى المدة الاخيرة وجدنا من آثار العائلة الملوكية الخامسة
(وهى المستقرة بجزيرة ايلفنتين) فى ناحية سقارة كما وجدنا من ذلك
فى جزيرة ايلفنتين نفسها وعثرنا من آثار العائلة السادسة (وهى ملوك
مدينة منفيس) فى ناحية سقارة وجزيرة ايلفنتين معا الثانى قد عوّل
أكثر أهل المذاهب المذكورين على أن العائلة الملوكية الرابعة عشرة
كان أصلها من مدينة اكسويس (ناحية سخا باقليم المنوفية) وانها
كانت معاصرة للثالثة عشرة وان أصلها من مدينة طيبة (باقليم قنا)
مع أن الآثار مفصحة بضد ذلك ألا ترى فى التماثيل الهائلة التى ظفرنا بها

للملوك العائلة الثالثة عشرة المذكورة فى مدينة سان باقليم الشرقية على
القرب من ناحية صحا ببعض آلاف من الامتار فقط برهانا على أن ملوك
دولة طيبة الذين هم أرباب تلك التماثيل وأصحاب هذه الآثار المذكورة
كان لهم الولاية أيضا على الاقاليم البحرية من مصر وبما أوضحناه لك هنا
تعلم أن طريقة القول بتعدد العائلات الملوكية المصرية فى مدة واحدة
منقوضة بكثير من الادلة ومع ذلك فلا نقول بأن جدول القسيس مانيتون
فى أعلى درجة من العلم بل ربما كان مشتملا على كثير من الاعداد
التفصيلية المقتضى لها المحو والاثبات واصلاح مالا بد يوجد به من
الخطا فى بعض الجزئيات وانما نقول بأن عدد الاحدى والثلاثين الوارد
بجدول القسيس مانيتون على أنه هو مبلغ عدد العائلات الملوكية
المصرية هو فى الواقع عدد سلاسل الملوك التى تسجلت فى سجلات التواريخ
المصرية الرسمية على وجه أنهم هم الملوك الاصليون بمصر وأرباب الدول
الحقيقيون المتعاقبون على سرير المملكة الفرعونية قبل الاسكندر بدون
تعلية دول طوائف أخرى فى خلالها خارجة عن عمود الدول الاصلية

(الفصل الثانى)

فيما يتعلق بالآثار والعمارات المصرية القديمة

اعلم ان تاريخ مصر هو أقوى تواريخ سائر البلدان استنادا وأوثقها
اعتمادا لابتناء تأليفه على شهادة عدد وافر من الادلة القوية والبراهين
التى هى حقيقة أصلية أكثر مما يتيسر لغيرها من الاقطار حيث مبنى
تاريخها

تاريخها هو مجرد الاخبار بخلاف الديار المصرية فان لها آثارا كثيرة وعمارات متعددة لا فيها فقط بل فى النوبة وبلاد السودان حتى فى بيروت من بر الشام وينضم لذلك ما اعتنى باقتنائه من منذ خمسين سنة أهل الاوربا من التحف القديمة الوافرة والطرف العتيقة المتكاثرة وعضوا بالنواجذ على حفظه بالانتيقه خانات وخزائن التحف والمستغربات الموجودة باغلب المدن الكبيرة وأكثر البنادر الشهيرة ولاسيما خزانة الآثار القديمة المصرية (الانتيقه خانه المصريه) الكائنة ببولاق التى تقلد منها جيد العلوم من مكارم حضرة افندينا اسمعيل باشا خديو مصر بأفضل القلائد مع ما احتوت عليه أيضا مما هو لكتبة التاريخ من أنفس المواد وأجل الفوائد

وحيث كان الحال كما ذكر أردنا أن نودع هذا الفصل ما يكون به تعريف حقيقة حال ما اشتهر من هذه الآثار وما روته بالنسبة لتاريخ مصر هذه العمارات من الاخبار ونذكر أولا بعض توضيحات بخصوص الآثار والعمارات المصرية القديمة المتعلقة بعموم تاريخ مصر ثم نقتفى من ذلك أثر ما يختص ببعض العائلات الملوكية المصرية بالخصوص فيدلنا عليها ويثبت لنا حقيقة وجودها

فأما الآثار والعمارات الاصلية المتعلقة بعموم تاريخ الديار المصرية فهى هذه

(أولا) صحيفة من ورق البردى (وهو النبات الذى كان يصطنع منه ورق الكتابة عند قدماء المصريين كالكاغد الآن) محفوظة بخزانة التحف والمستغربات الكائنة بمدينة تورينو بمملكة الايطاليا كان قد باعها اليها

قنصلوس دولة الفرنسيس الاكبر بمصر المدعو بالسيد دروتى وقد استولت يد الضياع على قطعة من أسفلها فلو كانت باقية على حالها لكانت هذه الصحيفة بالنسبة لفن معرفة أحوال مصر أنفس شئ يؤثر وأفضل أثر يدخر لما أنها تحتوى على قائمة بيان أسماء جميع الملوك وولاة الامور الذين جلسوا على سرير الملك بالديار المصرية من منذ الاعصار الخالية جدا سواء كانوا من صورة وجودهم من قبيل الخرافات الاولية أو كانوا فى المدد التاريخية الى عهد من الازمان المتأخرة لم نقف عليه لعدم الظفر بآخر الصحيفة المذكورة وتاريخ تحريرها من عهد الملك رمسيس الثانى المعروف بسيزوستريس أعنى فى أبهج الاعصار من تاريخ الديار المصرية فلذلك كانت من المواد المستوفية لشروط الرسمية واحدى القيودات الجامعة لاسباب قوة الاعتمادية وهى تشتمل على ذكر اسم كل ملك وأمامه بيان مدة حكمه وفى أسفل كل عائلة ملوكية اثبات مجموع المدة التى أقامتها تلك العائلة على سرير الملك فلذلك كانت جليلة الفائدة يستعان بها على تحقيق مسائل مهمة من تاريخ الديار المصرية ولكن لاهمال الفلاحين المصريين الذين استكشفوها وكان أهمل منهم الاوروباويون الذين أرسلوها لبلاد الاوربا حيث أورثوها غاية التلف ومزقوها بعدم الاحتراس فى تناولها من يد ليد الى أجزاء دقيقة جدا تبلغ مائة وستا وأربعين قطعة بحيث ان هذه الصحيفة العتيقة المعروفة فى عرف أرباب المعرفة بأحوال مصر بصحيفة البردى السلطانية الكائنة بمدينة تورينو التى لو بقيت على حالها لكانت بالنسبة لاهل العلم كنزا لا ينفد قد صارت الى حال سقيم جدا لا يمكن معه اعادتها فى الاكثر منها لصورتها

لصورتها الاولى وأصبحت لا ينتفع بها ولا يعتمد عليها ومن ثم ندر الاستناد اليها في الكتب المؤلفة في فن معرفة أحوال مصر

(ثانيا) أثر نفيس آخر نقله من هيكل الكرنك رجل فرنساوى يقال له بريس وأهداه الى خزانة الكتب السلطانية بمدينة باريس كرسى دولة الفرنسيس وهو عبارة عن صورة خلوة صغيرة منقوش على جوانب حيطانها صورة الملك توتميس الثالث يتقرب بالقربان لصور واحد وستين ملكا من أسلافه وتسمى بقاعة الجدود ولم يكن الملوك المصورون في ضمن هذا الاثر على عمود ترتيب الدول بالتسلسل المعهود من غير انقطاع بل انما هم شرذمة قليلة يظهر أنه انتخبهم الملك توتميس الثالث من أخيار أجداده ليبدى لهم ما يجب عليه من الاحترام فان قلت ماذا كان الباعث على انتخاب هؤلاء دون غيرهم من الملوك السالفين قلنا انه بالنظر من أول وهلة يظهر للرائى أن التصاوير المنقوشة بقاعة الجدود المذكورة انما هى مختصر سجل قيودات الملوك المصريين الذين اختارهم المصور لأسباب غير معلومة لنا فانه تارة أثبت ملوك عائلة بتمامها وتارة أسقط مددا مستطيلة ولم يرتبهم على حسب مراتب وجودهم في الازمان ولعله انما نظر في ترتيب وضعهم لمجرد ملحظ التحلية التصويرية واتقان الزخرفة الرسمية فقط فلم يلتفت لترتيب الازمان ومن موجبات الحسرة أيضا على هذا الاثر النفيس أن اعتراه كذلك غائلة التلف ففقد منه اثنا عشر اسما من أسماء الملوك وجد فيه مواضعها ولم يوجد فيها أسماء وبذلك نزلت درجة التصاوير المستودعة بقاعة الجدود هذه عما كانت جديرة به من الاعتبار لو بقيت على حالها الاول ومع ذلك فقد اهتدينا بها لتحقيق

مادةملوك العائلة الثالثة عشرة واستفدنا منها فى ذلك المقام فائدة لم تحصل

عليها من غيرها

(ثالثا) الاثر المعروف فى عرف أهل المعرفة بأحوال الديار المصرية

بما معناه صحيفة أبيدوس وهو عبارة أيضا عن صورة رسم وجد ببعض

الحيطان بمدينة أبيدوس كما يفهم من الاسم الذى هو معروف به نقلها

منها قنصلوس دولة الفرنسيس الاكبر بمصر المسمى بالسيد ميمو وهى

موجودة الآن بخزانة التحف والمستغربات الانكليزية بمدينة لوندره

كرسى دولة الانكليز تشتمل على تصوير هيئة الملك رمسيس الثانى

يتقرب بالقربات لجماعة من أسلافه كما فى قاعة الجدود السابقة الذكر

وهذا الاثر الثالث وان كان أشهر سائر الآثار المعهودة من الآثار المصرية

القديمة لكنه أقلها استحقاقا للشهرة التى هو عليها وبيان ذلك أن الخانات

المعدة فيه لوضع صور الملك كانت فى الاصل خمسين خانة غير الخانة المعدة

لوضع صورة الملك المنشئ لهذه الصحيفة التى هى مكررة فيها ثمانيا وعشرين

مرة فلم يبق فيها الاثلاثون خانة فقط اعترى بعضها الاتلاف وكما ذكرنا

بخصوص قاعة الجدود المذكورة قبلا تشتمل صحيفة أبيدوس هذه على

صور شرذمة من أسلاف الملك الذى أنشأها اختارهم ليتقرب بالقربات

اليهم من بين جميع الملوك السابقين لاسباب لم نقف عليها كذلك وهى

ناقصة من أعلاها وهذا داع آخر لعدم الاعتماد عليها عند أهل العلم فان

الوارد فيها من بعد العائلة الملوكية الثامنة عشرة هو العائلة الثانية

عشرة من غير فاصل فياليت شعرى بأى وجه توجه الخانات الاربع عشرة

المجهولة الموجودة بهذه الصحيفة فيما وراء العائلة الثانية عشرة وهل كانت

معدة

معدة لتبيين صور ملوك أقدم العائلات الملوكية المصرية القديمة أو يسدد بها مدة الفراغ والفترة من العمارات والآثار المصرية التى وجدت فيما بين العائلة السادسة والعائلة الحادية عشرة (التى أشرنا اليها فى خلاصة تاريخ مصر فيما تقدم) واذا كان الحال على ما علمت فقد اتضح أن صحيفة أبيدوس هذه لم تكن من السندات القوية والحجج المستقيمة التى ينبنى عليها أقوى أساس فى العلم كصحيفة البردى السلطانية المحفوظة بمدينة تورينو لو كانت تامة نعم فى أول منشا فن معرفة أحوال مصر استند اليها العالم الفاضل شامبوليون الفرنساوى وعوّل عليها فى مادة ترتيب ملوك العائلة الثامنة عشرة وبنى عليها بعد ذلك المؤلف لبسيوس تنزيل كل أحد فى منزلته الزمانية من طائفة الملوك المسمين أموتنها وأوزورتازان ومن يليهم وقابلهم بما أورده القسيس مانيتون فى تاريخ مصر من ملوك العائلة الثانية عشرة ولكن كان ذلك غاية ما يستنبط منها وليس يؤمل فيها على حسب ظننا عظيم فائدة أخرى

(رابعا) أنفس أثر وجد وأعلى سند به فى مواد فن معرفة أحوال مصر استرشد هو من غير شبهة ولا معارضة ما ظفرنا به فى أثناء عملية البحث والتفحص عن الآثار والعمارات القديمة بناحية سقارة وحفظ بالانتيقه خانه المصرية ببولاق وهو عبارة عن صحيفة وجدت منقوشة فى قبر بعض أمناء الديانة المصرية القديمة يقال له تونارى من أهل عصر الملك رمسيس الثانى فليست هذه الصحيفة ملوكية الاصل كما وصفناه قبلها وانما هى من متعلقات العقائد الدينية المصرية القديمة وذلك انه كان مما يعتقده قدماء المصريين فى أصول دياناتهم أن من ضمن الثواب والخيرات

الوافرة المعدّة فى دار الآخرة لمن أحسن السيرة فى مدة حياته من مشايخ الديانة أن يؤذن له فى مجالسة طائفة الاخيار من الملوك فترى فى الصحيفة المذكورة صورة القسيس تونارى هذا على هيئة الداخل فى مجلس الملوك العالى مع الادب وهى صور ثمان وخمسين ملكا هم عين الصور التى وجدت بالصحائف السابقة لاندرى ما الموجب لانتخابهم كما ذكرنا فى شأن الصحيفتين المذكورتين قبلا ويا هل ترى ما الموجب لايثار صور هؤلاء الملوك دون غيرهم أما ما نراه فى هذا الخصوص فهو أنه ما دام لم يوقف لهذه المسئلة على وجه تأويل صحيح فانّ صحيفة سقارة هذه أيضا لاتقتضى أن ينسب اليها درجة السندية القوية الا بالنسبة لغيرها مما هو من قبيلها فقط ومع ذلك فيجب علينا أن نصرّح هنا بأنّ صحيفة سقارة المحفوظة بالانتيقه خانه المصرية ببولاق لها على ما عداها مزايا لاتنكر من وجوه

(أولا) من حيث انّ أوّلها معلوم وانّ لنا به أوّل دليل ناخذ منه ونبنى عليه أوّل تأسيس ترتيب التواريخ المصرية

(ثانيا) من حيث انه يوجد بها فيما بين هذا الدليل الاوّل الى آخر سلسلة الملوك المصريين المصوّرين بها أدلة أخرى موضوعة على البعد بعضها عن بعض فى خانات متخللة فيها يتوصل بها الى الرسيان على مجموع الخط التاريخى الكلى الى غاية من الضبط لم توجد فى سائر الآثار الاخرى التى من هذا القبيل فى ذلك انه يوجد بصلب هذه الصحيفة فيما وراء العائلة الثامنة عشرة والعائلة الثانية عشرة والعائلة الحادية عشرة ست عائلات قديمة عثرنا عليها مستوفاة كما هى مذكورة بجدول مانيتون ولم يكن ذلك من المأمول ومن ذلك تتيقن أنّ صحيفة سقارة هذه لانظير لها فى سائر الآثار

التى

التى من قبلها وسنعود للكلام عليها قريبا بالثانى

هذه هى أشهر الآثار والعمارات المصرية القديمة التى صار العثور عليها مما يستفيد منه تاريخ الديار المصرية فائدة عمومية وأما ما يتعلق من ذلك بخصوص كل عائلة ملوكية فسنسردها واحدة بعد واحدة على ترتيب القسيس مانيتون مع بيان ما يتعلق بخصوصها من الآثار والعمارات الاصلية التى حصل العثور عليها

وانما قبل التعرض لذلك نقول ان فن معرفة أحوال مصر هو فن جديد قريب العهد جدا من الحدوث بحيث لا يتيسر تأليف تاريخ الديار المصرية كتواريخ غيرها من أغلب البلدان أعنى انه لا يمكن السير فيه من غير التفات كالسائر فى طريق جادة مطروقة من قبل بمدة طويلة بل لا يسع كاتب تاريخ مصر الا أن يتلفت حواليه على ممر اللحظات ويمعن النظر فيما يعرض اليه على عدد الاوقات والخطوات ويتناول ما يجده على طريقه من العلامات والاشارات وينظر فيها بغاية التدقيق ونهاية التحقيق ويجمع ما ظفر به من المواد المتفرقة ويلم شمل أجزائها الممزقة كما يفعل الصانع الحاذق فى مادة متاع متفرق الاجزاء من مدة مديدة أنيط بحذاقته اصلاح شأنه واعادته للصورة الجديدة واذا كان الامر كما تقرر فلا غرابة فى أننا بأثناء الفوائد التى سنأتى بها فى هذا المقام قد نعدل عن الغرض المقصود ونتعرض لذكر أشياء دقيقة تظهر فى مقام آخر من سفاسف الامور ولا ينبغى التعجب منا اذا أطلنا القول على القارئ فى بعض المواضع وجلنا معه فى بعض الاحيان بميدان البيان فاطلعناه بقصد تعريفه بحقيقة ما بنينا عليه أساسا من البرهان على تفاصيل هى فى الواقع ونفس الامر بالنظر لتاريخ

مصر من أجمل المواقع ولنشرع فى ذلك فنقول

(ما يتعلق بالعائلات الثلاث الاولى)

كان مرشدنا الاكبر فى احياء تاريخ هذه العائلات الثلاث الاولى هو القسيس مانيتون وهو لا يخلو عن الشبهة لداعى تباعد المدة التى نساير فيها عنا تباعدا يخرج عن حد العقل كما ذكرناه فى محله ولكن أسعفته المقادير المسعدة بصحيفة سقارة حيث جاءت فقوت اعتماديته ولما كانت هذه الصحيفة ليست مشتملة الاعلى نخبة من الملوك كان بالضرورة لا يوجد فيها سائر أسماء الملوك الواردين بجدول مانيتون والمذكور فيها فقط ملكان من ملوك العائلة الملوكية الاولى وستة من الثانية وثمانية من الثالثة وفى هذا القدر كفى من الكفاية للاستدلال على ان القسيس مانيتون هو الراوية الثقة للتواريخ المصرية القديمة وبالاستناد عليه يسوغ لنا أن نجزم من الآن فصاعدا بأن مدة هذه العائلات الثلاث المذكورة كانت فى الحقيقة من ضمن التواريخ المصرية المعتمدة ونتيقن بانه لم يكن بعضها معاصرا للبعض مطلقا وما وصل الينا من الآثار والعمارات المنتسبة لملوك هذه العائلات الثلاث الاولى وان كانت عتيقة جدا وقد بلغت الينا من خلال الاعصار العديدة والمدد المديدة فهى كثيرة واقدمها كما قيل هو الهرم المدرج الموجود بجهة سقارة ويقال انه كان من اعمال الملك الرابع من العائلة الملوكية الاولى ويليه قبر الملكة توبهوتيب الذى لم يزل فى موضعه وقد عثرنا عليه فى اثناء عملية البحث والتفحص الجارية الآن بنفقة حضرة خديو مصر ثم التماثيل الثلاثة المعزية للعائلة المصرية المسماة سيبا

وكانت

وكانت من أعيان أرباب الوظائف العمومية فى ذلك العصر واستكشفت
من منذ أربعين سنة بجوار الاهرام فنقلت الى ديار فرانسا ووضعت بقصر
سلاطينهم المعروف بقصر لوره بمدينة باريس ثم قبر وجد فيه تمثال بجوار
الاهرام كلاهما لرجل من قدماء المصريين المعاصرين للملك السابق على
آخر ملك من ملوك العائلة الثالثة يسمى ذلك الرجل امدان وقد نقله
لبسيوس المتقدم ذكره الى مدينة برلين كرسى مملكة البروسيا من بلاد الاوربا
واذا كانت التلال الجارى فى وسطها عملية الحفر الآن عن يدنا بجهة
أبيدوس هى فى الواقع كما نظن آثار مدينة تينيس القديمة التى كانت كرسى
المملكة فى عهد ملوك العائلتين الاولى والثانية فالمأمول اننا لابد وأن نجد
الآن أو فى المستقبل آثارا لهذه العائلات غير ماذكر

(ما يتعلق بالعائلتين الملوكيتين الرابعة والخامسة)

الذى كان أعظم دليل لنا أيضا فى ترتيب ملوك هذه المدة هو القسيس مانيتون
مع صحيفة سقارة كذلك وفيها اتفق نص المؤرخ الاهلى المذكور مع
الصحيفة المحكى عنها اتفاقا قريبا جدا بحيث يرى بطريق البداهة ان
أصلهما واحد لامحالة ومن ثم بادرنا بتقييد هذه النتيجة التى هى أوثق
شهادة نطق بها لسان الآثار المصرية القديمة بما يعضد صحة روايات المؤرخ
مانيتون وما أورده بجدوله مما يتعلق بملوك مدة الدولة القديمة أوعصر
الجاهلية المصرية الاولى وربما كانت آثار هذه المدة هى أشهر جميع
الآثار والعمارات الموجودة بالديار المصرية وأكثرها وقد ذكرنا منها غير
مرة مادة الاهرام التى أمرها لايخفى على أحد فان من آثار العائلة الملوكية

الرابعة من صنف الاهرام اهرام الجيزة ومما هو من آثار ملوك العائلة الخامسة ما وجد أيضا من غير ذلك بجهات أخرى خصوصا ما وجد بجهة بوصير ومن العلامات الظاهرة والادلة القوية على ما كان يوجد في عصر هاتين العائلتين من درجة التمدن العالية المقابر الفاخرة التي لا تزال السياحون يهرعون للتفرج عليها بجهة الاهرام وجهة سقارة وينضم لذلك ما استكشفناه في المدة الاخيرة بجوار التمثال الهائل المعروف بابي الهول الاكبر المجاور لاهرام الجيزة من الهيكل القديم المبني جميعه من الرخام الابيض وحجر الصوان وهو أثر فريد للغاية عصرنا هذا لم يوجد له نظير لما أنه هو الانموذج الاوحد والمثال المفرد الذي لم يصل الينا غيره من اعمال فن العمارات الاثرية المصرية العظيمة ويتم تعداد الآثار الكثيرة والعمارات الغزيرة المنسوبة للعائلتين الرابعة والخامسة بسرد ما وجد لهما أيضا من أعظم الآثار بالانتيقه خانه الخديوية ببولاق وهي ما يسرد أدناه

(أولا) تمثال الملك كفرين الذي من اعماله الهرم الثاني وليست شهرة هذا التمثال فقط لما صار له من مدة القدم البليغة من حيث صار له من العمر أكثر من ستين قرنا بل لما اشتملت عليه صنعته من حسن افراغ تفاصيله في قالب بديع جدا مع سعة مجسمه وجمال هيئته فانه نظرا لهذه المزايا أيضا يندر العثور على مثله وهو يدل الدلالة الواضحة على ما كانت عليه درجة الفنون المصرية في تلك المدة من حيث لم يكن ذلك في حساب أحد ويبرهن البرهنة القوية المفصحة على ان أرباب الفن المصريين كانوا من قبل مدة ستة آلاف سنة في مرتبة عالية من اتقان الصناعة لا يحتاجون معها الزيادة

(ثانيا)

(ثانيا) كتابة وجدت على قطعة من الحجر مربعة من عهد الملك خوفو صاحب الهرم الاول تتضمن أنواع هدايا اهداها هذا الملك لاحد الهيا كل فى عصره وهى عبارة عن أصنام مصنوعة من الحجر والذهب والنحاس وسن الفيل والخشب وهذه الكتابة العتيقة التى هى أيضا انموذج نفيس لما كان جاريا فى ذلك العصر من صور العبادات الاثرية وصيغ الديباجات الرسمية تدلنا بالنسبة لكيفية الكتابات واللغة المصرية القديمة على مثل مادلنا عليه تمثال الملك كفرين بالنسبة لفن التصوير فى الحجر ومنها تعلم الغاية التى كان قدوصل اليها التمدن المصرى القديم فى مبادى مدة العائلة الملوكية الرابعة واليها ينتسب ماعداها من آثار مدد الدولة القديمة أى مدة الجاهلية المصرية الاولى المتنوعة اذا اردنا ترتيبها

(ثالثا) لوحة من الحجر كبيرة صار العثور عليها باهرام الجيزة عملت لتخليد ذكر امرأة من أهل بيت الملك كانت قد توظفت بوظيفة قعيدة الدائرة الخاصة بدار الملك سفرا (وهو الوارد باسم سوفيس الثانى بجدول القسيس مانيتون والمعروف بالملك كفرين عند اليونان) بعد أن أقامت مدة فى مرتبة أكبر خواص النساء بحريم سراية كل من الملك اسنفرو الثانى (وهو الوارد بجدول القسيس مانيتون باسم سوريس) والملك خوفو (وهو المسمى بالملك سوفيس الاول فى جدول مانيتون) ومن اللوحة الحجرية المذكورة طبقا لما نص بصحيفة سقارة تتضح مرتبة كل من الملوك الثلاثة المذكورين فى الوجود الزمانى بالنسبة لمن عداهم من الملوك

(رابعا) تمثال من الخشب ظفرنا به أيضا فى اثناء عمليتنا وما أظن الصناعة المصرية القديمة سمحت بأعلى منه شبها بأصل الذات التى هو صورتها

حيث ترى الشخص المصور فيه كانه على قيد الحياة خصوصا شكل الرأس منه فانه يصور لك الحقيقة الطبيعية على وجه عجيب جدا فترى فيه فى الحقيقة على الحالة الاصلية نظير ما يشاهد الآن فى بعض وجوه أهل القرى المصرية بالاقاليم البحرية من دقة الاعضاء واستدارة الشكل وهو يجذب النظر خصوصا بما عليه من طبقة طلاء خفيفة مركبة من برنجق دقيق عليها طبقة أخرى من الخافق أكمل بها المصور بديع صنعته من هذا التمثال البديع

(خامسا) عدة توابيت جميلة مصطنعة من حجر الصوان الوردى والاسود بعضها لبعض ملوك العائلة الملوكية الرابعة وبعضها نفيس جدا لداعى ما عليه من النقوش المفروغة بجوانبه الاربعة من الخارج وهى من قبيل ما يوجد من النقوش النفيسة المفروغة برسم أوسع على وجهات أبواب العمارات الكبيرة التى هى من اعمال ذلك العصر وبالجملة فينبغى ان ننبه على ان آثار العائلتين الرابعة والخامسة كثيرة جدا بحيث يوجد منها فى الانتيقه خانه الخديوية ببولاق خمسون لوحا من الالواح الحجرية المنشأة من قطعة حجر واحدة على ارتفاع مترين أو ثلاثة أمتار من الطول ومثلها من التماثيل والاصنام الجميلة المتنوعة الاصناف

(ما يتعلق بالعائلة الملوكية السادسة)

الوارد من ملوك هذه العائلة بصحيفة سقارة هو أربعة ملوك وفى ضمن جدول القسيس مانيتون ستة مع كون الوارد بالصحيفة المذكورة من عهد الملك مينيس ستة وثلاثين اسما وبجدول مانيتون تسعة وأربعين ملكا ومن ملوك

ملوك هذه العائلات الست من هو وارد بالاثر المأثور عن نوناري المتقدم الذكر ومن ذلك يستنتج قولا واحدا لا يصادف شبهة ولا ترددا أنه لغاية العائلة السادسة كانت سلسلة الدول المصرية القديمة على عمود التعاقب ولم يكن منها ماهو خارج عنه ولهذه العائلة الآثار الكثيرة أيضا بجزيرة ايلفنتين وجهة الكاب وقصر الصياد وناحية أبيدوس والشيخ سعيد وزاوية الميتين ومدينة منفيس ومدينة سان ووادى المغارة ومن ذلك يستنبط أن هذه العائلة كان لها اليد على جميع الديار المصرية من الشلال الى البحر المتوسط الابيض من غير شريك ومن جملة آثار هذه العائلة المحفوظة بخزانة بولاق مايذكر بعد وهو

(أولا) صحيفة مكتوبة تشتمل على خمسين سطرا وجدت بقبر من القبور المستكشفة بناحية أبيدوس يقص فيها قصة حياته بنفسه رجل يقال له اونه من أرباب الوظائف الميرية فى ذلك العصر بما يفيد أنه بعد أن خدم وطنه وامتاز فى أداء وظيفته بعدة أنواع من الامتيازات فى عهد الملك تيتى والملك پاپى (وهو الملك أباپوس) استخدم أيضا فى عهد ملك ثالث يقال له مريانرا ثم ان هذه الصحيفة تضعف ما أوردناه من رواية أن الملك أباپوس أقام على سرير الملك مائة سنة الا انه يستفاد منها من وجه آخر مزية ترتيب الفراعنة الثلاث الواردين بها فى مراتب وجوداتهم الزمانية

(ثانيا) صحيفة أخرى مكتوبة تستند الى رجل من رجال الدولة بجهة أبيدوس تتضمن انه كان موجودا فى عصر الملك پاپى والملك مريانرا وفرعون رابع يسمى نيفيركيرا وبمقابلة كل من الصحيفتين المذكورتين من حيث التاريخ يستدل بهما على توالى أربعة ملوك من ملوك العائلة

السادسة وفيها أيضا أحسن مثال بالنسبة لغير المتمرنين على المناظرات الاثرية يتوصل به أهل العلم مع التأنى لترتيب كل واحد فى مرتبته الزمانية من جميع الملوك العديدين المتركب منهم جملة دستور ملوك الدول المصرية القديمة ولنختم ما يتعلق بعدة هذه العائلات الثلاث المذكورة ببيان ما يظهر على آثارها وعماراتها من الاحوال القائمة بها المساعدة على حسن ترتيبها وهو أنها أولا يظهر عليها صفة عامة على أكثرها وهى هيئة الحزن والحدادية وجميع مقابرها على شكل واحد عبارة عن حوش أو بنية صغيرة مربعة الشكل على ظاهر الارض يأوى اليها أقارب الميت فى موسم زيارة الموتى يليها حفرة نازلة فى عمق الارض فى أسفلها عدة قاعات متى استودعت فيها جثة الميت أغلقت عليها بحيث لا تفتح بعدها أبدا وهكذا كانت كيفية رسمها على وجه العموم وكيفية تحلية هذه القبور وهى أيضا على وتيرة واحدة تقريبا فيرى فيها من الصور أكثر من الكتابات وليس فيها من صور الاصنام شئ مطلقا وانما أكثر تصاويرها من المناظر المتخذة من أحوال الحياة البشرية العادية ولا سيما من هيئات الاعمال الزراعية وما كان للمتوفى من المناقب والالقاب الدينية لا الدنيوية ويكثر بها اتخاذ الصور المحاطة بالبراويز البيضاوية الشكل المشتملة على أسماء الملوك وألقابهم المرسومة على شكل القرطاس الملفوف (وهى التى عبرنا عنها فيما تقدم عند الكلام على الصنائع المصرية القديمة بالخانات) وبالجملة فان القبور المذكورة فيها صناعة تصوير متمكنة الاصطناع دقيقة الابتداع وبامعان النظر فيها يوقف على بعض فروقات فى صناعتها توجب لترتيبها على ثلاث طبقات

الاولى

الاولى ماهو على المنوال القديم كقبرامدان السالف الذكر فانه يظهر على مافيه من النقوش والكتابات مايشم منه رائحة الحدوث وقرب العهد من البداوة الاولى فى الصناعة وترى الكتابات الموجودة فيه بالهيروجليفية منتشرة الحجم بارزة الجسم يكثر بها الاشكال الوحشية وتماثيلها ضخمة الجثة مع قصر القامة فائقة الحذق فى الاجزاء غير متناسبة الاعضاء

وأما الطبقة الثانية فهى أعلى منها تمكينا وصور الكتابة الهيروجليفية فيها أكثر تحسينا ومنظر حروف عبارات الاصل المسطرة بها أزيد ائتلافا وأسهل للقراءة واستبدل ماكان يكثر فى آثار عصر أمدان السابق من تقطيع الحروف بما استجد فى آثار عصر الطبقة الثانية من طريقة تركيب الكلمات واقتصرت فى هذا العصر الثانى الانساب العالية ولم تكن تتوجه فيه أدعية المناجاة وصيغ التوسلات الالذات أحد المعبودات المصرية المسمى أنوبيس وأجل أنموذج وأكمل مثال لآثار هذه الطبقة الثانية هو قبر رجل مصرى يقال له تى استكشفناه من منذ بعض سنوات فى أثناء عملية الحفر الجارى بمعرفتنا

الطبقة الثالثة معاصرة للملوك العائلة الملوكية السادسة وفيها اخذ يظهر فى الآثار اسم أحد المعبودات المصرية المسمى اوزيريس وكان قبل ذلك يندر وجوده وابتدئ يعثر لبعض افراد الموتى على توصيفهم فى بعض أحوال نادرة بنعت العدل واستطالت فى هذا العصر عبارات الكتابات المسطرة على الآثار عما كانت عليه قبل ذلك وظهر فيه من عبارات المناجاة وصيغ الادعية والتوسلات ماهو أظرف من السابق واستجدت

فى ضمن التصاوير بعض قصص وحكايات من مناقب الاموات وبعض الاحوال التى كانوا عليها فى حال الحياة واستجد بذلك فى تلك التصاوير منظر تنوع حادث وتفنن جديد بدل ما كانت تظهر عليه اولا من حالة التشابه ولزوم الكيفية الواحدة ومايوجد فى كثير من الجهات من التماثيل الجميلة بما هى عليه من اعتدال القامة واستدارة الوجه والفم المتبسم ودقة الانف وسعة المنكبين وقوة الساقين مما يوجد جملة من أجلها بالانتيقه خانة المصرية ببولاق فهو مما صار التقاطه من مقابر هذا العصر والذى قبله وكذلك بعدا فى هاتين المدتين يوجد ما يرغب فيه أهل الرغبات فى اقتناء المواد القديمة من تلك الالواح الحجرية الكبيرة المتخذة من قطعة حجر واحدة على هيئة وجهة باب التى يوجد منها مقدار وافر أيضا بالانتيقه خانه المصرية المذكورة فان سألت الى أى زمن من بعد عصر العائلة الملوكية السادسة امتد اتخاذ المقابر المصرية القديمة على هذا الاسلوب أجبنا بأنه لا جواب لنا عن ذلك وها نحن من مدة عامين نجتهد غاية الاجتهاد فى استمرار عملية البحث والتفحص بمقبرة جهة سقارة مع العثور على ما يزيدنا أملا فى بعض الاحيان بقصد التحرى والتوصل لحل مبحثين وهما

(أولا) هل يصح ان بعض القبور التى آنفا وصفناها ولما قبل العائلة الملوكية السادسة نسبناها نجعلها متأخرة التاريخ عن مدة العائلة السادسة المذكورة ونراها من تعلقات العائلات الملوكية التى جاءت بعدها الى عهد العائلة الحادية عشرة بل هل نعتبرها من أعمال الثانية عشرة حيث لم نعثر لمدتها على قبور فى مقبرة مدينة منفيس هذه اذ هذا

أمر

أمرا خر يستحق النظرفيه والالتفات أيضا اليه

(ثانيا) اذالم يصح ماذكر فادام ان العائلة الحادية عشرة ثبت لها وجود آثار وعمارات من قبيل آخر على صنف المقابر بمدينة طيبة فهل يسوغ لنا ان نقول بأن مقابر الدولة المصرية القديمة أعنى مدة الجاهلية الاولى قدعرض عليها بعض حوادث تقلبية مجهولة الحال لنا فقطعت على حين فجأة تسلسلها ومحت أثرها ولم يصل الينا خبرها حتى أوجبت لما استتكلم عليه بعد من عدم وجود آثار للعائلات الملوكية المصرية من بعد العائلة السادسة وياهل ترى أى الامرين المذكورين آنفا نعول عليه وأى القولين نميل اليه الجواب اننا للغاية الآن لم يتيسر لنا دليل يرجح أحد المذهبين على أخيه حتى نحكم حكما قطعيا فيه

ما يتعلق بالعائلات الملوكية السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة

قدعلم مما أسلفناه ماعرفت به هذه المدة من عدم العثور لها على آثار وعمارات تدل على حقيقة حالها ومع ذلك فلا غرابة اذا قلنا بأن جملة من القبور التى وجد بها الخانات السلطانية المعنونة باسماء كل من الملك بيبى والملك تيتى وغيرهما من ملوك هذه المدة مع القابهم هى من اعمال العائلتين الاوليين من هذه العائلات الملوكية المترجم لها سابقا حيث انهما من العائلات الملوكية المنسوبة لمدينة منفيس وأما التاسعة والعاشرة فحيث ان القسيس مانيتون أدرجهما فى سلسلة العائلات

الملوكية المصرية على انهما كان مقر مملكتهما بمدينة هرقلبوليس فلم نقف لهما الغاية الا ن على آثار نستدل بها عليهما ولعل السبب فى ذلك هوان نواحى ميدون واللشت واهناس المدينة وسائر المنطقة الارضية الكائنة فى مدخل وادى الفيوم لم يحصل بها الغاية الآن اعمال حفر على انه لا ينبغى ان يظن ان عدم وجود آثار وعمارات لهذا العصر هو على اطلاقه فانه ربما كان ما فى الصف الاعلى من صحيفة أبيدوس المقدمة الذكر من الخانات السلطانية الاربع عشرة المفقودة منها كان واردا بها صور بعض ملوك هذه المدة

وكذلك ورد بتصاوير قاعة الجدود السالفة الذكر أيضا ما يفيدان جماعة من أهل بيت الملك كانوا قد أرادوا أن ينتهزوا فرصة الذتن والشقاق الذى كان واقعا فى ذلك العصر ودعوا بجلوس العائلة الملوكية الحادية عشرة على كرسى المملكة المصرية وهذا يقتضى انهم كانوا معاصرين لملوك العائلة الملوكية العاشرة ولعلنا نظفر ببعض آثار أخرى توضح لنا ما نظنه من ان بعض الملوك المسمين باسم سيبيكهوتيب هم من ملوك احدى العائلات الملوكية السابعة أو الثامنة أو التاسعة أو العاشرة فان ذلك لابد منه وبالجملة فان مدة هؤلاء العائلات الملوكية الاربع لم تزل غير واضحة الحال ومحلا للنظر فيها بواسطة ما سيجرى الاستمرار فيه من اعمال الكشف والتفحص بطريق الحفر الجارى العمل فيه

(ما يتعلق بالعائلة الملوكية الحادية عشرة)

لم يتعرض القسيس مانيتون فى تاريخه لبيان أسماء ملوك هذه العائلة الملوكية

الملوكية من أصله وانما النظر فى الا ثار القديمة المصرية دل على وجود ستة من الملوك يتكون منهم عائلة ملوكية واحدة من غير شك ولا ترديد وقد بقوا مدة مديدة بدون أن يعرف لهم مرتبة زمانية فى التواريخ المصرية ومن اللوح الحجرى المحفوظ بخزانة التحف والمستغربات بمدينة ليدان بيلاد الفلمنك من ممالك الاوروبا استرشد لترتيب هذه العائلة المذكورة فى مرتبتها الزمانية من التواريخ المصرية وتوضيح ذلك انه قد انفهم من ترجمة النصوص المسطرة بهذا الاثر المصرى القديم ان رجلا مصريا مات فى عصر أحد ملوك العائلة الثانية عشرة وله جد أعلى كان موجودا فى عصر أحد ملوك الطائفة الملوكية المحكى عنها قبلا فقد صار ليس للشك فى هذه المادة مجال ولا للشبهة فيها أدنى احتمال وتحقق ان ملوك الطائفة المذكورة هم ملوك العائلة الحادية عشرة واعلم ان المحل المعروف بذراع أبو النجا من مدينة طيبة هو الجهة التى يجب أن يجرى فيها اعمال الحفر بقصد الكشف والتفحص عن توضيح حال ملوك العائلة الملوكية الحادية عشرة هذه متى لزم الحال لذلك فان الفلاحين من أهل مصر عثروا فيه غير مرة من منذ أربعين عاما على مقابر ملوك نفيسة يندر وجود مثلها ولكن لسوء البخت بما ان مثل هذه الاستكشافات النفيسة باشرتها أيدى الجهلة فلم ينتج منها عظيم فائدة للعلوم والمعارف التاريخية فى شئ وأما نحن فقد اعتنينا غاية الاعتناء باستمرار اعمال الحفر والتفحص بجهة ذراع أبو النجا هذه واستحصلنا على نتائج جسيمة منها فمن ذلك ما جلبناه من تلك الجهة للحفظ بخزانة الا ثار والعمارات القديمة المصرية ببولاق من عدة ألواح حجرية وأكثر ما تحتوى عليه هذه الخزانة من الامتعة والاوانى

المنزلية وأصناف الفاكهة وأنواع الخبز والملبوسات وأثاث البيت والاسلحة وسائر الآلات والادوات الصناعية من الآثار المصرية القديمة وردالينا من تلك الجهة أيضا وقد علم مما أوضحناه عند الكلام على تاريخ العائلة الملوكية الحادية عشرة هذه فى خلاصة تاريخ مصر ماذكرناه هنالك من حالة الغلظ والشعث التى كانت عليها كيفية الآثار المصرية القديمة فى ذلك العصر ولنرجع هنا أيضا الى هذه المادة بقصد التنبيه على أن الاشياء التى استكشفناها من آثار هذه المدة لم يكن فيها فى الواقع ونفس الامر مع آثار العائلة السابقة عليها شئ البتة من أوجه الشبه والمناسبة التى تدل على قرابة ملوك هذه الطائفة الملوكية مع طوائف الملوك المتقدمة عليها وعلى كل حال فالذى يظهر هو ان ظهور هذه العائلة الملوكية الحادية عشرة على كرسى المملكة الفرعونية كان بالديار المصرية خلقا جديدا وعصر احياء حادث بجميع الامور مفيدا فبعد ان كانت الالواح الحجرية تصنع فى المدد السابقة على شكل التربيع صارت فى أثناء هذا العصر الجديد تتخذ مستديرة من أعلاها وترى على هيئة الكتابات بالطريقة الهيروجليفية المستندة لهذه المدة من عدم التهذيب كيفية مخصوصة بها لا نظير لها فيما هو موجود من هذا القبيل بقبور العائلة الملوكية الثالثة السابقة وترى كذلك من أول وهلة النظر على توابيت هذه المدة كيفية خاصة بها دون غيرها واستجد على ظاهر توابيت الموتى فى تلك المدة تصاوير كثيرة بها رسم جملة من الاجنحة مختلفة الالوان الباهرة وذلك اشارة الى ما كان من جملة عقائدهم الدينية وتخريفاتهم الوثنية فى ذلك العهد من ان احدى معبوداتهم المسماة

اريس

اتريس كانت تحنو على أخيها الاله المسمى اوزيريس بالتحنيط عليه بذراعيها وفيهما الاجنحة فكأنهم شبهوا الموت بالاله اوزيريس المذكور فوضعوا صورته على توابيت الموتى وقد ظهر لك مما أسلفناه ان القسيس مانيتون لم يذكر هذه العائلة الملوكية الحادية عشرة الا بوجه الاختصار ولم يتعرض لبيان أسماء ملوكها من أصله والذى ورد من أسماء ملوكها فى ضمن صحيفة سقارة السالفة الذكر هو فقط ملكان اثنان وأما تصاوير قاعة الملوك فكانت أشفى منها غليلا وأتم منها ايضاحا وتعليلا ولم يورد المصور الذى أنشأها فى ضمنها ملوك العائلة الحادية عشرة فى وسط غيرهم من ملوك العائلات الملوكية الأخرى من السادسة لغاية الثانية عشرة بل لغاية ملوك السابعة عشرة على وجه الخلط من غير تمييز وبالجملة فان ما يجب من كشف أحوال هذه العائلة الملوكية أيضا لم يبلغ لنهايته بل لاشك فى اننا سنتوصل بواسطة استمرار عملية الحفر بجهة ذراع أبو النجا المذكورة لاستخراج بعض فوائد نفيسة جديدة تعود على هذه المادة أيضا بالايضاحات المزيدة

(ما يتعلق بالعائلة الملوكية الثانية عشرة)

ملوك هذه العائلة هم جماعة الملوك المسمون بالاوزورتازانين والامونتهين وهؤلاء بيان أسمائهم تفصيلا وارد بجدول القسيس مانيتون وفى صحيفة أبيدوس وصحيفة سقارة وتصاوير قاعة الجدود معا وآثارهم كثيرة جدا فى جميع الجهات من ابتداء وادى المغارة الى حد قلعة كنه وسمنه (فيما وراء وادى حلفة) ومن آثارهم أيضا مسلة

المطرية ومسلة بجيج (باقليم الفيوم) والنواويس المقتضرة الموجودة بجهة بنى حسن وبعض المغارات الموجودة بأسيوط وجملة من التماثيل الهائلة الجليلة التى ظفرنا بها فى أثناء عملية الكشف والتفحص الجارية بجهة سان وجهة أبيدوس وقد اتفقت جميع هذه الآثار على اثبات ماهى عليه من عظمة قالب صنعتها وبرهنت لنا على أن عصر العائلة الملوكية الثانية عشرة الذى كان فيه منشؤها كان من أشرف أعصار التواريخ المصرية القديمة وأبهجها من حيث تقدم درجة الصنائع والفنون الاهلية وقد كانت مرتبة ملوك هذه الطائفة الملوكية من حيث الوجود الزمانى مضطربة الاساس من مدة مديدة ولم يكن لنا دليل فى أول أمر البحث عن أحوال التواريخ المصرية يرشدنا لتعيين موضعها فى سلسلة العائلات الملوكية الا ما اهتدينا اليه من ذلك بصحيفة أبيدوس ولكن صحيفة أبيدوس هذه كان ساقطا منها ايراد خمس عائلات ملوكية ولم يكن يشعر بذلك أحد وعلى مقتضاها كان يرى أن الاوزورتازانين كانوا يلون بطريق المباشرة طبقة الملوك التوتميسين (أعنى العائلة الملوكية الثامنة عشرة) وبقى العلماء مدة طويلة من الزمن مصممين على المذهب القائل بأن الازورتازانين هم العائلة الملوكية السابعة عشرة حسبما كان يظهر لهم من أن ذلك هو الصواب حتى جاء العالم لبسيوس المقدم ذكره فأيقظهم وكان أول من نبه على الخطا فى هذه المسئلة فان القسيس مانيتون عد فى ضمن أرباب العائلة الثانية عشرة عدة ملوك ذكر فيهم جماعة كثيرين يدعون بأسماء أمونميس وسيزورتوريس وورد بصحيفة أبيدوس أيضا جملة ملوك كلهم يسمون أمونتها أوأوزورتازان

فاستقر

فاستقر الحال على اتباع مامشت عليه صحيفة أبيدوس بعد اصلاحها بمقتضى مانص عليه المؤرخ الاهلى مانيتون وتحقق أن الازورتازانين ليسوا هم ملوك العائلة السابعة عشرة بل ملوك العائلة الثانية عشرة من غير اشتباه فى ذلك وهنا محل فائدة أخرى لا بأس بايرادها وهى أن القسيس مانيتون نص فى تاريخه على أن مدة اقامة العائلة الملوكية الثانية عشرة على سرير الملك كانت ١٦٠ سنة ومدة اقامة الحادية عشرة ٤٣ سنة يكون الجميع ٢٠٣ سنوات مع أن صحيفة الورق البردى المحفوظة بمدينة تورينو السالفة الذكر ذكر بها عائلة ملوكية كان آخر ملوكها هو عين الملكين الاخيرين من ملوك العائلة الثانية عشرة وأولها اليس بمعلوم لداعى عروض التلف على أعلى الصحيفة المذكورة كما تقدم ذكره وقيل بها ان مدة اقامتها على سرير الملك كان مجموعها ٢١٣ سنة فهل كان نقص السنوات العشر بتاريخ مانيتون غلطا فى الرقم يقتضى اصلاحه ويعتمد القول بان مدة المائتين وثلاث عشرة سنة كانت مدة العائلتين الثانية عشرة والحادية عشرة بجعلهما كالعائلة الواحدة كما انفهم من فحوى نص صحيفة الورق البردى المذكورة أوماذا يكون الحال هذه أيضا مسئلة مشكوك فيها بما اتضح لنا مما هو وارد فى ضمن لوحة حجرية عثرنا عليها بناحية ذراع أبوالنجا السالفة الذكر مسطور فيها نص تاريخى يقول فيه مامعناه لخمسين سنة خلون من مدة حكم أحد ملوك هذه العائلة التى لم يجعل مدة حكمها المؤرخ مانيتون الا ثلاثا وأربعين سنة لاغير

(ما يتعلق بالعائلتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة)

لم ينص القسيس مانيتون على شئ من بيان أسماء هاتين العائلتين من أصله وأوجب ذلك الحيرة فى مادّة الوقوف على ما يقابل عصرهم من الآثار والعمارات ولكن أسعفنا فى ذلك ما وجدناه من آثارهم فانه بالجانب الايمن من قاعة الجدود وعلى جملة أشياء متنوّعة الاصناف من المواد المحفوظة بالانتيقه خانه المصرية ببولاق يوجد مكتوبا أسماء عدّة فراعنة يدعون على وجه العموم سيبيكهوتيب ونوفريهوتيب يتكوّن منهم عائلة ملوكية مخصوصة كثيرة الافراد ولكن من بعد الوقوف على ذلك تحيرنا فى أمر تنزيل هذه العائلة فى منزلتها الزمانية الصحيحة حتى ظفرنا بكتابة قديمة بجهة سمنة أظهرها لنا الفاضل لوكنت دوروجه يذكر فيها الملك سيبيكهوتيب الاول منعوتا بنعت الموجود على قيد الحياة والملك أوزورتازان الثالث المتوفى ومن ذلك استنبطنا أنّ طائفة الملوك السيبيكهوتيبين كانت مدّة وجودهم عقب العائلة الملوكية الثانية عشرة واستنتج نظير ذلك من صحيفة الورق البردى المحفوظة بمدينة تورينو فانّ من جملة مابقى من أجزائها قطعة وجد بها رأس عمودين منها مثبتا بأعلى أحدهما خانات ملوك معلومين من ملوك العائلة الثانية عشرة وبرأس الثانى خانة الملك سيبيكهوتيب الرابع وتحقق بذلك أنّ منزلة الملوك المعروفين باسم سيبيكهوتيب كانت من حيث الوجود الزمانى بعد طائفة الاموتهين والازورتازانين ولكن ينبغى التيقظ هنا لامرين أحدهما أنّ طائفة الملوك الغالب عليهم اسم سيبيكهوتيب

كانوا

كانوا باقين على العائلة الثامنة عشرة بدليل أننا انما استندنا عليهم خصوصا بأحد الآثار المأثورة عن مدة حكم الملك توتميس الثالث الامر الثانى وهو انهم كانوا ملوكا مستقلين بجميع دولة مصر من غير شريك حيث كان فى قبضتهم جميع الديار المصرية من أقصى بلاد النوبة الى البحر المتوسط الابيض واذا كان الامر كذلك فلا يصح أن يكونوا معاصرين لدولة الملوك الرعاة الموسومين بالعائلات الملوكية الخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة

واذ تقرر ماذكر آنفا فقد علمت أن مظنة الخطا قد تلاشت وصار لا شبهة لنا الا فيما بين العائلتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة ومعلوم أن العائلة الثالثة عشرة حكمت ٤٥٣ سنة وحيث كانت مدينة طيبة كرسى مملكتها فالاقرب للعقل هو أن الآثار الجليلة المأثورة عن الملوك السيبيكهوتيبين انما حقها أن تنسب اليها لا الى العائلة الرابعة عشرة التى لم تكن مدة حكمها الا عبارة عن ١٨٤ سنة وكانت منحصرة فى جهة مخصوصة خاملة الذكر من ديار مصر (وهى مدينة اكسويس) واذا كان المؤرخ مانيتون قد أغفل ذكر أسماء الملوك الذين جاؤا من بعد الملوك المسمين أمونوميس وسيزورتوريس فها هو العلم بدقة قياساته وحذاقة استدلالاته قد توصل لمعرفتهم والوقوف على حقيقتهم على أن أسماء ملوك هاتين العائلتين لا توجد فقط بصحيفة البردى المحفوظة بمدينة تورينو وبالجانب الايمن من قاعة الجدود المحكى عنهما بل كذلك تشاهد مثبتة فى ضمن ألواح حجرية من الآثار القديمة المحفوظة بكثير من الانتيقه خانات وخزائن التحف والمستغربات الموجودة فى سائر الجهات

وعلى التماثيل الهائلة الموجودة بجهة سان وعلى جوانب بعض النواويس القديمة بأسيوط كما توجد أيضا بجهة اسوان ومحطة الحمامات وغاية ماهنالك أن جملة من ملوك هاتين العائلتين خصوصا الملك اسخايهيت المرتبين فى مراتبهم الزمانية بالانتيقه خانه المصرية انما ترتب وافى مراتبهم التى وضعناهم فيها فى جملة ملوك العائلة الرابعة عشرة بوجه الحدس والتخمين فقط ولازال عندنا شبهة فى هذه المادة لاغير ولا نستغرب اذا اصادفنا من المباحث العلمية المعضدة بالآثار القديمة المصرية مايلزمنا بارجاع مرتبة هؤلاء الملوك الى مدة العائلة الملوكية السادسة أومايليها الى الحادية عشرة

مايتعلق بالعائلتين الملوكيتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة

لاوجد لهذه المدة آثار مطلقا والسبب فى ذلك حادثة تغلب طائفة الهيكسوس على الديار المصرية فيها فلم يترك لنا هؤلاء الاقوام من أعمالهم التى باشروها بأنفسهم فى مدتهم شيأ يدلنا على صورة وجودهم ولعلهم أخرجوا ملوك الدولة الفرعونية الاصلية الى الاقاليم الجنوبية من جهة الصعيد فحكموا فيها بجهة من الجهات المذكورة لم نقف عليها ولكن لاهؤلاء ولاهؤلاتك تركوا لنا من آثارهم مايرشدنا لحقيقة حال أخبارهم

مايتعلق

ما يتعلق بالعائلة الملوكية السابعة عشرة

أما هذه المدة فقد كان مستوليا فيها على الديار المصرية طائفتان متعاصرتان وهما ما عبرنا عن مجموعهما بالعائلة الملوكية السابعة عشرة احداهما طائفة الملوك الرعاة وكان كرسى مملكتها بمدينة سان والاخرى الدولة المصرية الحقيقية وكان كرسيها مدينة طيبة ومايظهر لنا بمدينة طيبة فى هذه المدة من دلائل احياء الامور بعد اندراسها هو شبيه بما تلاحظ لنا ونبهنا عليه فيما تقدم مما هو من هذا القبيل فى مبدا عهد العائلة الملوكية الحادية عشرة فانك ترى المحل المعروف بذراع أبو النجا عاد فى ذلك العصر لما كان عليه من كونه مقبرة مدينة طيبة وترى فى القبور صنف التوابيت المعروفة بالريشية لما يرى عليها من تصاوير الاجنحة وبداخلها تلك الموميات الرديئة وتجد بداخل القبور نظير ما كنا عثرنا عليه من آثار العصر الاول من صنف الاوانى والاسلحة وأثاث البيت بعينه وترى على توابيت الملوك وذوى المناصب العالية مع ما كان يوضع عليها من تصاوير الاجنحة بدعة أخرى وهى كونها مطلية بالذهب من الرأس الى القدم وهذا أيضا اشارة بتظاهر تنوع ألوان الذهب فى الاجزاء البارزة من التابوت لما كان يعتقده قدماء المصريين فى جملة صفات معبوداتهم المسماة ابزيس بوقت حنوها على أخيها اوزيريس من أنها خلقت النور من أجنحتها وترى أسماء الموتى عادت لما كانت معتادة عليه فى المدة السابقة من التسمية بمثل انتيف وأمرنى وأهميس وعاهوتيب ونحوها الى درجة بحيث يشتبه على أعلى أهل الخبرة نظرا بمواد الآثار القديمة

أن يميزآثارهذا العصرمن آثارالاعصرالسابقة قبل ظهورالملوك الرعاة بالديارالمصرية مع ماتخلل فيما بين ذلك من عدة عائلات ملوكية وغلبة أجنبية وقد وردت أسماء الملوك من دولة مدينة طيبة منقوشة فى الحجر على حيطان بعض القبور بناحية القرنة وعلى سفرة شراب قديمة محفوظة بخزانة التحف والمستغربات بمدينة مرسيليه احدى مدن ديارفرانسا وعلى بعض آثارأخرى من الآثار القديمة المحفوظة ببعض الجهات من بلاد الاوروبا وفى خزانة الآثار القديمة المصرية ببولاق وأما ملوك طائفة مدينة سان فقد بلغنا أيضا بيان أسماء جملة منهم عن المختصرين لتاريخ القسيس مانيتون على روايات مختلفة فمن ذلك ما كان لبعضهم من أسماء الاعلام التى يكثر فيها ادخال اسم سيت (وهوسوتيخ) الذى هو معبود طائفة الخيتاس ومن تبعهم من القبائل وذلك كاسم سيتيس واستاعان واسيس واسيت ولم نعثر من أسماء ملوك هذه الطائفة بالآثار المصرية التى وجدناها الغاية الآن الاعلى اثنين أحدهما سيتيس وهو اسم اول ملوكها (وقد وجدناه واردا على لوحة من الحجر محفوظة بخزانة الآثار المصرية ببولاق بلفظ سيتعابهتى نوبتى) الثانى آخر ملوك هذه الطائفة وهو الملك أبوفيس وجدناه واردا بلفظ ابابى وهو عين ما يكتب به اسم الملك ابابوس أحد ملوك العائلة الرابعة فى كيفية كتابة الحروف المصرية القديمة سواء بسواء والذى صار الحصول عليه من آثار الملوك الرعاة من العائلة السابعة عشرة هو ماسيذكر أدناه

(أولا) أربعة تماثيل هائلة من حجر الصوان وجدت بجهة سان وهى محفوظة بالانتيقه خانه المصرية ببولاق ويختص شكلها بما على صورة الرأس

منها

منها من هيئة لبدة اسد كثيفة بدلا عن العصابة المعتادة و بأن تقاطيع الوجه منها هي بينة التشكيل ذات هيبة كثيرة الزوايا أشبه شيء بتقاطيع ذوات الصيادين الموجودين الآن على بركة المنزلة وقد كانت هذه التماثيل أولا برسم الملك أبوفيس آخر ملوك طائفة الرعاة بالديار المصرية اثبت على الكتف الايمن من كل واحد منها عنوانه بخانته الملوكية وأضاف فيها الى القابه نعت محبوب سيت (اى سوتيخ) ثم استملكها لنفسه من بعده الملك مينفتا من ملوك العائلة التاسعة عشرة ثم من بعده الملك بسوسنيس من ملوك العائلة الحادية والعشرين

(ثانيا) شكل مزدوج به صورتا شخصين واقفين وأيديهما مبسوطة عليها طبق فيه أزهار واسماك على هيئة من يقرّب القربان وهي قطعة تصوير جميلة لم يسطر فيها شيء يدل على عصر انشائها وانما بكيفية تصوير الرأس منها على مثل هيئة رأس التماثيل المذكورة قبلها يعلم انها معها من عصر واحد

(ثالثا) رأس ملك من الملوك الرعاة عثرنا عليها بناحية ميت فارس باقليم الفيوم موجودة بخزينة الآثار المصرية ببولاق وهي لقطة مهمة من حيث انها تدل على ان دولة الملوك الرعاة كانت قد امتدت الى تلك الجهة واستولت بالضرورة على مدينة منفيس

(رابعا) صحيفة من ورق البردى محفوظة بخزانة التحف والمستغربات بمدينة لوندره كرسى مملكة الانكليز مذكور فيها ان الملك المسمى راسكنان كان حاكما بمدينة طيبة بوقت ان كان الملك أبوفيس مستوليا على سرير الملك بمدينة سان وتخبر عن مشاجرة قد وقعت بين الملكين تفضي الى محاربة

ستحصل بينهما

(خامسا) قصة أخرى منقوشة على جوانب قبر بجهة الكاب لاحد أرباب المناصب بذلك العصر يدعى احميس يذكر فيها أكبر الحوادث التى وقعت للمتوفى فى مدة حياته من انه قضى دور طفوليته بمدة حكم الملك راسكان ثم شهد وقائع الملك اموزيس مع الملوك الرعاة التى أخرجهم بها من الديار المصرية

(سادسا) من جملة الآثار المتعلقة بمدة الملوك الرعاة من العائلة السابعة عشرة وان كان ليس بطريق المباشرة لوح من الحجر كبير متخذ من حجر الصوان وجدناه فى اثناء عملية الحفر بجهة سان ولم نقف على حقيقة معناه واغا فهم انه من عصر الملك رمسيس الثانى من ملوك العائلة التاسعة عشرة مؤرخا لاربعمائة عام من حكم الملك سيتعابفتى نوبتى فان صح ان الملك المدعو بهذا اللفظ هو عين الملك المسمى سيتيس فى جدول القسيس مانيتون فقد اشعر اللوح الحجرى المحكى عنه مهما كان السبب الباعث على انشائه بانقضاء مسافة أربعمائة سنة بين جلوس العائلة الملوكية السابعة عشرة على سرير المملكة المصرية والسنة التى انشأ فيها الملك رمسيس الثانى من مدة حكمه وهذه فائدة جليلة من حيث انها فى ترتيب الحوادث التاريخية بازمانها لا تخفى اهميتها على أحد فان سنة تقليد الملك رمسيس الثانى بتاج المملكة المصرية فى الحقيقة غير معلومة وحيث كان اللوح الحجرى المذكور يتضمن صيغة توسل الى الاله سيت (وهو تيخ) وعبادة الصنم المذكور انما حدثت بمدينة سان من بعد عقد مشارطة الصلح التى حصلت بين طائفة الخيتاس والملك رمسيس الثانى لثلاث

وعشرين

وعشرين سنة خلون من حكم هذا الملك فقد نتج ان التاريخ المطلوب متأخر
عن هذا التاريخ الذى ذكرناه

(ما يتعلق بالعائلة الملوكيـــة الثامنة عشرة)

ترتيب ملوك العائلة الثامنة عشرة هذه فى مراتبهم الزمانية لايخلو أيضا عن
النظر فقد حصل من التحريف والتبديل فى النقل عن كتاب المؤرخ مانيتون
ما ادّى الى عدم ضـبط أسماء الاعلام الواردة فيه بل أوجب أيضا التبدل
مواضع بعض الملوك بعضهم ببدل بعض وكذلك صحيفة ابيدوس وان كانت
أتم الآثار المصرية القديمة التى ورد بها سلسلة ملوك هذه المدة مستكملة
الا أنها قد سقط منها عمدا ايراد بعض ملوك نظرا لكونهم ليسوا من الملوك
الحقيقيين وصحيفة سقارة مفقود فيها عشر خانات ملوكية من ضمن الاثنى
عشرة الواردة بها فيما بين الملك رمسيس الثانى والملك اموزيس واذا كان
الحال هكذا فلا سبيل للاستحصال على تمام ترتيب ملوك العائلة الثامنة
عشرة كما يجب لا من كتاب المؤرخ مانيتون ولا من الآثار الموجودة
وأوجبت الضرورة لالتقاط ذلك مما يظهر فى سائر الجهات من النظر
فى نصوص الكتابات القديمة المصرية والقيودات الاثرية وأعظم مايدل
على هذه النتيجة المهمة من ذلك بعد صحيفة ابيدوس هو عدة أمور الاول
قصة اهميس التى وجدت مكتوبة بالقلم المصرى القديم بجبهة الكتاب وقد
تقدم ذكرها فانه نص بها من حيث المرتبة الزمانية على أربعة ملوك وجد
اهميس صاحب القصة فى عهدهم وهم راسكان واموزيس وامونوفيس
الاول وتوتميس الاول وحيث كان الاول من هؤلاء الملوك هو من ملوك

العائلة السابعة عشرة فقد لزم ترتيب الثلاثة الباقين فى أول الثامنة عشرة

الامر الثانى قصة أخرى مستخرجة من قبر بجهة الكاب أيضا مع قاعدة تمثال وجدت بالقبر المذكور كذلك ومحل وجودها الآن بقصر لوره بمدينة باريس وكلاهما دلة على أن صاحبهما كان قد وجد على وجه التعاقب فى عهد كل من الملك اموزيس والملك امونوفيس الاول والملك توتميس الاول والملك توتميس الثانى والملك توتميس الثالث وقد اثبت فى صلب الاصل المذكور ذكر كفيلة الملك الملكة هاتازو من غير تعرض لبيان مرتبتها الزمانية ولكن حيث ان الملك توتميس الثالث طمس رسوم خاناتها الملوكية المصورة على بعض الآثار وانها هى قد تعدت على بعض خانات الملك توتميس الثانى وحازتها لنفسها فى كثير من الجهات فقد وجب ترتيبها بين هذين الملكين وثبت بما توضح ان سلسلة الملوك المستنبطة من قصة جهة الكاب الاولى قد استجد عليها بالثانية ثلاث مراتب ملوكية أخرى وكون ملوك هذه الطائفة كانوا ذوى قرابة بعضهم لبعض خصوصا الجماعة المسمون بالتوتميسين هذا أمر ثابت يستند لعدة آثار تقتضى ذلك من أشهرها دلالة عليه المسلات الموجودة بجهة الكرنك والقيودات التاريخية المسطرة بهيكل الجهة المذكورة مما يحدث عن وقايع توتميس الثالث الحربية وكثير من التماثيل الموجودة بخزانة التحف والمستغربات بمدينتى لوندره وبرلين الثالث لوح من الحجر يوجد بالانتيقه خانه المصرية ببولاق مأثور عن رجل من قدماء المصريين يقال له نبوى مذكور فيه ترتيب الملك توتميس الثالث والملك امونوفيس الثانى كل منهما فى مرتبة وجوده الزمانية الرابع أثر كتابة قديمة كذلك مأثورة عن رجل من خدمة الملوك يسمى هورانهيب

بالجهة

بالجهة المسماة عبد القرنة (باقليم قنا) يقول فيها انه خدم الملك امونوفيس الثانى ثم الملك توتميس الرابع ثم الملك امونوفيس الثالث واذا كان الحال حسبما ذكر فهاهى سلسلة ملوك العائلة الثامنة عشرة لازالت مستمرة من غير انقطاع وبذلك توفق لنا ترتيب جميع ملوكها فى مراتبهم الزمانية تقريبا واذا اعتمدنا على نص تاريخ القسيس مانيتون وصحيفة ابيدوس أيضا نقول بأن الذى خلف الملك امونوفيس الثالث الذى هو آخر ملوك هذه الطائفة على سرير الملك بغير واسطة هو الملك هوروس وفيه بحث فاننا اذا انظرنا فى مادة الآثار المأثورة والعمارات القديمة نعلم ان الملك هوروس هذا كان قد انشأ بجهة الكرنك بابا محصنا كبيرا أدخل فى عمارته بعض المواد المستجلبة من آثار عمارة أخرى متخربة يوجد عليها فى ضمن خانات ملوكية مصورة باسمه عنوان الملك خوانادان (وهو المسمى أيضا امونوفيس) ومن ذلك يؤخذ ان الملك خوانادان المذكور كان سابقا عليه ومن حيث ان الملك خوانادان أيضا طمس بعض الآثار والكتابات المنسوبة للملوك السالفين فى كثير من الجهات لغاية عصر الملك امونوفيس الثالث فهذا دليل أيضا على ان الملك أمونوفيس الثالث كان سابقا على الملك خوانادان المذكور واذا تقرر ذلك فليس للشك سبيل فى انه قد تخلل فيما بين الملك امونوفيس والملك هوروس الواردين بصحيفة ابيدوس ملك آخر وهو الذى نسميه امونوفيس الرابع وفقا للصواب وطبقا لما دل عليه الدليل الغير المستراب ولا حاجة للاطالة هنا باستمرار مثل هذه المناظرات ولا للايضاح من جملة الاستقصاآت والملحوظات التى توصلنا بها لتحقيق كون الملك امونوفيس الرابع لم يكن وحده هو الذى اهتدينا لاستكشافه والوقوف على حقيقة حاله وانه قد

خلفه على كرسى المملكة المصرية اثنان بل ثلاثة من أهل بيته كان جميعهم
قد سقطوا من سلسلة فراعنة الديار المصرية الاصليين وانما أردنا أن نثبت
بما سمحنا به هنا على ان الآثار المأثورة والعمارات القديمة هى التى أرشدتنا
بمفردها للوقوف على حقيقة أحوال ملوك العائلة الملوكية الثامنة عشرة
بتمامها وانه لم يضرّنا ما اعترى نصوص المؤرخ مانيتون من التغليط والخلط
ولا ما وجد فى صحيفة ابيدوس من مدد الخلو والسقط وبالجملة فان عصر
العائلة الثامنة عشرة هذه هو عصر الآثار المصرية العظيمة والعمارات
الفرعونية الفخيمة فمن ذلك الهيكل الذى انشأه الملك امونوفيس الثالث
بجبل البرقل على القرب من الجهة المعروفة بابى حمد والشلال الرابع موضوعا
على مقدّم كل طرقة من الطرقات الموجودة فيه تماثيل كبيرة على هيئة
الكبوش الرابضة ومن آثار هذه المدة أيضا الهياكل التى شادها الملك
توتميس الثالث بناحية سوليب فيما بين الشلال الثانى والثالث وبناحية سمنه
فيما فوق وادى حلفة بشئ يسير وبجهة عمادة من بلاد النوبة ومنها أيضا
الهيكل العظيم الذى كان موجودا بجزيرة ايلفنتين من اعمال الملك
امونوفيس الثالث وقد هدمته من منذ ثلاثين سنة يد التلف من أهل أسوان
وكان من أجل الهياكل المصرية القديمة ومنها ما هو من آثار الملكة هاتازو
وهو الباب المتخذ من حجر الصوّان المعشق بساحة سور هيكل اومبو
والتصاوير البارزة الموجودة بجبل السلسلة مما يحدث عن سيرة الوقايع
الحربية التى كان قد باشرها الملك هوروس فى عصره واما مدينة طيبة فلم
تزل فى أكثرها مشرقة الانوار بجمال الآثار الباهرة وبهجة العمارات
الفاخرة التى ابقاها بها ملوك العائلة الثامنة عشرة هذه حيث ترى هنالك

على

على الجانب الايسر من النيل هيكل الدير البحرى والجهة الشمالية من
مدينة آبو من اعمال الفراعنة التوتميسيين وترى هناك التمثالين العظيمين
المنسوبين للملك توتميس الثالث والنواويس المفتخرة الكائنة بناحية
عبد القرنة وما يوجد بالوادى الغربى من قبور الملوك الثلاثة او الاربعة
الموجودة هناك ممالم يزل يتردد عليه الزائرون لغاية الآن وعلى الجانب
الايمن العمارات المشيدة الموجودة بجهة الكرنك هى أيضا من آثار العائلة
الملوكية الثامنة عشرة فان الملك امونوفيس الثالث كان أول مؤسس لهيكل
الاقصر ثم اعتنى بتشييد عمارته وتمجيد زينته الفراعنة من بعده لغاية ملوك
العائلة الخامسة والعشرين واما آثار العائلة الثامنة عشرة بالجهات
الاخرى من الديار المصرية فهى أكثر من أن تحصى وأكبر من أن
تستقصى اذ منها ما يوجد بجهة الكاب وتل العمارنه وجبل نوته وبمدينة
منفيس وناحية سقارة وجهة الاهرام ومدينة هليوبوليس وسربوت
القديم ووادى المغارة وبالجملة فيجب التصريح بأن ملوك العائلة الثامنة
عشرة هم أكثر جميع العائلات الملوكية المصرية منشأ للآثار القديمة
المتكاثرة بالانتيقه خانات وخزانات التحف والمستغربات الموجودة بجهات
بلاد الاوربا وبمدينة القاهرة اليس من جملتها التماثيل الجميلة المنقولة الى
مدينة تورينو على ان فى الانتيقه خانه المصرية ما يعادل جميع هذه التماثيل
من حيث حسن بدعة الصنعة وهو صورة المجسم الاعلى من التمثال العظيم
المصور بصورة الملك توتميس الثالث وبها اللوح الحجرى النفيس المتخذ من
حجر الصوان الذى وان كان أمره قريب عهد بأهل العلم صار له بينهم الشهرة
بما هو منقوش فيه من القصيدة الشعرية المقولة لتخليد انتصارات الملك

وتغيس الثالث فى وقايعه الحربية وهذه القصيدة الجميلة وان كان قائلها متقدما فى الزمن بجملة قرون عن عصر اميروس (وهو الشاعر اليونانى الشهير الذى سارت بشعره الركبان فى الاعصر السالفة) وعن ظهور صحف التوراة فانه يظهر عليها من حسن الاساليب الشعرية وصفاء الخواطر التخيلية مايجعلها من أنفس انموذج لنوع أدب السلف يرويه الراوون ومن أحسن مثال من ذلك يتسامر به المتسامرون ومن آثار العائلة الثامنة عشرة أيضا ويعزى للملك اموزيس أول ملوكها القطعة الحلى والمصاغات الجميلة التى استكشفناها فى داخل تابوت والدة هذا الملك المسماة عاهوتيب وهى محفوظة فى ضمن المحفوظات بالانتيقه خانه المصرية ببولاق ومن أعظمها الاشياء التى ستذكر أدناه

الاول بلطة وهى الاشارة التى كان من عادة قدماء المصريين التكنية بها عن ذات معبوداتهم ونصلتها من الذهب الابريز مصور عليها من أحد الجانبين تصاوير اشارية وعلى الجانب الآخر صورة الملك اموزيس متباعد ما بين الساقين رافع ليده يرمى بها رجلا من القوم المتوحشين ويدها من خشب مطلية بطبقة من الذهب وفى الطلاء المذكور رسم كتابة بالقلم المصرى القديم يقرأ فيها عنوان الملك اموزيس بما يشتمل عليه من الالقاب السلطانية

الثانى قلادة صدرية من الذهب الابريز منقبة الصنعة وهذا الاثر الذى لم يظفر له على نظير لغاية الآن ويكبر مقامه عن التقويم هو على شكل معبد صغير من معابد المصريين الاقدمين وفى وسطه صورة الملك اموزيس قائما فى سفينة تسير فوق الماء من الاوقيانوس بالفلك الاعلى وعلى جانبيه قريبا منه صنمان يصبان على رأسه ماء يتطهر به ومن اطلع على هذا الاثر الغريب

ظهر

ظهر له ما يمتاز به عن غيره من اتقان الصنعة وحسن الافراغ فى قالب البدعة فليست ألوانه متخذة من تنوع ملونات كما يظهر لاكثر الرائين بل هى مصطنعة من صفائح رقيقة من الجواهر النفيسة من الفيروزج واللازورد والعقيق الاحمر مركبة فى فواصل من الذهب وفى الوجه الثانى منها جملة تصاوير مصطنعة بالمقص يتحصل منها منظر آخر ربما كان أبهج من منظر الوجه الاصلى منها

(الثالث) زورق من الذهب الابريز تحمله عربية ذات عجلات من التونج أشبه شكلا بالقوارب المعروفة فى مدينة القسطنطينية بالقايق أو بالقنجات المستعملة بمدينة البنادقة من مدن بلاد الايطاليا بممالك الاوربا وصورة القذافين من الفضة الخالصة وفى الوسط منها صورة شخص صغير الجسم بيده بلطة وعصا معوجة وفى مؤخر الزورق المذكور صورة سفان يقبض على يد دفة هى عبارة عن مقذاف ذى لوحة عريضة يدير بها سير السفينة حسبما كان معروفا من هذه المادة فى ذلك العصر وفى مقدمه صورة منشد قائم على قدميه ينظم عملية القذافين على توقيع المغانى وعلى القرب منه صورة عنوان الملك اهميس مصورة بخاناته السلطانية وجميع صورة هذا الزورق من قبيل الاشارات فانه كان من عقائد قدماء المصريين ان الروح قبل أن تصل الى موضعها من دار الآخرة تمر بفراغات من الفلك الاعلى بها مزارع وأنهار وخلجان فكانت السفينة اشارة للرحلة الى دار الآخرة

(الرابع) اسورة من الذهب الابريز بها صور أشخاص من الذهب على أرضية من اللازورد ومما يوجد على هذه الاسورة من التصاوير هو أيضا من

أبدع التصاوير صناعة و بها صور آلهة الموت

(الخامس) صور ثلاث نحلات مفروغة فى صفائح من الذهب الابريز يجمعها سلسلة عامة بجيعها مرتبط بها وقد تراءى لبعض الناس ان مجموع هذه النحلات الثلاث انما هى صورة نيشان التشريف ثم ان اتخاذ نيشانات الشرف كان عادة مطردة بالديار المصرية من قديم الاعصار فان قصة أحد أرباب المناصب التى وجدت مكتوبة بالقلم المصرى القديم على جوانب قبره بجهة الكاب وهو المسمى اهميس كاسم ملك هذا العصر وكان معاصرا للعهد الذى صيغت فيه هذه المصاغات قد ذكر بها أنه خدم جملة ملوك واحدا بعد واحد ونال من نيشانات التشريف فى نظير ما أبداه من افعال الشجاعة ما بلغ سبع مرات ولكن لعل نيشانات الشرف العسكرية التى نالها اهميس هذا لم تكن صورة النحلات الثلاث التى وجدت بقبر الملكة عاهوتيب المذكورة والذى نراه أقرب للعقل هو ان علامة الشرف العسكرية كانت صورة الاسد حيث وجد منها بعض صور فى ضمن النقوش المصورة فى النواويس القديمة

(السادس) تاج من الذهب لحفظ الشعور توضع فى دائرته على هيئة الضفائر محلى بتمثالين صغيرين جالسين جلسة القرفصاء على كل من طرفى شئ فيه كالعلبة فى هيئة خانة ملوكية كالتى توجد فى ضمن التصاوير بالقبور والآثار المصرية القديمة مكتوب فيها اسم الملك اموزيس بحروف من الذهب على أرضية من اللازورد ظاهرة فى وسطه

(السابع) خنجر نصله من الذهب وهو أنفس ما يرى من الآثار القديمة فان قبضته محلاة بنقوش مثلثة الاشكال من ألوان متنوعة تنتهى بصور

أربع

أربع نسوة من أتقن ما يكون من فروغ الصنعة وفى وسط النصل جلبة معدنية حالكة اللون ينتشر عليها حلية باهرة اللون من الذهب المسقط مكتوب فيها أيضا عنوان الملك اموزيس محفوبا من أحد الجانبين بصور جملة من الجراد تبتدئ كبيرة مع اول النصل ثم تصغر شيأ فشيأ الى نهايته ومن الجانب الآخر بصورة أسد يفترس ثورا غريبة جدا وغرابتها خصوصا من حيث ان هذا الرسم هو من خواص بلاد آسيا وقد وجد فى تعلقات هذا الملك الذى كان محصورا فى جهة الصعيد ولم يتفق له فى الحقيقة انه شاهد تلك البلاد

(الثامن) مرآة على صورة فرع نخلة ظريف الشكل قبضتها من خشب مطلية بالذهب قد ذهب صقال دائرتها مع طلاء الذهب الذى كان عليها ودائرتها هذه فى ثقل الذهب مركبة من مواد تظهر حقيقة حالها بتحليلها بمعرفة أهل الكيمياء المتأخرين

(التاسع) اسورتان محل قفلهما على اليد عبارة عن جلبة من الذهب محلاة بصور خانات ملوكية تشتمل على عنوان الملك اموزيس ومجسمهما مصطنع من سلوك من الذهب منظوم فيها فصوص من اللازورد والفيروزج والعقيق والذهب

(العاشر) خنجر آخر نصله من التوج وقبضته عبارة عن دائرة من الفضة وكانت كيفية الضرب بهذا النوع من الاسلحة أن يخرج النصل من بين السبابة والاصبع الوسطى و يعتمد بالقبضة على راحة الكف

(الحادى عشر) قلادة متكونة من جملة خرزات مخيطة على الكفن يرى فيها من صور سباع الطير والوحوش كالبزاة والنسور والجقال

والآساد في وسط أنواع حلية أخرى متضمنة من صور أصناف النباتات

(الثانى عشر) سلسلة مجدولة من سلوك الذهب طولها اكثر من متر تنتهى من طرفها بقفلين على شكل رؤس الاوز مكتوب عليها عنوان الملك اموزيس بخاماته السلطانية ومعلق فيها صورة جعلان بديعة الصنعة أرجلها مثنية الى بطنها قلدفيها المصور الحقيقة الطبيعية على وجه من الضبط والدقة غريب جدا وحلية الظهر منها عبارة عن فواصل دقيقة من الذهب يتخللها مركب من اللون الازرق السماوى من أصفى مايكون وهى اشارة للقوة الخالقية التى تعيد الروح الى الجسد فى دار الخلود

(الثالث عشر) دملج لتحلية الزند وحليته عبارة عما أصله صورة نسر مفرود الجناحين وهذا الاثر هو أبدع انموذج لما كان يصطنعه صاغة قدماء المصريين فى الاكثر من هذا القبيل

(الرابع عشر) جملة خلاخل من نوع الاساور الغليظة التى تتحلى بها السيقان

(الخامس عشر) عصا معوجة من الخشب الاسود ملتف عليها صفيحة من الذهب حلزونية الشكل ولعل هذه العصا اشارة الرياسة كما هو معهود لغاية عصرنا هذا ببلاد النوبة من أنه يكثر فى يد أهل هذه البلاد مثلها

(ما يتعلق بالعائلة الملوكية التاسعة عشرة)

الملوك السبعة الذين ذكرهم القسيس مانيتون على انهم هم ملوك هذه العائلة الملوكية اهتدينا لحقيقة أحوالهم بالآثار والعمارات المصرية القديمة وترتبوا فى منازلهم الزمانية بناء على استدلالات يطول أمر ايرادها

ايرادها هنا على ان من ضمن آثار ملوك العائلة التاسعة عشرة المذكورة
ما نسرده هنا أيضا وهو
(اولا) عدة عمارات كان قد شرع فى ابتنائها الفراعنة السابقون
عليهم وهم جاؤا بعدهم فأتموا عماراتها
(ثانيا) جملة عمارات وآثار أخرى باشروا الامر بانشائها وكانوا اول
المؤسسين لها أما العمارات التى من الطائفة الاولى فهى كثيرة حيث
لايكاد يرى للعائلة الملوكية الثامنة عشرة هيكل من الهيا كل المشيدة
عن يدهم الا ومصور عليه أيضا اسم ملوك العائلة التاسعة عشرة خصوصا
الملك رمسيس الثانى منهم وهذه الحادثة أمرها ظاهر خصوصا بمدينة
طيبة فان هيكل الاقصر كان قد أحدثه بها الملك امونوفيس الثالث ثم ما كان
موجودا فيه من المسلتين اللتين نقلت احداهما الى مدينة باريس فهما من
اعمال الملك رمسيس الثانى كالتماثيل الاربعة الكبيرة المنصوبة امام الباب
المحصن الكبير المذكور وان كان من انشاء الملك امونوفيس الثالث
فان التصاوير المنقوشة فيه هى من عصر رمسيس الثانى وكذلك الحال
بناحية الكرنك فانك ترى كلا من عنوان الملك سيتى والملك رمسيس
الثانى وحدهما مثبوتا على الباب الكبير المحصن الموجود فيهما من
الجانب الثانى وعلى الاعمدة العظيمة المرفوع عليها القاعة ذات العمدان
التى بها وكذلك على حيطان سورها من الخارج وبالجملة فان الملك رمسيس
أتى من التعدى على مال الغير فى مادة الآثار والعمارات بما هو من أغرب
المستغربات حيث محا فى كثير من التصاوير والتماثيل الكبيرة والصغيرة المصور
فيها ذوات ملوك العائلتين الثانية عشرة والثالثة عشرة ما كان

يوجد فيها من الاسماء الدالة على أصل منشئها وتواريخها ووضع
فى موضعها عنوان نفسه بغاية من العناية والدقة فى الصنعة بحيث يخفى
على أدق أهل الخبرة نظرا عوائد الآثار والعمارات وقد كانت موجودة
من قبله بألف سنة وأما الابنية والعمارات المستحدثة بمعرفة ملوك العائلة
التاسعة عشرة على الحقيقة فنها قبور الجهة المعروفة بباب الملوك
خصوصا قبر الملك سيتى الاول فانه أجمل الابنية المؤسسة تحت الارض
بالديار المصرية ومنها الآثار الموجودة بجهة ابسنبول المحفور جميعها
فى صلب صخرة بجانب جبل هناك بقصد تخليد ذكر الانتصارات التى كان
قد ظفر بها الملك رمسيس الثانى فى محارباته مع طوائف السودان وطائفة
الخيتاس ومنها ما أنشأه هذا الملك من الهياكل بناحية الدر وبيت الوالى
ببلاد النوبة ومنها الآثار التى أنشأها الملك سيتى الاول بمحطة القوافل
بالطريق الموصل من قرية الرداسية امام ادفو الى معادن الذهب بجبل
الاتوكى وقد دلت ما بها من الكتابات الكثيرة بالقلم القديم المصرى على
السبب الباعث لانشاء هذه المحطة فى وسط الصحراء وذلك هو ان معادن
الذهب الموجودة بجبل الاتوكى هذه بقيت مدة مديدة لا يرد منها محصول
لداعى هلاك المسافرين فى تلك الطريق بالعطش لاستخراجها حتى جاء
الملك سيتى الاول واحدث فيها عينا ينبع منها الماء لرى الواردين والمترددين
بها وانشأ هناك تخليدا لذكر هذه الحادثة هيكلا لم يزل موجودا لوقتنا هذا
وأما مدينة طيبة فقد أسلفنا غير مرة ذكر ما لحقها أيضا من مكارم ملوك
العائلة التاسعة عشرة بتقليدها منهم بأفضل العمارات وأجمل الآثار
والبنايات بحيث يكاد أن لا يكون لنا حاجة لتوضيح هذه المادة بالثانى

ولكن

ولكن نعود فنقول انه يوجد فى داخل سور الكرنك ثلاثة هياكل صغيرة
من عمل الملك رمسيس الثانى وان كان قد اعتراها التلف ومن أعماله أيضا
العمارة الهائلة المسماة بالرمسيسية وهيكل القرنة الذى أنشأه الملك سيتى
الاول على ضفة النيل اليسرى لتخليد ذكر أبيه رمسيس الاول وكذلك الهيكل
الصغير الموجود بجهة أبيدوس الذى اشتهرت النقوش المسطرة فيه
بصحيفة أبيدوس من حيث وجدت فيه فانه من آثار الملك رمسيس الثانى
والهيكل الكبير الجارى فيه الآن عمل الكشف والتفحص لاستفادة
العلم بأحوال الديار المصرية هو أيضا من انشاء الملك سيتى الاول ولاشك
فى ان مدينة منفيس فازت أيضا بحسن التفات فراعنة العائلة الملوكية
التاسعة عشرة ثم لم يبق من هذه المدينة الشهيرة الا اكوام من الآثار
وتلال من الاطلال ولكن ما يشاهد لغاية الآن بموضعها الذى هو ناحية
ميت رهينه من حسن صورة التماثيل الكبيرة التى رأسها أشبه شئ
بصورة رمسيس الثانى يشهد بعناية هذا الملك بتحلية هذه المدينة التى كانت
كرسى المملكة المصرية من جهة الشمال ومن جملة الآثار المنتسبة
للعائلة الملوكية التاسعة عشرة أيضا هيكل مدينة سان الذى كان قد انهدم
بمعاصرة الملك اموزيس لهذه المدينة فأقام جميعه بالثانى الملك رمسيس
الثانى ثم الملك مينفتاح ثم الملك سيتى الثانى وها هى عملية الكشف
والتفحص الجارية بأمر سعادة خديو مصر الآن بهذه الجهة لم تزل مستمرة
وقد نتج منها الحصول على عدة آثار من عصر الملوك الرعاة واستخرج من
هذه العملية احدى عشر مسلة وجملة من الالواح الحجرية المتخذة من قطعة
حجر واحدة من الصوان كبيرة وصغيرة وبذلك يستدل على أن هذا الهيكل

كان من أعظم الهياكل التى أسستها العائلة الملوكية التاسعة عشرة بالديار المصرية

(ما يتعلق بالعائلة المتممة للعشرين)

كان اسم جميع ملوك العائلة العشرين رمسيس كما أن ملوك العائلة الملوكية الثالثة والثلاثين تسموا جميعهم فيما بعد ذلك باسم بطليموس ولم يتيسر لنا مادة لترتيب هؤلاء الملوك فى مراتبهم الزمانية سوى بعض آثار متفرقة ومقابر مدينة طيبة خصوصا قبور الجهة المعروفة بباب الملوك والسبب فى ذلك ان ملوك هذه العائلة لاشتغالهم بالفتن الداخلية والمشاجرات الاهلية لم يلتفتوا لانشاء كثير من العمارات الاثرية ومع ذلك فان القصر والهيكل اللذين هما من آثار هذه العائلة بمدينة أبوليسادون أجل العمارات الموجودة بالديار المصرية ومن آثار هذه العائلة أيضا الهيكل المعروف بهيكل شونس الكائن على جنوب الكرنك قريبا من الطرقة الكبيرة المصفوف عليها التماثيل الكبيرة المصورة الرأس على شكل الكبش وهذا الهيكل وان كان يرى عليه فى جميع أجزائه عناوين ملوك العائلة الحادية والعشرين مكتوبة فى خاناتهم السلطانية عليها فمعلوم انه من انشاء ملوك الدولة الرمسيسية ومن آثارها أيضا اللوح الحجرى الذى أهداه بريس المقدم ذكره الى خزانة الكتب السلطانية بمدينة باريس وأصل استخراجه من هيكل شونس هذا وهو أثر مفيد تتعلق به الرغبات من وجوه كثيرة منها ما حكى فيه بالاستناد لنفس الدولة الحاكمة حين ذاك من قصة حادثة تاريخية رسمية وقعت فى ذلك العصر

مضمونها

مضمونها ان أحد الملوك الرمسيسين المذكورين لقى فى بعض اسفاره ببلاد الميزوبوتاميا (الجزيرة بين دجلة والفرات) وكانت فى ذلك الوقت من الاعمال التابعة لسلطنة الفراعنة احدى بنات الملوك بتلك الجهات فتزوج بها ثم مضى على ذلك بعض سنوات وكان فرعون رمسيس جالسا فى قصره بمدينة طيبة واذا ببعض الخدم أخبره بأن رسولا قد حضر من طرف والد زوجته يلتمس منه ان يرسل اليه طبيبا حاذقا ليعالج أخت الزوجته أصابها داء أعجز الاطباء فبعث معه طبيبا مصريا وكانت ابنة الملك التى هى أخت زوجة فرعون مصر مصابة بداء عصبى وكانوا يتوهمون على حسب اعتقاد أهل ذلك العصر انها صرعها بعض الجن فتلبس بها بحيث لا يفتر عنها فلما وصل اليها الطبيب المبعوث من لدن فرعون رمسيس افرغ وسعه فى علاجها فلم ينفع قال اللوح الحجرى الذى هو الراوى لهذه القصة ولم يخرج الجنى منها فرجع الطبيب الى الديار المصرية وبنت الملك على حالها من العلة المتمكنة منها وكان ذلك لخمس عشرة سنة خلون من حكم الملك رمسيس المذكور ثم بعد ذلك باحدى عشرة سنة يعنى فى عام ستة وعشرين من حكمه وفد على ملك مصر رسول آخر وافاده من طرف الملك حليفه بانه لا يشفى ابنته من علتها الا مباشرة علاجها بنفس أحد الآلهة المعبودين بمدينة طيبة فاجابه ملك مصر فى هذه المرة كالاولى وبعث اليه الاله المسمى شونس فطالت مدة ذهابه واستغرقت مسافة سنة وستة اشهر حتى وصل الاله طيبة هذا الى بلاد الجزيرة وعزم على الجنى فخرج من بدن ابنة الملك وعادت للصحة كما كانت ولكن لم تنته الى هذا الحد هذه القصة المكتوبة بقلم التصوير على ذلك اللوح الحجرى المحفوظ بخزانة الكتب السلطانية بمدينة باريس بل اثبت فيها على الاثر

ما يفيد ان ملك الجزيرة لما عرف من فضيلة هذا الاله ما جرّبه من ان مجرد حضوره يشفى وحيا من الامراض على هذا الوجه العجيب والمنهج المعجز الغريب خاطر بنفسه على معاداة صهره فرعون مصر مع ما هو عليه من الشوكة القوية وصمم على ان أمسكه فى قصره فأقام الاله شونس مأسورا ببلاد الجزيرة ثلاث سنوات وتسعة أشهر ثم بعد تلك المدة تراءى لملك الجزيرة المذكور رؤيا منامية كأن الاله المحبوس طار الى مصر على صورة بازمن الذهب وفى وقت طيرانه أصيب الملك بعلة تجائية فأمر باطلاق الاله المذكور فى الحال ورجع الى محله كما كان من الهيكل المعد له بمدينة طيبة فى سنة ٣٣ من حكم الملك رمسيس والى هنا انتهت هذه الحكاية بالمعنى ولعل ملك الجزيرة توهم ما هاله من أمر هذا الحلم فتطير منه ورأى فيه انذارا بما سيقع له على الحقيقة كما يفهم ذلك من المبادرة بالامر باطلاقه فى الحال

(ما يتعلق بالعائلة الملوكية الحادية والعشرين)

مشايخ الديانة المصريون الذين كانوا قد تغلبوا على سرير المملكة وتعبر عنهم بملوك العائلة الحادية والعشرين انما اتموا عمارة الهيكل الكائن بين الكرنك والاقصر وعليه توجد اسماؤهم مكتوبة وأما العائلة الملوكية المعاصرة لهم من ملوك الدولة المصرية الحقيقية فان لها آثارا ببعض جهات خصوصا بجهة سان وقد عثرنا لها على بعض تيجان ابنية وبعض صفائح من الذهب محفوظة فى ضمن المحفوظات بخزانة الآثار القديمة ببولاق دلتنا على أسماء بعض ملوك مستجدين من ملوك هذه العائلة الملوكية

ما يتعلق

ما يتعلق بالعائلة الملوكية الثانية والعشرين

ذكر القسيس مانيتون فى تاريخ مصر أسماء الملوك التسعة الذين أصلهم
من تل بسطة من ضمن ملوك هذه العائلة وتحققت انساب بعضهم أيضا بما
استكشفناه من الكتابات القديمة على الصنم المصور بصورة ما كان يعبده
قدماء المصريين من الاله المدعو بالنيل وهو موجود بخزانة التحف
والمستغربات بمدينة لوندره وبكتابات قديمة وجدت أيضا على أحد الحيطان
الخارجة من الكرنك وفى ضمن النصوص النفيسة التى ظفرنا بها من منذ
اثنتى عشرة سنة بقبر معبود المصريين المسمى ابيس (وهو العجل) بجهة
سقارة وهى محفوظة فى جملة الاشياء النفيسة المقتناة بخزانة التحف
والمستغربات بقصر لوره بمدينة باريس ولا يعرف لهذه العائلة الملوكية
عمارة جسيمة تنتسب اليها ولا آثار عظيمة انشأتها بالديار المصرية لغاية
الآن ولا شك انه باستمرار عملية الحفر بناحية تل بسطة التى كانت كرسى
مملكة ملوك هذه العائلة لا بد وان نظفر لها على بعض آثار عمارات كانت
قد احدثتها لتشييد هذه المدينة

ما يتعلق بالعائلة الملوكية الثالثة والعشرين

كانت مدة هذه العائلة الملوكية على الديار المصرية عصر فتن واختلال
كما دل على ذلك ما هو مسطر من سيرة الحوادث التى وقعت فى ذلك العهد
بتمامها على لوح من حجر الصوان استكشفناه فى اثناء اعمال الحفر الجارية
على يدنا فى هذه المدة الاخيرة بجبل البرقل وهو من انشاء ملوك الدولة

الايتيوبية (الزنجية) وليس من اعمال الفراعنة المصريين الاصليين فليتنبه لذلك والذى يستنتج منه هو ان طائفة الكوشيين (الزنوج) لما احدثوا لانفسهم مملكة مخصوصة تدينوا بدين المصريين واستعملوا طريقة كتابتهم واتخذوا لغتهم فقد كان تمدن الايتيوبيين متولدا عن تمدن قدماء المصريين بدليل ما يتضح لنا من حال هذا اللوح الحجرى المذكور حيث انه مع كونه دلنا على ان الايتيوبيين كلفوا المصريين بغائلة غلبتهم عليهم أرانا فى مرآة هذه الحادثة أيضا أشبه شئ بنهر رجع على منبعه بالعصيان وانما قلنا بأن مدة العائلة الملوكية الثالثة والعشرين كانت على مصر عصر فتن واختلال لانها كانت فى تلك المدة متوزعة بين جملة عائلات ملوكية متشعبة على غير عمود العائلات الملوكية الاصلية أورد منها القسيس مانيتون فى جدول الملوك الذى أثبته فى آخر تاريخ مصر ما تراءى للحكومات المصرية فيما بعد بالطريقة الرسمية انه هو العائلة الملوكية الحقيقية وأسقط ماسوى ذلك وملوك تلك العائلة عبارة عن ثلاثة أصلهم من مدينة سان واتضح لنا من اللوح الحجرى الذى وجدناه بقبر معبود قدماء المصريين المسمى ابيس بجهة سقارة عائلة ملوكية أخرى وقفنا منها على حقيقة ثلاثة ملوك أيضا كعائلة مدينة سان المذكورة وهى التى كانت مستقرة الدولة بمدينة منفيس ومن اللوح الحجرى المستخرج من جبل البرقل اهتدينا أيضا لكون بعض اقاليم من الديار المصرية كانت فى أثناء تلك المدة فى قبضة بعض ملوك طوائف متفرقين ليسوا ممن ذكرهم المؤرخ مانيتون ولا ممن وردوا باللوح الحجرى الذى وجد بقبر ابيس

ما يتعلق

ما يتعلق بالعائلة الملوكية الرابعة والعشرين

صرح المؤرخ مانيتون بأن هذه العائلة الملوكية لم تكن الا عبارة عن ملك واحد وهو الملك بوكوريس لاغير وقد بقى اسمه الذى كان يعرف به عند المصريين على اسلوب لغتهم مدة مديدة مجهولا حتى عثرنا عليه مكتوبا على بعض أحجار من قبر معبود المصريين المدعو ابيس وهذا هو غاية ماظفرنا به من العلامات الاثرية الدالة على وجود هذا الملك لغاية الآن وليس لنا دليل على ان الايتيوبيين لم يستولوا فى عصره على الاقاليم الجنوبية من الديار المصرية

ما يتعلق بالعائلة الملوكية الخامسة والعشرين

فى مدة هذه العائلة كانت قد تمت الغلبة لطائفة الكوش على المصريين ومن ثم فلا غرابة اذا كنا قد وجدنا أسماء ملوك هذه العائلة مثبوتة على الآثار ببلاد السودان وبمصر معا ولم يذكر لها القسيس مانيتون سوى ثلاثة ملوك لاغير والظاهر ان ما مشى عليه المؤرخ المصرى هو ما كان يتراءى للمصريين فى هذه المادة فان الوارد بالالواح الحجرية التى وجدت بقبر ابيس هو ان الملك ابساماتيكوس الذى هو أول ملوك العائلة السادسة والعشرين اعقب على سرير المملكة المصرية الملك تهراكه الذى هو ثالث ملوك العائلة الخامسة والعشرين المذكورة ولكن اذا كان الايتيوبيون قد اتخذوا لانفسهم سجلات تاريخية كما صنع المصريون فلا بد وان يوجد فيها اسم ملك رابع وهو زوج الملكة الايتيوبية الموجود لها تمثال بخزانة

الآثارالخديوية ببولاق وهوالمسمى بيانخى خلف تهراكه على اقاليم الصعيد بوقت ان كان الملوك المصريون الاثناعشر المحالفون مقتسمين فيما بينهم باقى الديار المصرية فى ذلك العصر ولكن الملك ابساماتيكوس وان كان قد صعد على كرسى المملكة المصرية بعد انكسار الملك تهراكه بخمس عشرة سنة لم يعبأ بمن كان موجودا باقاليم الصعيد من شرذمة الملك السودانى المزاحم له واعتبر نفسه هو الملك الاصلى من ابتداء اليوم الذى انقطع فيه حكم ثالث ملوك الدولة الايتيوبية

(ما يتعلق بالعائلة الملوكية السادسة والعشرين)

كانت مدة العائلة الملوكية السادسة والعشرين من تاريخ الديار المصرية هى العصر الذى أخذ فيه اليونان فى زيادة التردد على شواطئ النيل وأخذ ذكر مصر يكثر من حينئذ فى كتبهم ولذلك كان يوجد فى الكتب اليونانية المتداولة بأيدى الناس تعداد ملوك العائلة الملوكية السادسة والعشرين على وجه الضبط المستوفى ولاصعوبة أيضا فى الحصول على أسماء ملوك هذه العائلة من تاريخ مصر تأليف القسيس مانيتون وقد ورد فى صلب الالواح الحجرية التى وجدت بقبر ابيس بيان جميع الآثار والعمارات التى حدثت فى عصر الملوك المسمين باسم ابساماتيكوس فمن ذلك ما كان المصريون يحافظون على تقييده بالطريقة الرسمية من عنوان قبر كل عجل يعبدونه فى ضمن لوح من الحجر يوضع معه فى قبره اذا مات وكانت جميع قيودات هذه العناوين تقريبا على صيغة واحدة فكانوا يثبتون بها تاريخ مولد العجل وتاريخ وفاته ومدة عمره بالسنة والشهر واليوم من تاريخ حكم الملك الحاكم

ولا

ولا يخفى على أحد منفعة مثل هذه الفوائد اذا صار الوقوف عليها بالنسبة لتاريخ مصر فاننا اذا كنا قد ظفرنا بأحد هذه العناوين منصوصا فيه على ان أحد العجول المعبودة للمصريين باسم ابيس ولد لثلاث وخمسين سنة من حكم أحد الملوك ومات لست عشرة سنة من حكم ملك آخر وان عمره كان سبع عشرة سنة مثلا افلا نستفيد من ذلك عدة فوائد

(أولا) ان الملكين الواردين فيه قد اعقب أحدهما الآخر في الوجود الزماني

(ثانيا) ان أولهما كانت مدة حكمه أربعا وخمسين سنة ومدة حكم الثاني لا أقل من ست عشرة سنة وبمقابلة جميع ملوك العائلة السادسة والعشرين واحدا بعد واحد على ما وجد بقبر ابيس من عناوين العجول المعبودة للمصريين في تلك المدة يحصل لنا الوقوف على حقيقة مرتبة كل منهم من حيث وجوده الزماني بالنسبة لمن عداه من ملوك عائلته وعلى صحة مدة اقامة العائلة بتمامها على سرير المملكة المصرية وغير ما وجد للعائلة السادسة والعشرين المذكورة من الآثار بقبر ابيس بناحية سقارة لم يعثر لها على عظيم شئ من الآثار والعمارات في غير ذلك من الجهات وانما عثرنا لها فقط على جملة قبور جميلة بجهة العصاصيف من مدينة طيبة تتميز عن غيرها بما فيها من السعة وحسن افراغ التصاوير التي هي محلاة بها وكذلك يوجد بعض آثار متفرقة لبعض الملوك الذين جلسوا على كرسي المملكة المصرية في ذلك العصر بصخور اسوان ومحطة الحامات ومدينة طيبة وجهة ابيدوس وسقارة ولم يكن السبب في قلة الآثار والعمارات المأثورة عن ملوك العائلة الملوكية السادسة والعشرين انهم كانوا أقل حرصا على تخليد ذكرهم بذلك من جميع ملوك العائلات الملوكية المصرية وانما في ذلك العصر كانت

قد تحولت دائرة التمدن المصرى بتمامها الى جهة الشمال من وادى النيل وحيث كان ملوك هذه العائلة قد جعلوا مدينة صا الحجر كرسى دولتهم بتلك الناحية صارت هى مركز قوتهم ومصرف همتهم واحدثوا فيها العمارات الكثيرة وأثروا بها الآثار الكبيرة فانه يفهم من شهادة المؤرخ هيرودوت ان مدينة صا الحجر كانت قد صارت فى عصر ملوك العائلة السادسة والعشرين من أبهج مدن الديار المصرية احدث فيها الملك ابريس هيكلا لم يكن دون أفخر العمارات المصرية بوجه من الوجوه وشيد لها الملك اموزيس بابا كبيرا من أغرب الابنية وأعجب العمارات يفوق بكثير على سائر الابواب التى من نوعه من حيث الارتفاع وزيادة الاتساع والعناية بانتخاب احجاره من أجود الاحجار وأكبرها ووضع عليه من الصور والتماثيل الهائلة ما يفوق الحدود فى العظمة وكبر الجسم ومما وجد بمدينة صا الحجر من الآثار العظيمة تمثال هائل ارتفاعه خمسة وسبعون قدما نظير الموجود من آثار الملك اموزيس بمدينة منفيس ولم يقتصر هذا الملك على تشييد الابواب فقط بل كان قد احضر قطعا من الاحجار فائقة الحد فى كبر الجسم بقصد تصليح عمارة نفس الهيكل الموجود بتلك المدينة بعضها من محجر طره وأكبرها جسما من محجر اسوان وأغرب ما يرى بمدينة صا الحجر من الآثار القديمة معبد صغير متخذ من قطعة حجر واحدة كان قد نقله فرعون اموزيس من جبال جزيرة ايلفنتين الى صا الحجر وقام بنقله من تلك الجهة ألفان من العمال فى السفن على النيل مسافة ثلاثة أشهر وطوله من الخارج اثنا عشر مترا على عرض سبعة امتار فى ارتفاع أربعة أمتار وزنته مع ما فيه من التفريغ من الداخل نحو أربعمائة وثمانين ألف كيلوغرام (وقدر الكيلوغرام ٣٢٠

درهما

درهما تقريبا) واذا كان الحال كما توضح فلا شك فيما حكاه المؤرخ هيرودوت من درجة العظمة التى كانت قد ارتقت اليها مدينة صا الحجر بعناية ملوك العائلة السادسة والعشرين واتضح أن ملوك هذه العائلة صنعوا بكرسى دولتهم هذه نظير ما كان قد صنعه من قبلهم بعشرة قرون من الزمن ملوك العائلتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة بمدينة طيبة ولكن أخفت هذه المدينة العظيمة يد الحدثان وأخلت منها الكون بالكلية غوائل الزمان وما كان لها من الاشتهار فى دفاتر وقائع الفنون والصنائع وفضل الاعتبار فى دفاتر أخبار التمدن والبدائع لم يبق منه الآن سوى اطلال مختلطة وآثار خرابات مختبطة اذا واظبنا على اعمال الكشف والتفحص فى موضعها وأطلنا الحفر فى محل موقعها فلا أظن الحصول على نتيجة للعثور على بعض الآثار الدالة على عظمة ملوك العائلة السادسة والعشرين المذكورين

(ما يتعلق بالعائلة الملوكية السابعة والعشرين)

فى هذه المدة كانت دولة الفرس قد تغلبت على شواطئ النيل وحصل للملك قبصوص ما حصل من خيبة الامل بانهزام جنوده ثلاث مرات فاستشاط غيظا وأساء السيرة فى الديار المصرية وعامل أهلها معاملة القوم المغلوبين واستثقلت مصر وطأته وقابلت بالكراهة شوكته ولذلك كانت هذه المدة كلها عبارة عن فتن متوالية وقيامات أهلية متواترة لم يحصل معها التفات لتشييد العمارات ولا لتخليد الذكر بالآثار والبنايات وانما وجد اسم الملك قبصوص واردا على بعض ألواح حجرية مما ظفرنا به فى قبراييس

بناحية سقاره وابقى الملك دارا بعض آثار تدل على مروره بجملة الحمامات بل ابقى هيكلا لاله المصريين المسمى امون بالواحات الخارجة وقد وجد اسم الملك ارتكزرسيس (او اردشير) مكتوبا فى ضمن جملة عناوين ملوكية عثرنا عليها وعلى آنائين ظريفين من الآثار القديمة يوجد أحدهما بالكتبخانة السلطانية بمدينة باريس والآخر بخزينة النفائس الموجودة بميدان مارمرقص بمدينة البنادقة ولم يترك الفرس بأرض الديار المصرية غير ماذكر من هذه الآثار النادرة آثارا اخرى للدلالة على كيفية وجودهم بها خلاف ماأبقاه الملك قمبوص من الخرابات المتكومة والاطلال المتتالة أثر الغضبه على المصريين وخبرسوء يذكر به الى يوم الدين واغا وردت أسماء ملوك العائلة الملوكية السابعة والعشرين هذه بتاريخ القسيس مانيتون

ما يتعلق بالعائلات الملوكية الثامنة والعشرين والتاسعة والعشرين والثلاثين

وهذه هى مدة فتن واختلال أخرى فات الديار المصرية وان كانت قد رجعت من قبضة الفرس الى أهلها الاصليين الا أن أعداءها كانوا لم يزالوا على أبوابها واقفين ومع اشتغال أهلها فى هذا العصر أيضا بيواعث الفشل القوية فقد أبقوا من العمارات الاثرية ما كان باهدا من هذه المدة أليق وما هو بابهج من ذلك العصر أحق فمن ذلك الهيكل الكبير بجزيرة البربى على القرب من اسوان فات الملك نكتنبو الثانى من ملوك هذه المدة هو أول

من

من شرع فى عمارته وزاد أيضا الملك نكتنبو الاول بعض زيادات فى هيكل
مدينة آبو والكرنك وهو الذى أتم عمارة قبرابيس بمدينة منفيس وابقى
الباب المحصن الكبير الجميل الموجود امام الابنية الموجودة تحت الارض
هناك وكان كل من الملك اكوريس والملك نفريتين ممن اعتنى بتقليد
العمارات الدينية بتماثيله وتحليتها بتصاويره ومن آثار هذا العصر أيضا
التوابيت الكبيرة الجميلة المصنوعة من حجر الصوان الموجودة بخزائن التحف
والمستغربات بمدينة برلين وباريس وبالانتيقه خانه المصرية ببولاق
خصوصا تابوت الملك نكتنبو الاول الذى انتهبه بعض الناس وانتقل
الى مدينة لوندره ومما ينبغى التنبيه عليه فى هذا المحل ان الديار المصرية
وان كانت قد نزلت فى هذا العصر عن مرتبتها السياسية التى كانت
عليها بالنسبة لغيرها من البلدان فلم يشاهد عليها فى أثناء هذه المدة تطير
ماربى على وجه آثار فنونها بعد غلبة اليونان عليها بسنوات قلائل
من علامات سرعة الاضمحلال واعراض شدة الاعتلال

ما يتعلق بالعائلة الملوكية الحادية والثلاثين

كانت دولة الفرس قد عادت فى هذه المدة للاستيلاء على الديار المصرية
بالثانى وليس للولة دولة العجم فى هذه المرة الثانية ذكر الا بتاريخ
القسيس مانيتون وأما الآثار المصرية فيكاد أن لا يكون لاحد منهم ذكر
بها من أصله

ما يتعلق بالعائلة الملوكية الثانية والثلاثين

هذه العائلة هى الدولة المقدونية بالديار المصرية التى كان رأسها اسكندر الاكبر والى هنا انتهت سلسلة العائلات الملوكية المصرية التى ذكرها المؤرخ مانيتون فى تاريخ مصر وصار لاعتماد لنا من الآن فصاعدا فى مادة تحقيق الملوك الذين حكموا الديار المصرية وترتيبهم فى مراتبهم الزمانية الا على مجرد العمارات الاثرية مع ما يستأنس لها به مما يوضحها أو ينبه على ماسقط منها من نصوص الكتب اليونانية والرومانية المتداولة بايدى الناس وان من هذا القبيل مصراعى باب متخذ من حجر الصوان وجدا بجزيرة ايلفنتين وعليهما عنوان الاسكندر الاول والمقصورة الجميلة التى بناها من حجر الصوان فيليبش اريدى أخوه بهيكل الكرنك وهى الكائنة فى وسط مقصورة أخرى من انشاء الملك توتميس الثالث فى أحسن موضع امام المحراب من هذا الهيكل وكذلك ورد اسم اسكندر الثانى ولد الاسكندر الاكبر على انه من الملوك الحقيقيين بالديار المصرية فى ضمن بعض تصاوير من النقوش الموجودة بهيكل الكرنك والاقصر

ما يتعلق بالعائلة الملوكية الثالثة والثلاثين

هذه العائلة هى طائفة ملوك البطالسة ولم يل الديار المصرية من بعد العائلة الملوكية التاسعة عشرة عائلة ملوكية أكثر منها آثارا وعمارات على شواطئ النيل فان هؤلاء الملوك البطالسة لم يكتفوا باصلاح ما كان قد تخرب من الهياكل المصرية واكمال ما كان قد شرع فى بنائه من قبلهم من الآثار الاهلية بل أحدثوا معابد جديدة وهياكل أخرى عديدة كهيكل الداكه وكلباش ودبود ودندور ببلاد النوبة خصوصا بجزيرة البرب بالقرب

من

من اسوان فانهم صيروا هذه البقعة من العجب العجاب الذى يحصر العقول ويبهر الالباب حتى صارت وجاضح ان توصف بالانفراد بين جميع المناظر الجميلة الموجودة بسائر البلاد ومن آثارهم بالديار المصرية مدينة اومبو وعمارتها من أحسن انموذجات فن العمارة القوية وان كان قد خالطها شئ من رداءة الطريقة العمارية العصرية ومدينة اسنا القديمة التى لولا ماطرأ عليها من الاحتجاب بدور المدينة المستجدة لكانت تظهر فى أحسن منظر وتبدو للناظر بأحسن منظر وناحية أرمنت التى لحقها الآن من الانهدام مابلغ لنهاية التمام ومع كون الملوك البطالسة قلدوا مدينة الاسكندرية أيضا من حلية العمارات الجسيمة والآثار الفخيمة بمالم نقف على حقيقة حاله الآن فلم يتركوا مدينة طيبة فى زوايا النسيان فانهم هم الذين أنشؤا بالجانب الايسر من النيل هنالك الهيكل المعروف بدير المدينة والمعبد الصغير الموجود على بركة آبو وعلى الجانب الايمن شادوا الباب الكبير الموجود وحده فى الجهة الشمالية من الكرنك والباب الكبير الآخر المبنى على منواله الذى يمر به القادم من الاقصر الى هيكل شونس وكذلك العمارة الصغيرة الكائنة على القرب من الهيكل المذكور وأما دندره وما أدراك مادندره فان بها الهيكل العظيم الذى هو عمارة أثرية فريدة كانت قيدشيدتها الملكة قليوبطره وأهدتها للآلهة المصريين كرامة لولدها المسمى قيصريون (أى قييصر تصغير قيصر) المرزوق لها من قيصر الرومانى وأما ادفو وماذا عسى أن يقال عن ادفو خصوصا غيران فيها أثمارا أسرار جنية من العلوم القديمة سيبدو لاهل العلم صلاحها وأبكار أخبار من النصوص المصرية التى لم يطلع عليها أحد

لغاية الآن وسيجلى على أهل المعارف صباحها ولعمرى لقد يصدق من
يقول ان الكتابات القديمة الموجودة بها الاحياء علم الاديان وعلم وصف
البلدان فيما يتعلق بأحوال الديار المصرية فى عصر الملوك البطليموسية
تقاس مسافتها بالمئين من الامتار وستنكشف منها الآن على الراغبين
الاستار وكذلك نشاهد أسماء البطالسة مكتوبة على الآثار بجهة الكاب
والموتنه (باقليم اسنا) وفى اخميم وناحية بهبيت (بجوار المحلة الكبرى)
وفى غير ذلك من النواحى ويجب أن يعزى اليهم انشاء أجل ما وجد من
الابنية بقبر العجول التى كان يعبدها المصريون باسم ابيس بناحية سقاره
والتوابيت الكبيرة الجم التى وجدت فيه ومتى ذكرت الآثار المأثورة
عن دولة البطالسة فلا ينبغى أن تنسى القطعة التاريخية المشهورة التى
عرفت باسم حجر رشيد وهى عبارة عن قطعة حجر عثر عليها من منذ نحو
خمس وستين سنة بعض الجنود الفرنساوية فى أثناء عملية حفر كانوا
يشتغلون بها لانشاء بعض استحكامات على حصن بالقرب من مدينة رشيد
حين كانوا نازلين عليها فصار لهذا الحجر من الشهرة بين العلماء بفن الآثار
المصرية القديمة ما لا مزيد عليه وذلك أنه وجد مسطرا على الوجه الاصلى
منه ثلاث صحائف من الكتابة القديمة اثنتان منها باللغة المصرية القديمة
مكتوبة كل واحدة منهما بطريقة من طريقتى الكتابة اللتين كانتا
مستعملتين بمصر فى ذلك العصر أعنى كانت احداهما مكتوبة بالطريقة
الهيروجليفية التى كان يختص بمعرفتها مشايخ الديانة المصريون
الاقدمون ولم يعثر من هذه الصحيفة الاعلى أربعة عشر سطرا لكون
باقيها كان قد انفقد لداعى كسر اعترى الحجر المذكور والصحيفة الثانية

كانت

كانت مكتوبة بخط النسخ المعتاد الذى كان مستعملا للعامة ومعهودا
لهم وكانت هذه الصحيفة عبارة عن اثنين وثلاثين سطرا وأما الصحيفة
الثالثة فكانت مسطرة باللغة اليونانية تشتمل على أربع وخمسين سطرا
وفى هذه الصحيفة الاخيرة وجدت الفائدة فانه بترجمة العبارة اليونانية
المشمولة بتلك الصحيفة استدل على انها انما هى ترجمة الصحيفتين المسطرتين
بأعلى الحجر المذكور بكيفيتى الكتابة المصرية المعهودتين وبالوقوف على
ذلك علم ان حجر رشيد هذا يشتمل على نص عبارة بلغة معلومة وهى اليونانية
يقابلها ترجمتها بلغة كانت مجهولة بوقت العثور على الحجر المذكور وهى
اللغة المصرية ومن ذا الذى ينكر الفائدة الجليلة التى تستخرج من هذه
اللقطة أليس ان التوصل من المعلوم للمجهول هو من الاساليب العقلية
التى لا يناقضها عقل مستقيم ولا ينكرها ذوق سليم وبذلك فقد ادركت ان
شهرة حجر رشيد المذكور الذى لم يزل فائزا بها الغاية يومنا هذا انما هى
لكونه كان مفتاح سر الكتابة المصرية القديمة بعد أن مكثت المدة المديدة
والاعصار العديدة وهى من الاسرار المقفلة والمشكلات المعضلة ولا
تظن مع ذلك انه قد حصل التوصل لقراءة الكتابات الهيروجليفية من أول
وهلة بالسهولة بل قدح العلماء فى ذلك أزندة افكارهم مدة عشرين سنة
ولم يحصلوا على نتيجة حتى ظهر الفاضل شامبوليون المقدم ذكره ولغاية
ظهوره كان العلماء يرون ان كل حرف من الحروف الهيروجليفية كان
عبارة عن اشارة لمدلول مخصوص أعنى ان كل حرف منها يدل على معنى
تام يستقل بالمفهومية فكان فضل شامبوليون ان أثبت ان الكتابة
المصرية انما هى بعكس ما زعموا تشتمل على علامات دالة فى الحقيقة على

أصوات أى انها عبارة أخرى تشتمل على حروف هجائية تتركب منها الكلمات فانه لما لحظ مثلا انه فى أية موضع وجد فيه اسم بطليموس من الاصل اليونانى بحجر رشيد المذكور وقف نظره فيما يقابله من الاصل المحرر باللغة المصرية على بعض علامات منحصرة فى برواز بيضاوى الشكل فاستنبط من ذلك

(اولا) ان اسماء الملوك فى طريق الكتابة المصرية الهيروجليفية كانت يقصد تمييزها للنظر الناظرين توضع فى داخل ماهو أشبه بحرز مخصوص سماه بما معناه الخاتة الملوكية أو العنوان السلطانى

(ثانيا) ان العلامات المظروفة داخل هذا الحرز يقتضى أن تكون اسم بطليموس حرفا بحرف لامحالة وبذلك نتج له الحصول على خمسة حروف هى الباء والطاء واللام والميم والسين التى يتركب منها هذا الاسم بقطع النظر عن حروف العلة المتخللة فيما بينها وكان شامبوليون قد لحظ أيضا من صحيفة كتابة بالخط اليونانى منقوشة على احدى المسلات بجزيرة البربى القريبة من اسوان ان صورة خاتة ملوكية مكتوبة بها يقتضى أن تكون عنوان الملكة قليوبطره فقال فى نفسه اذا صح ما وقفت عليه من قراءة لفظ بطليموس بحجر رشيد لزم ان نجد كلا من الحروف الثلاثة التى هى الباء واللام والطاء فى اسم قليوبطره المكتوب على المسلة المذكورة لضرورة دخولها فى تركيب هذا الاسم أيضا فكان الامر كما تصور لهو استحصل من هذا الاسم أيضا على حرفين حادثين وهما القاف والراء ثم بواسطة توفيق جميع الحروف التى تيسرت لشامبوليون من لفظى بطليموس وقليوبطره على خاتمات أخرى من عناوين الملوك المصريين

الواردة

الواردة ببعض الآثار وكانت أولا غير تامة استحصل على أكثر الحروف
الهجائية الاخرى المتركبة منها كلمات اللغة المصرية ولم يتردد فى النطق
بها ومن وقت ان تحقق عنده ذلك أفادعلى وجه التحقيق انه قد حصل
على معرفة حروف الهجاء المصرية ولكن بقى عليه شئ آخر وهو معرفة
نفس اللغة المصرية اذ ماذا يفيد النطق بألفاظ مع جهل المعانى التى هى
موضوعة لها وعند هذه العقدة أبدى الفاضل شامبوليون من اسرار
الاقتراح وغوص عقل نوع الانسان ماصعد به الى أعلى اوج العرفان
وذلك أنه أدرك بما استحصل عليه من حروف الهجاء التى استنبطها من
أسماء الملوك ثم وفقها على كلمات اللغة المصرية انه انما يحصل من قراءتها
ألفاظ من اللغة المعروفة بالقبطية وان اللغة القبطية وان كانت غير
متداولة كاللغة اليونانية الا أنها ليست بصعبة المأخذ ولا متعسرة التناول
فان اللغة المصرية هى عين اللغة القبطية مكتوبة بطريقة الكتابة
الهيروجليفية وان شئت التعبير بعبارة أخرى أصح من هذه قلنا ان اللغة
القبطية ان هى الاعبارة عن اللغة الفرعونية القديمة مكتوبة بالحروف
اليونانية كما صرحنا بذلك فى غير هذا الموضع واذا كان الامر كما ذكر فما بقى
من صنيع شامبوليون فى هذه المادة يسهل ادراكه فانه هكذا بطريق
الاستدلال بعلامات على علامات أخرى سلك أسلوب الترقى من المعلوم
للمجهول حتى ابتدع فن معرفة أحوال الديار المصرية الذى هو عبارة عن
قراءة الكتابات المصرية المسطرة على الآثار القديمة بالطريقة
الهيروجليفية وصار هذا الرجل الشهير اول شارع لهذا العلم النفيس
وكان هذا هو نتيجة الاثر المعروف بحجر رشيد حيث بواسطته صارت

الآن الآثار المصرية ليست من المواد التي يتعلق بها مجرد الرغبة في الفرجة الخالية عن المنفعة وتنزلت به الديار المصرية القديمة في منزلتها الحقيقية من المنازل التاريخية بين سائر البلدان المعروفة من قديم الزمان وان شئت أن تعرف ما صارت اليه عاقبة حجر رشيد المذكور قلنا تتميما للفائدة تسيرته بالاختصار انه لما انتقل بعد استكشافه لمدينة الاسكندرية وقع بعد ذلك بأشهر في يد طائفة الانكليز في جملة آثار مصرية اخرى استلبوها من العساكر الفرنساوية بوقت ان أخرجوهم من الديار المصرية واستولوا عليها برهة من الدهر كغيرهم من الملل الاجنبية وبقي مع جملة الآثار المذكورة هو الاصل الاصيل المبني عليه اساس خزانة التحف والمستغربات بمدينة لوندره

ما يتعلق بالعائلة الملوكية الرابعة والثلاثين

في هذا العهد كانت الدولة المصرية والسلطنة الفرعونية التي كان قد أسسها الملك مينيس قد صارت الى حيز العدم بعد ان تم لها خمسة آلاف وأربعمائة سنة من سالف القدم وأصبحت لا تعد بين أقطار العالم الا بصفة أحد الاقاليم التابعة للدولة الرومانية ثم في أثناء هذه المدة احدث عمال دولة رومة بعض عمارات بمدينة الاسكندرية منها عمود بونبة اوبونبيوس (المعروف الان بعمود السواري) واختط سلطان رومة المسمى ادريان اوادريانوس مدينة كاملة سماها انتونوه باسم نديمه المسمى انتونيوس (بالمحل المعروف الآن بناحية الشيخ عباده باقليم المنيا) وبنى لنديمه المذكور فيها قبرا نفيسا كقبور قدماء الملوك ووضع على مقدمه التماثيل

الكبيرة

الكبيرة والمسلات المقتصرة التي احداها موجودة الآن بمدينة رومة تعرف بالمسلة البربرية وأتم سلاطين الرومانيين ما كان قد شرع فيه البطالسة من الآثار والعمارات بناحية كلباش ودندور والداكة وجزيرة البربي بقرب اسوان وبجهة اسنا وادفو وأرمنت ودندره الا أنه من خلال هذه الرفاهية الظاهرية وهيئة النعمة الصورية لا زالت تتناثر من أحوال الديار المصرية في تلك المدة علامات الانحطاط والاختلال وتتظاهر على وجهها مع ذلك حقيقة سوء الحال واخشوشنت رقة الفنون والصنائع المعهودة عن مصر الملوك المنفيين والفراعنة الاوزورتازانيين والتوتميسين والرمسيسين والابساماتيكوسيين وتلاشت سائر امور المصريين وتبدلت عوائدهم وأخلاقهم وتغيرت لغتهم وطريقة كتابتهم وأصبحت مصر كشيخ اصيب بداء الهرم فلم ينهض ولم يكن كما كان أولا في عصر شبابه كسبع ينقض بل صار يمشي مضطرب الاقدام ليلاقي يومه الآخر حتى جاء سلطان القسطنطينية طيودوسيس فأتم عليها الهلاك وأدخلها في خبر امس الغابر وبتم الغرض المقصود لنا من وضع هذا التذييل خلف كتابنا هذا اذا كان المطلع عليه قد علم علم اليقين وتمكن في ذهنه غاية التمكين بما أبديناه فيه من التفاصيل الدقيقة والبيانات المفصحة عن عين الحقيقة ان تاريخ الديار المصرية وان كان طويل المدة يعترقه حوادث متنوعة الاحوال والعدة الا أنه كثير الفائدة كبير العائدة وان السيرة المصرية هي بتسمية التاريخ الحقيق أصدق وبالعناية بها أحق . وانه ليس في سائر بلاد العالم بلدة هي من الديار المصرية بكثرة الآثار الدالة على صحة تاريخها أعظم بيانا ولا أتم برهانا تم

يقول معربه من اللغة الفرنساوية الى العربية الفقير عبد الله أبو السعود
أفندى المترجم بقلم الترجمة المرتب بعناية خديو مصر الآن بديوان عموم
المدارس المصرية تم فى أقرب وقت ترجمته وطبعا وعمّ ان شاء الله صفائه
ونفعا هذا المختصر المسمى قناصة أهل العصر من خلاصة تاريخ مصر
ولعمرى لقد رق طبعا وراق وازدانت به غرات الاوراق بعون الله الاعز
الاكرم وبعناية سعادة أفندينا اسمعيل باشا خديو مصر الاعظم فى أواخر
ذى الحجة سنة ١٢٨١ من الهجرة المحمدية بدار الطباعة الكبرى المصرية
الكائنة ببولاق مصر المحمية تعلق الدائرة السنية تحت نظارة من عليه
لسان الصدق يثنى حضرة حسين بيك حسنى وما سبق الوعد به فى أواخر
الخطبة من ضم بعض زيادات اليه قد تأخر فى هذه الطبعة الاولى اجراء
مقتضاه ولم يتيسر استيفاه لمقتضيات اقتضته وموانع منعته وحيث كان
العود لهذا الكتاب عدة مرات بالطبع مأمولا نظرا لكونه فى المستقبل
بعون الله يزداد اقبالا وقبولا وعلى حسب عموم الحاجة اليه ودوام
التعويل فى التعليم بالمدارس المصرية عليه فان شاء الله تعالى فى الطبعة
الثانية على طول أيام سعادة الخديو أطال الله أيامه ووالى بالعز والعناية بمثل
هذه الفوائد العامة أعوامه يضم اليه ما يفيده بهجة وجمالا
ويزيده منفعة وكمالا وأول الغيث قطر
واستقبال الشهر بدر والحمد لله
على كل حال والكامل
يقبل الكمال
تم